أحمد دزگي
اللقب بشيخ العروبة

بقلم
أسيور الجندي
أحمد زكي
اللقب بشيخ العروبة
حياته - آراؤه - آثاره

بالم
أنور أبكندري
تصميم

في رحلة طويلة خلال البحث عن "معالم الأدب العربي المعاصر" منذ فجر التفاضل الفكرية العربية التي بدأت قبل منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل الحرب العالمية الثانية (1940-1940) تبدو معالم شخصيات متعددة من أعلام الفكر والوطنية والكتاب السياسي والاجتماعي والأدبي.

ومن حق هؤلاء النواعير علينا أن نكشف عنهم، وتؤرخ لهم وندرس اتاجهم وآثارهم، وتقدمهم لجيلنا المعاصر المتطلع إلى صور البطولة في مختلف الميادين، والأيروائع الفكر، وبدائع الفنون الأدبى، من مساحات وتحقيقات. ولقد حصل تأريخنا في هذه الفترة بأعلام بارعين صادقين في ايامهم بأتمهم، وبلغتهم، وباريخهم، غير أن بعضهم آخر العمل دون الشهرة، وبعضهم لم يعان صعابا خلال حيائه، فلما قضى غاب في أعماق الأحداث، ولم يجد من يؤرخ له، أو يكشف عن فضله وأثره.

ولقد تابعت خلال بحثي الطويل عديدة من هؤلاء النواعير الذين لم يتوقفت اليهم حتى الآن أمثال: أحمد تنمور، وعبد العزيز التعالي، وفريد وجدى، ومصطفى الفلاتينى، وأحمد شفيع، ومحمد مسعود، وداود بركات، ورشيده رضا، وشيلة شميل، و ...
وطارح الجزائرى، عبد العزيز جاويش، وأمين الرائقى، عبد الحميد بن باديس، ولطفي جمعة، ومروان عبود، وتقولوا حداد، وغيرهم. ومن بين هؤلاء النواحي أحمد زكي (بتش) اللقب بشيخ العربية، والرائد المصري الأول لحياء الآداب العربية، والبحث عن ذخائر المخطوطات وجمعها أو تصويرها بالفوتوغرافيا وتحقيقها، والعلامة الباحث الذي حقق عشرات القضايا والواقع والمواقع، والأعلام وأسماء البلدان وكلمات اللغة.

وهو أول مصري عربي في العصر الحديث زار "الأندلس" وأطلق عليها ذلك الاسم الذي اشتهر به من بعد (الفردوس الإسلامي المفقود) وصاحب المكتبة الركية التي تضم 18 ألف مجلد، وسكرتير الجامعة المصرية القديمة، وأول من أدخل "الترقيم" في كتابة العربية الحديثة، واختبر حروف الطباعة، والطواقم الرحلة من الآستانة إلى باريس إلى لندن من أجل التراث، وصاحب النسخة الأولى أو الثانية على الأقل من عشرات الكتب العربية المفقودة، والرجل الذي صعد إلى القلاع في كل بلد ألم بيا وزار المساجد والكنائس والمدارس، وقطع الأرض من طولها وعرضها، محترقا للمواقع والأثار، والذي فتح له قصر "طوب قبو" بعد أربعة قرون وستة أعوام لنقل المخطوطات العربية، وصديق المستشرقين في أنحاء الممورة، والعالم الصريح الذي لا يتابع ولا يمالي.

وهو إلى ذلك سكرتير مجلس النظار، والمترجم الأبرع من
الفرنسية، والمجيد لعديد من اللغات، وداعية الأمة العربية من أجل الحفاظ على مقومات الفكر العربي، وجعلها أساساً للنهضة الفكرية المتطورة مع الزمن، المتصلة بالحضارة العالمى.

والتلك التمثيل للوزير المنتسب إلى جريدة الإخبارية، الذي آخر الصحافة اليومية على المجلات والتأليف، وصاحب الأسلوب الجامع بين العلم والطراوة والفكاهة والسخرية، والذي فاجأ القراء في خلال أربعين سنة بعشرات من الآراء المثيرة التي حققاها، والذي ترك أكثر من ألف مقالة مبخرة في بطون الصحف والمجلات.

ومن هنا كانت مشقة البحث، فأن أحمد زكي باشا لم يترك إلا أكبيت صغيرة قليلة كنتا بعضاً، وهي ليست أكثر من تقارير عن بعض أعماله، أو محاضرات قليلة من آثاره، لذلك كان لا يد من البحث وراء تناه وتنبم في بطون الصحف اليومية والمجلات.

ولقد ظللت أكثر من خمسة عشر عاماً، وأنا أقرأ أراء متتالية خلال بعض في (معلم الأدب العصري)، وأعدت موسوعتي عنه، وكان دائماً يلبس نظراً، ويشعرني بأثره الواضح، فتحقيقاته دائماً جيدة، وآراؤه مثيرة، وطريقة في عرضه تلقت النظر، وازدهاره وقعته بما يقول ترك آثراً في نفس الباحث لا يذهب، وهو إلى ذلك قد توفي منذ عام 1934، فلم تكتب عنه إلا كلمات قليلة، بعد وفاته مباشرة، ثم مضت هذه السنوات دون أن يذكره ذاكر، وانطلقت آثاره التي لم يستكملها، فلم يعن بها أحد، أو يبحث عنها، كل هذا دفعني إلى أن أرفع الركاب والتراب عن وجه هذا الباحث العالم، الذي ظل يكتب ويكتب ويعتبر أكثر
من أربعين عاماً، وكان مرجعا لكل باحث أو سائل، وكان بيته قبلاً كل رائد من العرب أو من أهل الشرق والغرب.
وقد أجهدنا البحث وراء آثاره، لولا أن لدى فهرساً كاملاً للأبحاث الأهرام، أعانتي على مقالاته بها — وهي أغلب محاولته في الحقيقة — وتبنت البحث وراءه في المؤيد والمقتبس.
كما تابعته في مراجعة شاملة للهلال والمقتبس، ومخطوطات الحزينة الزكية وأضابيرها، حتى تمكنت ببول الله أن أرسم هذه الصورة عن حياته وأدبي، وأنا أعرف بعد أن لها ليست إلا رسالاً ضريلاً لتابعة عمل، ويبحث محقق، وهي كل حياته لعمله وعلمها، وما محاولتي لابد بعض النماذج لكتابة أرائه، للإجابة على اقتمال ضخم غزير عبق من تواضتنا الفكرى والتاريخى المعاصر المذكور الجدير بأن يكشف عنه فيجمع ويداع في الناس من جديد، حتى ينفع به الباحثون في مجال اللغة العربية، والتاريخ والجغرافيا والإعلام والآثار.
ولقد عشت أكثر من سبع سنوات أواصر هذا البحث، وأخطط عنه، وأعود إليه من جديد، محاولاً أن لا يفوتني قطاع من عمل الرجل، أو تغيب عن لجأ من لحات حياته وتراثه، ومع ذلك فقد ضاقت البحث عن مئات التفاصيل والشرائح والأسانيد.
وكانا قد حاولا أن نجمع كل الخطوط والخيوط في يد القاريء على أن يتجه باحث أو أكثر إلى دراسة آثار الرجل دراسة موضوعية شاملة، واستخراج آرائه وتحقيقاته التي أعتقد أنها ما зат تتبن بحياة، وهي في مجموعها تخدم سعي امتننا.
اللغة العربية اليوم إلى العمل من أجل تأكيد دورنا في الحضارة، وحقنا في بناء نهجنا على أساس من قيمتنا، وإبراز هذه العناصر، وكونها لوند بها عادة خصوم الأمة العربية ودعاة التطرف، والخاضمين لأمجادنا وتراثنا.

ويستدعي عيب يمكن أن يؤخذ على "أحمد زكي باشا"، إلا إذا كان نشر آرائه وпечатاته في الصحف اليومية دون جمعها، ولمه كان حريصا على ذلك لحقاق لها الدوى الكبير والصدق الواسع والوصول السريع إلى كل الأيدي في العالم العربي، وفي الأشكال الآن أن يطبع أكثر من عشر مجلات من帅气ه موزعة على أبواب التحقيق العلمي المختلفة في مجالات الأدب واللغة والتاريخ والآثار.

ولقد حدد أحمد زكي هدفه من عمله وحياته في عبارته المعروفة:

"ويقظ كل يوم موقف ومقالة"

وأعتقد أن تجليات أحمد زكي من العمق والأهمية بحيث تلتلت نظر الباحثين المتخصصين، ولا سيما معجمه اللغوي العربي الكبير الذي أخذ يعمل فيه سنواته الأخيرة، وتوقي دون أن ينه، ومجلات أخرى أتمها منها كتابه عن (مديان الإندلس) و (مجالس المعدات والندوات) ورحلته إلى اليمن ومحاضراته المختلفة وخاصة محاضراه بالفرنسية التي ألقاها في المجتمع العلمي المصري والجمعية الجغرافية.
وقد ترد اسم (أحمد زكي) كثيراً على كثير من الناس المهمين والمعلومات حتى أصبح من الضرورة أن يعرف اسم
(أحمد زكي) صاحب هذه الدراسة بعبارة (بشا) و (شيخ
الروحية). فهناك (أحمد زكي) المترجم الأول من مدرسة رفاعة
الطهطاوي، وأحمد زكي (الدبيدي) المحقق اللغوي بدار الكتب،
وأحمد زكي (الدكتور) رئيس تحرير مجلة العربي والدكتور
أحمد زكي (الدكتور) وزير البحث العلمي.

***

وجيزة أحمد زكي مرتبطية بآثاره الأدبية إلى أبعد مدى، فأن
يكون عمل مؤثراً في الحكومة فان ذلك أعناه على العمل الأدبي.
وحققه له جاهًا أكبر في الرحلة والرحلت على ذخير النزهات
وفرض الكلمات العربية واقصاء الدخيلة وتحرير الدواوين
الحكومية من التعبير التركي والأجنبي على السواء، وفي حياة
أحمد زكي وأدبيه جواب القوة، وجواب الضعف، ولكن كان
على كل حال باحثاً علامة، شرق النفس، جريماً مؤمناً برسالة
عاش لها حياته كلها، وهي إبراز مجد الأمة العربية، والدفاع عنها
وتحقيق تاريخها، وفضح كل خطأ أو هوى يهدف إلى الفضفف
 شأنها أو محاولة تزيف حقائق لغتها أو آثارها أو تاريخها.
هذه الحياة تقدمها اليوم، مؤدن بعض الذين لهذا الرجل
العظيم بعد أن ظلت مطرية سنوات وسنوات، معتذرانا لعلنا
هذا عن عقود من اتصلوا به، وجلوا قدره، ولم يقوموا على
آثاره باحثاتها أو الكشف عنها.
ولعلنا نستطيع بعون الله أن نقدم من بعد صورا أخرى
لمؤلفات الإعلام، الأبرار، الذين خدموا أمتهم وتاريخها ولتنها،
والتي الزمن على حياتهم ستارا من الأعمال والنسان.
وبالله التوفيق.

أنور الجندى

الهرم في 31 ديسمبر 1963 ( القاهرة)
ملاحج جيل ومطالع الحياة

عاش أحمد زكي (باشا) الملقب بشيخ العروبة حياة عريضة تبدأت آثارها في ذلك الانتاج الوافر من الأبحاث التي نشر أغلبها في كتب صغيرة في مطالع حياته، ونشر أغلبها في الصحف، وظل في بطولتها حتى اليوم في خلال أكثر من خمسين عاما (1892-1944)، لا سبيل إلى التعرف عليها إلا بالبحث حيث لم يترك أي فهارس عامة لهذه المقالات التي نشر أكثرها في المؤيد والمقطم والأهرام والبلاغ.

ولقد كان في الامكان أن يكون زكي باشا واحدا من أولئك الموظفين الكبار في الدولة الذين عملوا في القصر أو في مجلس النظر من أمثال عثمان مرتفع (باشا) وحسين عاصم (باشا) سنوات طويلة في ظل هذا العمل الحكومي، في مجلس النظر وكبيرهما (أوافق) فسكتيرا عاما سنة 1911.

ولكن أحمد زكي باشا كان منذ مطالع حياته (مفكرا) مصريا عريبا قبل أن يكون موظفا حكوميا، يبدو هذا واضح وبصورة صريحة لأول مرة في اتبذابة لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين 1892.
لقد بدأ زكي باشا حياته مترجحاً، وكان هذا العمل من الخطورة بمكان، فقد كانت مدرسة رفاعة الطهطاوى بعيدة الأثر في الثقافة المصرية الحديثة بما تقلت إلى اللغة العربية من مؤلفات بشتى في عهد رفاعة نفسه آثراً، أنصراً، ومتفقين...
وقد سار زكي باشا شوطاً في مجال الترجمة، وكان هذا هو عمله الأساسي في مجلس النظار أول الأمر، ثم ظل جانباً من عمله فيما بعد، والى نهاية مدة عمله.
ولكن زكي باشا لم يقف عند هذا الحد - بل تخطاه إلى العمل في مجال احياء التراث العربي وبحثه والتنقيب عنه، فما الذي لفت نظره إلى هذا العمل؟
الواقع أن زكي باشا كان منذ مطالع شبابه كاتباً وخطيباً، وآرائه وملاحظاته، كانت مكتبة شقيقه ( محمد رشاد ) القاضي ورئيس المحكمة الأهلية فيما بعد، هي التي فتحت أمامه آفاق القراءة والبحث، وقد أحس أنه كاتب بطبعه، فضلاً عن نفوذه في الترجمة تفوقاً كان مضرب الأمثال، فقد كان يقرأ الصحيفة من أي كتاب فرنسي وترجمها أولاً بأول باللغة العربية على نحو يبخ الألباب.
وقد فضلاً أنه بعد أن نال شهادة الحقوق عام 1887 عمل محرراً في الوقائع المصرية، هذه البيئة التي عرفت من قبل رفاعة الطهطاوى وفارس الشداق ومحمد عبده وسعد زغلول وعبد الكريم سليمان.
كما اتصل زكي «باشا» بالمجتمع العلمي المصري، وعرف مسيو ماسبيرو وزملاءه من رجال الآثار، وفي جو هذا المجتمع اتصل زكي «باشا» بعدد من المستشرقين وطالع أبحاثهم وشهد اهتمامهم بالبحث عن التركيب العربي وطبعه في مطابعهم. كل هذا كون عند ( نقطة البدء ) التي حددت مستقبل حياته، كان منعمًا في حياة العرب، ودرسته، وبحثه، وتحقيقه، وكشف ذخائره، والدفاع عنه، والرد على كل من يحاول تجربته أو تزويره.

وكان زكي باشا المنفي الأصيل، الفلسطيني المنتسب، المصري الأرومة، مستعدًا استعداداً فنيًا كاملاً للدفاع عن مقومات الفكر العربي والأمة العربية.

وقد كان هذا مجالاً جديداً لا نعرف أن أحداً ارتاده قبله، ولم تظهر آثاره إلا بعد وقت طويل، ربما سنة 1911 في مشروع احياء الآداب العربية وربما بعد عام 1931 في رحلاته إلى سوريا واليمن والقدس من أجل الدفاع عن القضية العربية.

وهذا هو الجانب الثاني في حياة هذا الفكر، الذي لم يقتصر همه على العمل في ميدان الفكر واحده، ولكن تطلع إلى العمل السياسي العربي أيضًا، وخطا فيه خطوات واسعة، كان أبرز مظاهرها استقباله للعشرات من أعلام العرب والمسلمين ومحادثتهم ومراسالتهم، وعقد الاتصالاتهم، وتكريمهم سواء على طريقة السياسته العربي في بيت جيزة الفسطاط على ضفاف النيل أو في جروبي وغيره مما ستحدث عنه فيما بعد.
وبإمكان القول بأن «أحمد زكي» كان منذ مطلع شبابه يتطلع إلى عمل كبير له دوياً، فقد كان غاية في الذكاء والحماسة والتوقف، كشفت أمامه هذه العوامات المختلفة، ودفعته إليه حماسته وتطلعه، وقد شاءت الظروف أن تضعه في بيئة لها تأثيرها الذي يعرف بها، وهي بيئة الأمير: عباس حلمي الثاني، التي ضمت أحمد شوقى وأحمد شفيق وأحمد حافظ عوض، والشيخ على يوسف، وقد امتد حكم ذلك الخديوى من عام 1893 إلى عام 1914.

لا شك كان هذا البيئة على خلاف مع بيئات أخرى عاصرتها، منها بيئة الشيخ محمد عبده وتلاميذه الذين كانوا على خصومته مع الخديوى عباس واتصال باللورد كروم، وبيئة حزب الأمة وعلى رأسها طنفي السيد التي كانت تشارك اتجاه اللورد كروم.

أما بيئة الحزب الوطني وعلى رأسها مصطفى كامل ومحمد فريد فقد كان الخديوى متضامناً معها منذ تولي الحكم عام 1883 إلى استقالة كروم عام 1907، وحتى جاء المندوب البريطاني (الدوق غورست) بما أطلق عليه سياسة الوفاق، هنالك اختلاف الخديوى مع الحركة الوطنية، وأطلق عليها رجاله.

وقد شارك في ذلك أحمد زكي وشوقى وحافظ عوض وعلى يوسف الذي تحول بالمؤيد من موالاة الحركة الوطنية إلى موالاة الخديوى ومسايرة الإنجليز.

وقد عمل أحمد زكي عام 1906 «سر تشريفاتي الخديوى»
وفي عام 1907 عين سكرتيراً لمجلس النظار، وظل حتى عين سنة 1911 سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء.
وشهد عباس حامد (1893 - 1914) والسلطان حسين (1914 - 1917) وفؤاد (1917 حتى أحسن على العقش عام 1921).

كما عمل مع النظار (رؤساء الوزراء) بطرس غالي 1907 - محمد سعيد - حسين شديد 1914 - يوسف وهب 1919 توفيق نسيم (1920 على يكن (1921)).
وهكذا بعثت زكي باشا طبيعة عمله وتقاليدها، من مجال الحركة الوطنية وعهد من رجال الأسرة، ولكنها كان بحكم اتجاهاته الفكرية وكتاباته ومراجعاته محدوداً في طبيعة بيئة المفكرين في هذه الفترة.

هذه البيئة التي كانت تضم: أمين فكرى ومصطفى كامل ومحمد فريد وقاسم أمين وحسن ناصيف وفتحي زغلول ولطفي السيد وأسمايل صبري وأحمد شوقي وعبد السلام ذهني وعبد العزيز جاويش وعمر لطفي وأحمد حافظ وعيسى عيسى وعبيد ويعقوب صروف وأحمد كمال وداود بركات وفارس نمر وجوزف زيدان وعلى يوسف ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبى وإبراهيم المويلحي ومحمد المويلحي وتوفيق البكري وإبراهيم اليابجي وشبيب أرسلان ومحمد كرد على وعبد القادر المغربي وأحمد تيمور وأحمد شقيق وأمين سامي ومحمد لبيب البناونى.

14
ولعل اتجاه أحمد زكي قد تحدد فعلا، ووجد نقطة البدء الحقيقية عندما اختاره الخديوي عباس لتمثيل مصر في مؤتمر المستشرقين في لندن (أغسطس 1893) فقد عمت هذه الرحلة جوانب شخصيته الفكرية، وأعطتها دوافع الانطلاق.
أولاً: زيارة لأوروبا وقضايا سته أشهر في أرجائها.
ثانياً: لقاءه للمستشرقين، وأحاديثه معهم، واستماعه إليهم.
ثالثاً: زيارته للمكتبات، والبحث عن التراث العربي في مكتبات أوروبا المختلفة.
رابعاً: زيارة لاسبانيا، ومراجعاته المتعددة للأندلس، بلادها وأسمائها وتاريخها، وإطلاق اسم «الفرودوس الإسلامي المفقود» عليها.
وقد ظل هذه الأعمال ممتدة طوال حياته، فقد تواتت رحلاته لأوروبا وتوالت مقابلاته للمستشرقين والباحثين وتوالي حضوره لمؤتمرات المستشرقين، وتوالي البحث عن المخطوطات العربية في مكتبات الشرق والغرب، وظلت الأندلس أنشودة حياته.
ومنذ هذه السفارة التي نشر فصولها في الأهرام توثق اتصاله بهذه الصحيفة الممتعة، فنشر فيها كتاباته حتى آخر سنوات حياته (1892 – 1934).
ومن آيات نبوع أحمد زكي أن أتيح له أن يمثل مصر في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في لندن عام 1892. بعد الاحتلال البريطاني بعشر سنوات، ولم تكن سنة تتجاوز الخمسة والعشرين.
ولعل زيارته للأندلس - ذلك الفردوس الإسلامي المفقود - هي التي فتحت أمامه آفاق الحماسة للتراث العربي، وأوقدت في نفسه تلك الشعلة الروحية من أجل الدفاع عن أمجاد العرب والإسلام. فظل يوالى عمله في ميدان ثلاثة:

1- احياء التراث العربي بالبحث عن المؤلفات والمخطوطات ونقلها بالفتوغرافيا.
2- الآثار العربية والبحث عن القبور والمقابر والدعاية لتكريم أصحابها.
3- تصحيح أسماء الأعلام والبلاد والوقائع والأحداث في مجال اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا.

وقد عاش زكى باشا مدرا يدافع عن تراث العرب وتاريخهم وأعلامهم، يقف لكل ما ينشر عنه متحريا له، دافعا أخطاء المستشرقرين وأوهام الباحثين، متقبلا عن صحيح الآراء.

ويمكن القول بأن حياة زكى باشا قد مرت بمراحل ثلاث:

1- المرحلة الأولى وهي مرحلة جمع التراث العربي من مكتبات الآستانة وأوروبا والمشرق والغرب ونقله بالفتوغرافيا ومراجعته والتعليم عليه وطبعه وتشره.
2- مراجعة هذا التراث ودراسة واستيعابه، وتكوين خزائنه الزكية والتعليم على ما بها من مؤلفات، واعداد أصابع وجدائدات في مختلف فروع الآدب والتاريخ والجغرافيا والاتصال بالباحثين ومراجعتهم.
3 — وهي المرحلة الأخيرة من حيائه، والتي تبدأ بعد احالتته على المعاش سنة 1931 حتى وفاته سنة 1934، وهي أخصب قترات حياته، حيث نشر عشرات المقالات والأبحاث، وتوسع في صلاته بزعماء العالم العربي وتوسط في الخلاف بين اليمن والسعودية وانتدب لتحقيق الخلاف بين العرب واليهود في شأن حائط المبكى وقضية البراق.

** * * *

وأبرز معالم حياة أحمد زكي تتمثل في:
— عمله من أجل إحياء الآداب العربية وتكوين «الخزازة الزكية».
— رحلاته.
— تحقيقاته ومراجعاته في الأدب والتاريخ والجغرافيا.
— معاركه ومساجلاته.
— عمله من أجل الكشف عن أمجاد العرب والإسلام.
— اهتمامه البارز بالأندلس.
ولد أحمد زكي عام 1877 م، فماذا يمثل هذا العام في تأريخ مصر.

لقد تولى اسماعيل الحكم 1863 م وأمضى فيه ستة عشر عاماً حتى عزله 1879 وهذه سنوات شباب أحمد زكي، الذي أحرز شهادة الحقوق (من مدرسة الإدارة) عام 1877 آي في خلال حكم توفيق. وعندما وقع الاحتلال البريطاني 1882، كان عمره خمسة عشر عاماً. وهكذا عاش أحمد زكي حياته كلها في ظل الاستعمار البريطاني لمصر، وواجه في مطالع حياته هذا التفوق.

وفي عام 1892 انتهت الآمال بدعوة مصطفى كامل إلى الوطنية.

وقد صدر المؤيد عام 1889، صحفية مصرية إسلامية الطابع، لتواجه المظلم الذي صدر قبلها بعام (1889). ومن دفعة زكي (باشا) من مدرسة الحقوق عمر لطفي ومحمد فريد.

وقد شغل كل من الثلاثة طريقه على نحو من الأنجاء، فصبر كحل اقتصادي مشاكل الصرين اما محمد فريد فقد بدأ حياته مؤرخاً وكاتبًا معهًا بالقضايا السياسية الكبرى، وأهمها مشكلة الاستعمار في الشرق والقارة الأفريقية، وكتب عشرات المقالات في الصحف وفي مجلة (الموضوعات).

18
أما زكي باشا، فقد اتجه إلى الترجمة وتبث إلى أحياء التراث العربي. وأخذ الخط الذي اخترته المدرسة التي تشكلت ببيئات المستشرقين والباحثين الآجانب وأكتمل بالعمل الفكرى كوسيلة من وسائل تزوير الأذهان، وله أبرز من مضى في هذا الاتجاه أحمد تيمور باشا الذي عكف على العمل من أجل جمع وإحياء ومراجعة التراث العربي والشيخ طاهر الجزائرى (دمشق) والأب لويس شيخو اليسوعى (بيروت) ثم محمد كرد على دمشق والأب أنانتاس الكرملى (بنداد). فقد عملت هذه المدرسة في العالم العربي على أحياء التراث العربي الإسلامي.
وتيمور باشا المولود 1861 وزكي باشا المولود 1877 كانا في مصر فرسى رهان في جمع نواحي المخطوطات، وكتبو المؤلفات العربية القديمة. وقد اتصلوا بمكتبات الآستانة والمغرب والحجاز واليمن. واستحضاها هذه الآثار بالتصوير الفوتوغرافى من باريس ولندن وروما.
غير أن تيمور باشا كان ثريا يملك أربعة آلاف فدان من أجواد الأطيان، مما كان يعينه على دفع أي مبلغ، بينما كان زكي باشا أقل تروة، ولكنه أبعد مدى وجرأة في السفر والترحال والبحث واسع الحيله في الحصول على الكتب والمخطوطات. وقد كان تيمور باشا عاكفا على خزائنه يعمل في آناتة وصمى، بينما كان زكي باشا يوث البصمات على صفحات الصحف كلما عثر على كشف جديد، أو رأى مثير. مع انشغال بالأعمال السياسية.
حب للظهور والتبريز، يقابله تواضع وازوراً على الناس عند تيمور باشا.

وقد كان من نتيجة هذا أن ترك تيمور باشا عشرات من المؤلفات المخطوطة، ما تزال تطبع حتى الآن، بينما لم يترك زكي باشا إلا مؤلفاته قليلة، وترك كل تراثه وآثاره مدفونة في بطن الصحف والمجلات خلال أكثر من خمسين عاماً.

ولا شك أن زكي باشا رائد في مجال البحث والبادية العربية، أثبٌ لحاجته إصدار البحوث والمذكرات في المجامع العلمية المصرية والجمعية الجغرافية إلى اقتناص مكانة بارزة في هذا المجال والسير فيه، على نحو استطاع به خلال عام 1911 أن يحقق نجاحاً كبيراً، حينها أذنت (وزارة المعارف) له وأخذت رأيه وقررت اعتماداً لحياء الآداب العربية، وتولى زكي (باشا) هذا العمل وكان من قبل قد ساهم في الأستانة وأوروبا باحثاً عن المخطوطات، نالها اياه بالفوتوغرافية مما حقق أغنيَّة الآداب العربية بآثاره الدقيقة ونعمة الأمامة بها.

وقد تأثر زكي باشا بحركات ثلاث سابقتين:

الأولى - النهضة التي حمل لواءها رفعة رافع الطهاوة في مجال الترجمة ونقل الآثار الأدبية والفكرية الفرنسية.

ثانيَا - النهضة التي قادها السيد جمال الدين الأفغاني في تحرر الفكر والإيمان بالشرق، وحققه في
الحرية والكرامة، واستثارة أمجاده وتراثه.
وتاريخه المرتبط بالعروبة والإسلام.
ثالثاً - النهضة التي تصدر لها محمد عبده في تحرير الأسلوب العربي من التقليد وتوجيه الكتابة إلى المضمون والهدف بدون مقدمات ولا سجع ولا زخارف أو محسنات نظيفة.

وقد بلغت أصوات هذه النهضة زكى (بشا) في مطالع شبابه فقد تبنى جمال الدين من مصر عام 1879، وظلت آثاره تدوى في كل مكان، وكانت الثورة العربية من آثار صبجته. وقد عاش جمال الدين حتى توفي عام 1893، ولم تنقطع خلال هذه الفترة أخباره عن مصر، وهو يتنقل من مصر إلى فرنسا إلى روسيا إلى بريطانيا حتى استقر به المقام في استانبول.

وكانت آثاره الفكرية واضحة أشد الوضوح في الصحافة المصرية، وفي أفكار تلامذته التي تبلورت في علي يوسف وسعد زغلول ومحمد عبده وإبراهيم اللقاني ورشيد رضا وعبد العزيز جاويش وخفى ناصف واسمهيل صبري ورفيق العظم وشكيك أرسلان وأحمد تيمور وعبد القادر المغربي، هذه الأفكار عاشت في أعماق أحمد زكى على نحو ما، وتبلورت في هذا العمل الذي توفر عليه، والذي تكشف من بعد عن اتجاه واضح، ورسالة صريحة في الدفاع عن مقدرات الأمم العربية، وتراثها وثرائها الأدبية والتاريخية.
ويمكن القول بأن النهضة العربية التي أُوقِد جَذوَتَها
جمال الدين الأفغاني قد كشفت عن ثلاثة ميادين للعمل:

١ - العمل لتحرير الوطن.

٢ - العمل لتحرير الدين.

٣ - العمل لبعث التراث العربي والتحقيق العلمي في مجال
اللغة العربية والتاريخ، وقد كان زكي باشا من هذا الفريق.
وقائع حياته

1867
ولد بمدينة الإسكندرية.

1877
نال أجازة الحقوق.

1887
عين مترجماً بمحافظة السويس.

1889
عين مترجماً لمجلس النظر.

اختير عضواً في المجمع العلمي المصري (الجمعية الجغرافية فيما بعد).

1892
حضر مؤتمر المستشرقين في (لوندر) نائباً عن الحكومة المصرية.

1892
زار الأندلس وطاف أوروبا.

1894
حضر مؤتمر المستشرقين في جنيف.

1897
عمل سكرتيراً ثانياً لمجلس النظر.

1900
حضر معرض باريس وألف عنه كتابه "الدانيا في باريس".

(1) ذكر عيسى اسكتشر المعروف (مجلة المجمع العلمي العربي، ص 318)، أنه ولد عام 1866، وذكر يوسف إسماعيل داحر في كتابه (مصادر الدراسة الأدبية)، أنه ولد عام 1866، والذي عليه اجتماع القرويين، والكتاب أنه ولد عام 1867، والموفق 1284 هـ.)
1902 حضر مؤتمر المستشرقين في هامبورج بألمانيا والتفاهم مع
المشارك في اختصار صندوق الحروف العربي.
رحلته إلى باريس، ومناقشاته مع المستشرقين ( أقرأ
تفاصيلها في فصل رحلاته ).
1906 عمل تشريفاتيا للجنب الخديو.
عين سكرتيرا عاما للجامعة المصرية ( القديمة ) ومدرسا
لتاريخ الحضارة الإسلامية.
1908 سافر إلى الآستانة للبحث عن المخطوطات.
اختير عضواً في المعجع العلمي العربي بدمشق.
1911 عمل سكرتيرا عاما لمجلس النظار.
نقل مكتبه إلى دار الكتب ( الخزانة الزوكية ).
1911 تولي مشروع إحياء الآداب العربية.
1912 حضر مؤتمر المستشرقين في أثينا رئيساً لوفد مصر.
1916 أتم عليه بالباشهوية.
1921 أهل إلى العاش.
1922 نقل مكتبه إلى قبة الفوار.
1924 زار الشام وحلب ودمشق.

(1) لا يذكر كثير من الباحثين هذا العمل في وقائع حياته. وقد
ذكره شفيق باشا في موسوعته ( مذكراتي ) جب 1
1934 دعا إلى تأليف الرابطة الشرقية.
1936 سافر إلى اليمن والجُزء مندوبا عن الرابطة الشرقية للسفارة بين ملكيتها.
1938 زار بيت المقدس.
1939 زار فلسطين ومعه مسودة كتاب مسائل الأذى.
1944 توفي.
لى بن إبراهيم بن عبد الله، ودفعته إلى هذا الطريق

زلوا ثغر يافا أولاً، ثم نزح التجارة، ووالدته من بيت بدى الباب، من ضواحي شقيقه «محمود رشاد»، تبة مصر الإبتدائية الأهلية، بية الأب، مصري من ناحية فلسطيني الأصل.

القريبة بالقاهرة، ثم في المسما بالمدرسة الخديوية الإدارة — التي سميت من بعد مدرسة الحقوق — وتكتشف هذه الفترة من حياته عن عوامل كثيرة في شخصيته، كانت بعيدة الأثر في حياته. فقد ظل وفياً لشقيقه «محمود رشاد» لا يذكره إلا بالاجلال والأكبار ويعبر عن ذلك بقوله «والدي الشقيق».

٢٧
وقد كان محمود رشاد (المولود 1854) والذي يكتر
زكي باشا بثلاثة عشر عاما، بحثا حقوقيا أديبا، له رحلات وأبحاث
عمل أول أمره ضابطا في الجيش، ثم مفتشا في وزارة المعارف
وقد اشترك في مؤتمر المستشرقين الدولي بقينا، وكان من رجال
المحاكم الأهلية، ترقى إلى أن أصبح رئيسا لمحكمة مصر.
وكان له مكتبة ضخمة، لعل أحمد زكي قد نظر فيها أول
شبابه، فقد نشأ في هذا الجو الفكرى فتطعى اليه واتصل به،
ومضي فيه شوطا أطول من شوط شقيه الوليد.
ولحمود رشاد كتب متعددة منها بحث في دار لقمان. وكنوز
الذهب في التربية والأدب، ورحلة إلى روسيا. وله مجموعة
مقالات في الأهرام تحت عنوان »الرسيليات« كتبها وهو في
مرسيليا.
وكان في حياته العملية مثالا للنزاهة، حتى أنه آخر الاستقالة
في ظرف آخى أن هناك ضغطا على ضمير القاضى، وذلك
عندما قدمت الحكومة الكتاب素养لي الشيخ عبد العزيز جاويش
رئيس تحريز العلم إلى القضاء، وكانت المجلة الخدومية ودار
الوكالة البريطانية تنظيران الحكم عليه وسجنه، ولكن محمود
رشاد أصدر حكمه برئاهه، جاء على حيطات وأسباب أوردها في
قرار الحكم، دلت على صلابته في الحق وشجاعته.
ويبدو أنه آخى عدم الرضا عند ذكر الاستقالة من منصبه،
غير أن الجهات المسؤولة خشي أن تكشف هذه الاستقالة موقفها.
فرجاه سعد زغلول وزير الحقانية - إذ ذاك - أن يرجع إلى منصبه فألح في الرفض.

وأرادت الحكومة استرضاءه بالان람 عليه بالباشوية، فلما علم بذلك كتب يعتبر عن قبولها، بل تجاوز الاعتدار إلى التهديد، وقال أنه إذا أصرت الحكومة على الانعام عليه فإنه يغادر البلاد فورا.

وكتب الي داود بركات رئيس تحرير الأهرام في خطاب خاص يقول كيف أفاد نفسى بهذه الرتبة، وأفاضل عن حريتي، فلا أمكن من ركوب الترام في الهواء الطلق بين الناس وأضطر إلى ركوب الدرجة الأولى التي تضيق الصدر.

ثم أن الباشوية ستحمتي آكل السمك الطيف والمسمعة اللذيذة بدن الحاج حسين شارع كلوت بك ...

واعف محمود شرفود بعد اعتزاله القضاء على الرحلة، فساح في الشرق والغرب وكان رحلته الى روسيا والقوقاز دليلا على الجرارة وقوة العزيمة، وكان ينشر خواطره في جريدة المؤيد.

ثم ساح بعد الحرب العالمية الأولى في أوربا، وأرسل للأهرام فصولا وخواطر وكان إلى ذلك رأيا لأخبار العرب وأشعارهم، عالما بتاريخهم، سييرا لأخوانه، فكه الحديث.

وقد كان فضله على زكي باشا بالغا، فقد كله ورباه وعلمه، وكان زكي باشا وهو أرفع منصب من شقيقه، يجلس منه مجلس الأبن من الوالد، والتعليم من الأستاذ، بارا به.

ولا شك أن كل الخطوط العامة لاتجاه أحمد زكي الفكرى.
تبدو واضحة في محمود رشاد، فهو بلا شك امتداد له على نحو أعمق وأوسع مجالاً، في ميادين عدة:
1 - مطالبات أخبار العرب وتاريخهم.
2 - الرحلة والسفر.
3 - الفكاهة والسخرية.
4 - الاعتزاز بالنفس، والجرأة في ابادة الرأي.
وقد صور أحمد زكي من خلال سطور من أبحاثه وكتاباته "صور العصر" ولون تلك الحياة التي كان يحياها في هذه الفترة يقول: (1) دخلت الخدبية على أثر مجيئي من بني سويف وكانت هي المدرسة التجهيزية الوحيدة في القطر، أما ذكرياتي عن نفس فتستلخص في تفوقي في اللغة العربية وممارستي في حل أعبارها. وانى لأذكر يوم طلب الى لعبه هذا البيت:
ألف الكتابة وهي بعض حروفها
لم استقام على الجميع تقدماً
فأخبرته ولكنى مع الأسف لم أعرف المعنى» وتحدث عما اسمه "غبطة الروح العابثة للشباب النزاعة الى الله والجرون، على كل عواطفى" فقال: "كان من أصدقاء في المدرسة الحاج على ليب، والطبيب يومى فتحى، وكنا نحن الثلاثة نساق تحت شجرة "جميلة"، وكانت فوق ساقية بفناء المدرسة، وكان يلجو للطبيب يومى النوم عليها فكان أنتظره حتى ينام، ثم

في حديث مع كمال حموده 18/8/1974 - الأهرام.

29
أدعه فيقع على الأرض، وقد ضبطني الضابط محمود أفندي وهبي وأودعت الزوجة.

أما الليل فكان تقضيه في مسام مطربي ذلك العصر: يوسف الميلاوي والجل، ومحمد عثمان والشنتورى. وكنا نعرف جميع أماكنهم بالذهب إلى تمساح إبراهيم باشا، حيث يجلس هناك بألوه اللب والقول، وهم خير من ينصحون بأماكن هؤلاء، عندما تسترى بالقرش، وكنا نستمر في الجلوس معي بين هذا المطرب، أي أن يقول لهم (الفجر) لاح قوموا يا تجار النوم.

وهنا تجيب كيف يمكننا دخول المدرسة في هذه الآونة، فقد كنا عند خروجنا من المدرسة قد اتفقنا مع بعض الآخوان الذين سيكونون في العودة إلى المدرسة حتى يكونوا على استعداد لمساعدتنا عند مجيئنا، وعند الدخول تدلى لنا الملائمة المرتبطة من أطرافها بالجبال، ويجلس فيها الشخص ثم يشد الأخوان الجبل من أعلى فيطلع عليه سلمًا وهمزة حتى يطلع الجميع، وعندما يحضر الضابط النوتيجي يرى الجميع فيأكلتهم.

وقال زكي باشا أن (الزناة أكلت مني حرام) وأنه تمتلك جميع العقوبات المدرسية: كالعيش الحاف، والجلوس ديزي، والزناة.

وتكشف هذه "الاعترافات" عن ملامح شخصية أحمد زكي التي عرف فيما بعد بوضوح، فهو يصف دائما نفسه بأنه "ماكر". وقد عرف عنه السخرية والتهكم، والتعلق إلى المرح والفكاهة، وواحدات المقال لأصدقاءه.
وهذه صورة أخرى من مطالع حياته تكشف عن جانب آخر من شخصيته يقول: حكاية وقعت لـ سنة 1877 (في سن العاشرة) كنت طفلا يرعاني أخي وسيدى وأستاذى (محمود رشاد بك)، كنت أسكن معه في شقة تطل على تحت الربع فذا جن الليل كان أخي يجمع مع أصدقائه، سليم باخوس، والشيخ محمد دياب، والشيخ حفني ناصف، وأحمد حجازي (الذي عرف بأحمد أفندى سمير) ويهني إبراهيم.
أما أنا فقد كنت أبادر بعد تناول العشاء إلى قهوة الشاعر (شاعر أبو زيد الهلالي سلامة)، فجلس في مكان بعيد، أطر بمسامع بصوت الرباب، وأشتف آذانى ووقائع الحروب. على أن هذه (العادية) قد سبت لي لطمه لا أزرها من يد أخرى ولؤلى نمتى.
ويقول: إنه كان يدعى للجلوس مع أصحاب شقيقه الأكبر، على السماط، وكانوا يدخلونه ويلعبونه بالكفاية، إذا أجاب على أسئلتهم، فكان (أحمد سمير) يسأل عن مكني بيت من الشعر، وكان (حفني ناصف) يطلب بإغراء آية من الشعر، وكان (الشيخ دياب) يطلب بحل مسألة هندسية، أما (سليم باخوس) فكان يمنحه بترجمة جملة قصيرة من الإفرنجية إلى العربية، أما يهني إبراهيم فقد اختص بالجغرافيا، يقول: "فذا أحسن،

(1) مجلة مصر الحديثة المصورة 21/5/1930.
(2) هكذا كتبها وحى العادة.

31
الإجابة أتمنى شقيقتي بقرش صاغ عن كل سؤال وهو شيء كثيرًا جداً حتى توفر لدى 19 قرشًا.

وقد تعرض مرة للحديث عن أبي زيد الهلالى سلامة وانتصر للزناة خليفة، يقول: فأخذت أعيد عليهم ما سمحته من الشاعر، وأظهر تأمي لعدم انصافه (أي الزناة)، بينما كان آخر يتصل من الحديث، وأنا مسترسل في دفاعي مترنما ببيت من الشعر طالما ردده شاعر القهوة:

دُننا دنيا لا أرض الله بقُلها
بتخذ وتعطى وما لها من يحاسب
والأي شيء لم يكن في الحساب، وهي لطيفة قوية خلت نسي
معها في يوم الحشر والحساب.

ويتعطى هذه الصورة علامات الذكاء ويوارقه في مطلع حياة
أحمد زكى واتصال ذلك بالتاريخ العربي عن طريق الأسطورة.

* كما كشف أحمد زكى عن جانب آخر من حياته في مدرسة

الإدارة يقول:

اتهم(1) صححوا اسمها المخلوط سنة 1886 فجعلوها مدرسة
الحقوق. وفي هذه المدرسة التقى الشاعر أحمد شوقي وعثمان
مرتضى.

وكان أستاذهم الشيخ "محمد البسيوني البياني" من علماء

(1) ذكر هذه الألقاب على صدر رسالة الوقى في الإسلام التي
ترجمها عام 1892 ثم أضاف إليها عام 1893 كلمة "واحد أعضاء
الوفد العلمى المصرى في المؤتمر التاسع لعلماء الشرقيات بلوئردة".

22
الأزهر الممتددين، يدرس لهم فنون البلاغة، وكان متخصصا في نظم القصائد في مدح الخديو توفيق.
والشيخ البسيوني - كما يرى زكي باشا - هو الذي تحدث الى الخديو عن نبوغ شوقي، وينصل بهذا نبوغه - أي أحمد زكي - في الترجمة، تقدم لامتحان وظيفة مترجم لمحافظة الإسماعيلية عام 1887 (في سن العشرين)، وعين بمرتب قدره 3 جنيه، ثم تقدم بعد ذلك بعامين (1889) الى مسابقة أخرى لوظيفة مترجم في مجلس النظار، ففاز بالسبق، وعين بمرتب قدره عشرون جنيه.
وبدخوله مجلس النظار مترجمًا امتدت حياته الوظيفية الى أن أصبح سكرتيرا عاما لمجلس الوزراء حتى عام 1931.
وقد جمع الى ذلك تدريس الترجمة في المدرسة الخديوية، وعضوية الجمعية الجغرافية، وأستاذ اللغة العربية في الأرسالية العلمية الفرنساوية.
وكان نبوغه في الترجمة مضرب الأمثال، فقد كانوا يدعونه الى الاحتفالات، حيث يتحدث بعض المستشرقين أو العلماء الفرنسين باللغة الفرنسية ويقوم أحمد زكي بالترجمة أولاً بأول. ويشير (أحمد فهمي العمروسي) الى هذه الخلاصة من خلاله:
فيقول:
 كنت طالبا في مدرسة العلمين التوفيقية، ونظرت لها اذ ذاك مسيو (بيته) وكان من داؤبه أن يطالعنا من آن لآخر ببعض من عظماء الرجال من مختلف الأجناس ونشد ما كان معتبناً أذ حضر
م3 - أعلام العرب 33
لنا ذات يوم ومعه شاب مصري نشيط الحركة، قوى البنية، بي
الطمعة تبدو على ملامحه أمارات النبوغ، وملامح العبرية، فقال
ان هذا الشاب آية من آيات النبوغ في الترجمة، وترجم أمامكم
قطعة فرنسية إلى العربية على البديهة وفي الحق أنه كان آية اعجاب،
اذ فتح كتاباً فرنسياً كان في أيدينا، وأخذ يتلو علينا بمجرد النظر
وعلى البديهة ما فيه بلسان عربي مبين.
وأشار العمروسي إلى أنه فعل ذلك في رحاء المستشرق
الفرنسي (كازانوفا) بكنيسة القديس يوسف بالقاهرة من
بضع سنوات، إذ فهض بعد أن أتم قومه مراتهم بالفرنسية من
أوراق يلدونها فأنه.
في ميدان الفكر

عاش أحمد زكي (بشا) في ميدان الحياة الفكرية والسياحية
نها وأربعين عاما (1894 - 1934) واعتقد أن مجال حياته
الفكرية قد تحدد بحضوره مؤتمر المستشرقين (الثامن) في لندن
عام 1893 في نفس العام الذي تولى فيه الخديو عباس زمان
السلطة، وهو نفس العام الذي امتدت فيه الحياة الفكرية
المصرية بظهور عدد كبير من الصحف والمجلات، كما بدأت فيه
مطاعم النظرة السياسية بظهور مصطفى كامل ودعوته الوطنية
ذات الطابع الحضاري المطلق الذي يقظ النفوذ، ورد إليها
الأمل في كلمات متلازمة مشرقة وجدانية.

وكان انتداب أحمد زكي لهذا العمل مسبقاً بجولات له في
الميدان، أعدته لهذه المهمة، وكان شقيقه (محمد رشاد) قد
مثل مصر قبل ذلك سنوات في أحد هذه المؤتمرات، التي كان
يختارها أهل العلم والفضل والقادرون على مواجهة المستشرقين
والباحثين الغربيين.

ومن هذه النقطة بدأت صلات زكي (شا) الواسعة المتعددة
مع المستشرقين والباحثين الغربيين في مختلف أنحاء أوروبا،
فأخذ يرسلهم ويزاحمهم في المخطوطات العربية العديدة الموجودة
في مكتبات العالم المختلفة، ومن هنا بدأ رحلته الطويلة للبحث.
عن التراث العربي، وقله أو تصويره، ومنها بدأ تكوينه لل즈انة الزكية.

وبالجملة، فأن هذته الذي عاش من أجله طوال حياته الفكرية قد تعدد مثلاً في تحققات تاريخية وجريافية ولغوية للتراث العربي كله، وجمع ما أمكن الجمع لهذه المخطوطات وراجعتها دقيقة لها.

وقد أطلق زكي باشا الاخلاص كله لهذه الغاية وتجرده لها. فكانت شغله الشاغل وعمله الأول والأخر، ولم تحل أعبائه العمل الرسلي الذي وكل إليه، والذي اتبع فيما بعد دون هذه الغاية.

فقد كان يخرج من الديوان في ساعات الظهر مهما شاركفهم، مكتبة الزكية في بابه الخاص من دار الكتب، فيمضي بقيته يومه إلى الليل، يتناول طعام غذاه وقهوه وشتركيته، وهو قارئ بحث مراجعة، يكتب تعلقاته على هواشم الكتاب، أو ينقل منها في جذاعاته التي تضخمت وتعددت، والتي كانت عونه في الإجابة في مثل رد الطرف على ما يوجه إليه من أسئلة، أو يجد مكتوباً في الصحف من أسئلة وأراءاً أو برقيات.

وهكذا يمضي يومه حتى يعود منهكا إلى داره في الليل، لستقبل عشرات من الأصدقاء والأعلام القادمين من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، ليسنبر معهم طويلا، وليتم بعد ذلك مساطه التقليدي بالعشاء.

وفي خلال ذلك لا توقف المناقشات ولا الأبحاث.

٣٦
ولا المراجعات حول أدق المسائل في تاريخ العرب والإسلام، وأسماء الأعلام والبلدان، ودقائق اللغة.

فأذا أقبل الصيف كان زكي (بشا) قد أعد عدته لرحلة إلى الآستانة أو أوروبا بحثاً وراء المخطوطات، ومعه «الفوتوغرافية» ينقل بها ما يباع من هذه المؤلفات ويدفع غالباً في سبيل الحصول عليها. وليس هو الرجل الثرى ولكنها الهمة والإيمان بالعمل الذي ينتمي له، والذي ظل مكباً عليه حتى تحقق له عام 1911 أن تقنع الدولة لرأيه، وأن يجد في (أحمد حشمت بشا) وزير المعارف إذ ذلك مجيها لدعوته إلى إحياء الأدب العربي، فيأخذ المشروع طرقي وحقق نجاحاً كبيراً في طبع عدد كبير من المؤلفات العربية.

ويواصل (زيكي بشا) عمله من أجل الأحياء، فهو متطلع كل صباح إلى الأهرام، يقرأ الوفيات فما أن يعلم بوفاة واحد من الكبار أو القبرة حتى يبحث عن آخره وكتبته فيشترى بالاشتراك مع صاحب مكتبة الخالجي، ويضم الصالح منها إلى مكتبة التي تضمنت حتى بلغت عام 1919 أكثر من ألفى مجلد وزادت بعد ذلك حتى بلغت 18 ألفاً.

وقد شغل هذا العمل (زيكي بشا) طوال حياته، وكان أعظم ما فيه هو مراجعة هذه الآثار الأدبية وقراءتها، واستيعابها، واستخرج النصوص المختلفة في فنونها وموضوعاتها في جذاذات بلغت الألفون، كان يعده زكي بشا في أذواق خاصة وضيف
لا يجعلها عدته في مراجعة الباحثين فيزههم بالجديد والمثير، لما لا يصلون إليه، لأنه لا يوجد إلا في مكتبه هو.

وحقق زكي باشا الاستمرار في هذا العمل والانفتاح عليه، وأمر هامان هما ميراثه لتركه شقيقه (محمود رشاد) التي بلغت فيما يقال أكثر من أثنتين عشرة من السنوات وثروة زوجته التي كانت من أسرة عريقة ثرية هي أسرة طوسون زعيم زادة.

سر تجار الجيزة.

وقد عني (زكي باشا) بأن يكشف بين أثاث وآن جانبا من جوانب هذه الحقائق العلمية التي كان يصل إليها في مراجعته، في مقالات مثيرة أو محاضر مسقفة يكتبها في الأهرام أو المقطم أو المؤيد أو يقليها في الجمعية الجغرافية أو أي ناد آخر.

وهو في كشفه عن هذه «الجوانب الغامضة» لا يتحرج من أن يقدمها بروح الازدهار والتقالير، ومع قدل كثير من الفكاهة والتشويق والتسهيل، بل يمكن القول أن عمل زكي باشا في مجال الفكر والتحقيق العلمي كان مرتبطاً بالكثير بالكشف عن الجوانب الغامضة، وثورة القضايا الضخمة ذات الدوام العاصفة، والتي ما أن تداع حتى تحدث ضجة كبرى، وتعليقات متعددة، ومراجعات واتقادات.

ثم لا يلبث زكي باشا بعد أن يبدأ الضجة أن يثير ضجّة أخرى يكشف على آخر أو تحقيق آخر.

وهكذا كانه مولع بأن يذكر الناس به، ويحدث الضجة.
التي تدور حول ما يستطيع أن يسبق به ويجزه من علم ونصوص
توجد عنه وحده ولا توجد عن غيره.
من أجل هذا استطارت شهرته في كل مكان ودوى اسمه في
أنجاء العالم الإسلامي والعربي، وراسله الكثير من الأعلام:
سائلين بما غض من تاريخ العرب والإسلام، وكان يجب هؤلاء
وهؤلاء مذهبا قائلا:

"عنى عنى وحدى خذوا الخبر الصادق"...

وقد كان زكي باشا حتى عام 1921 مقالا في هذه المراجعات
والمسرحيات، حيث كانت تشمله أعباء عمله الوظيفي، ومطالعاته
المتصلة ومراجعاته، واعداد جذازاته ونصوصه، وشراء الكتب
ونسخها وتعليقها بالفوتوغرافيا، فما أن أتيح له أن يتفرغ بالإحالة
على الأعمال حتى سفر عن هذا الجانب، وألحق بكل تقبله في
ميدان البحث العلمي فما تكاد تظهر صحفية أو مجلة من بحث له
أو معه، ومن قضية مثارة، أو مسألة له فيها رأى، وكانت صحيفية
الأهرام في هذه الفترة مجاله الأوسع، وميدانه الطليق. ففي
صفحتها الأولى كانت تنشر مقالاته وتعليقاته التي كان يرسلها إلى
الجريدة في أي وقت حتى منتصف الليل.

وعلى صفحات هذه الجريدة — التي كتب فيها منذ عام 1892
فصول رحلته إلى أوروبا والأندلس أول مرة — أثيرت عشارات
التحقيقات، ودفائق الأبحاث.

ومع ذلك فقد كتب (زكي باشا) في المنظم والبلاغ والمؤيد
من قبل فصولا متعددة وفي مجلات الهلال والمقاطف والمعرفة

39
والشورى والمجمع العلمي العربي ( دمشق ) والمجلة الجديدة وغيرها عشرات الأبحاث.

وجملة القول أن زكي باشا عاّل جئت الموضوعات وصحح عشرات الأخطاء وراجع ألواف أسما الأعلام والمدن ولكن لم يعالج موضوعا كاملا من موضوعات العلم أو بحثا شاملا من أبحاث التاريخ أو اللغة حتى بلغ من أمره إبان معركة اللغة العربية عام (1907 وما بعدها) أنه لم يدّل بدل أو يتحدث عن هذه القضية على النحو الذي يدل على أنه مشغول بها فقد كانت تستغرق في هذه السنوات أعمال احياء التراث ومراجعة ما أخرجته منه وما أعاد طبعه، وهو كثير. وقد تكلف جهدا ضخما شهد به كل من عاصره أو قرأ من بعد.

ويمكن القول بأن «هم» زكي (باشا) كان في الأغلب هو الكشف عن نواحي الكتب ثم الكشف عن المفهوم من الآراء والأفكار والتاريخ والواقع واعلامها في ضجة كبرى، وتأكيد القول بأنه سبق العلماء إلى ابرازها وتحقيقها، وكان في ابراز هذه الحقائق جريئا لا يبال أيما صنمت هذه الحقائق ما تواضع الناس عليه من معتقدات أو عرف أو تقاليد أو موروثات.
العمل الفكري

يمكن تقسيم عمل زكي (باشا) الأديبي إلى مراحل متصلة
بمراحل حياته ذاتها. فقد بدأ عمله الفكري بالترجمة وعوامل التراث
والتأليف فيما يتعلق بالتحقيق التاريخي واللغوي للأعلام والمدن
غير ذلك. وكان أبرز أعماله في هذه الفترة اختصار حروف
الطباعة وإدخال نظام الترقيم الغربي إلى الكتابة العربية، وقد
أثمر له أن يحضر في هذه الفترة عددًا من مؤتمرات المستشرفين
كما تواتت رحلاته في سبيل البحث عن المخطوطات ونقلها
بالavioletية، واتصل بهذا عمله في الجامعة المصرية القديمة،
سكتيريا عاماً لها وتدريسه مادة الحضارة الإسلامية عاماً واحداً،
وقد كانت هذه هي فرصة تكوين الخزانة الزكية وتنميتها.
ثم توقفت حياة زكي باشا العملية بعد أن بلغ منصب السكرتير
العام لمجلس النظار في عام 1951، فاتته بهذا المرحلة الأولى
من هذه الحياة، وهي متصلة متساسكة.
ومن هذه المرحلة، بدأت في خلال الفترة الأولى، ولكنها
يرزت على نحو واضح منذ عام 1931 حتى آخر حياته، وهي
مرحلة التوسع في التحقيقات التاريخية واللغوية وأسماء الأعلام،
وتاريخ الأندلس وما يتعلق به. وهي مرحلة عريضة خصبة بعيدة
المدى، نشر فيها زكي (باشا) عشرات المقالات في الأهرام وال almam.
و كثير من المجلات الشهرية والأسبوعية في مصر وفي العالم العربي، واتسمت هذه المرحلة ببرز جانب المساحلة والمعارك، فيما يتعلق بالقضايا التي كان يعرض لها، والروايات التاريخية التي كان يكشفها، مما كان يثير ضجة وجدلا كبيرا.

وستحدث عن هذه الجوانب من أعماله الفكرية في أبواب متعددة هي:

١ - الترجمة.
٢ - التأليف.
٣ - احياء التراث.
٤ - حروف الطباعة والترقيم.
٥ - إصلاح لغة الدواوين.
٦ - مؤتمرات المستشرقين.
٧ - في الجامعة.
٨ - الرحلة.
٩ - (القردوس الإسلامي المفقود).
١٠ - المكتبة الزكية.

ثم تفرد بابا كبيرا لعمله في المرحلة الأخيرة من حياته يتكون من فصولين:

١ - التحقيقات التاريخية واللغوية.
٢ - مساجلاته ومعاركه.

٤٢
1. الترجمة

كانت الترجمة من أعمال أحمد زكي الأولي التي استهل بها حيته، وقد قدم للغة العربية عدداً من المؤلفات أهمها:

1. أربعة عشر يوماً سعيداً في خلافة الأمير عبد الرحمن الأندلسى (عن الفرنسية) مصر سنة 1886.
2. تناج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام (تأليف محمود باشا الفلكى) 1888.
3. رسالة المعازف العومية في الديار المصرية ما يلزم ادخاله من الإصلاحات الضرورية (تأليف محمد سعيد) 1888 (مصر 1305 هـ).
4. الرق في الإسلام (تأليف أحمد شفيق) 1893 (بولاق 1309 هـ).
5. مصر الجغرافية (بولاق 1310 هـ) تأليف الدكتور فريدريك نويتولا سنة 1893.
6. تاريخ الشرق (تأليف ماسبيرو) 1897.

وهذه الأبحاث ترجمها في الفترة ما بين (1886 - 1897) ثم أتيح له بعد ذلك بآثر من عشر سنوات أن يعود إلى الترجمة حين دعي إلى تقديم بعض انتاجه إلى جريدة (الجريدة) عند صدورها، فاختار ترجمة قصتين على رفوف الجريدة، الأولى "السفر إلى القمر" لجوز فرن، بدأت الجريدة تنشرها في العدد الأول (9 مارس سنة 1907).

43
والأخرى قصة «قبل الاعدام» لفيكتور هيجيو، بدأ نشرها يوم 10 مارس 1907 واستمرت القصتان تنشران يومياً والمعرفة أن أحمد زكي كان يجيد الفرنسية اجادة تامة وأنه بدأ عمله الرسمي مترجمًا وكانت له براعة فائقة شهد بها الكثيرون وهو يقرأ الصفحة المكتوبة بالفرنسية فينقلها على لسانه باللغة العربية الفصيحة.

وقد لقيت ترجماته تقديرًا وافراً من النقد والباحثين، وتناولتها الصحف والمجلات إذ ذاك، وعنى بها القائمون عناية كبيرة، وكان أبرز ما في هذه الترجمات الدقة والتعليق وتصحيح الأسماء.

وقد أشار أحمد زكي (الذي تدرج خلال هذه الترجمات من مترجم أول في إدارة الجريدة الرسمية 1888 إلى مترجم مجلس النظار 1892 إلى سكرتير ثان لمجلس النظار 1899) إلى خطته في الترجمة في مقدمة كتاب «تاريخ الشرق» حيث قال: «بدأت في ترطيب الخرط، وضبط أسماء المواقع الجغرافية عنابة وتبها، لا يشعر بشيء منها، إلا من كابد مثل هذا العمل الشاق، الذي يوجب ضياع الأيام بحثاً في المطارات المتنوعة، والتراجع المتعددة للوقوف على حقيقة اسم واحد، خصوصاً وان هذه الخرط أغلبها يختص بلاد الشرق، وقد نقل الأفرنج أسماءها شهيرة مشهورة أو تعاروها مختلة ممثلة فكان ارتجاعها إلى أصلها موجباً لتب الكبير، قد لا يخلو الخائض عباءة من الزلل والقصير».

44
وفي كتاب "الرق في الإسلام" تحدث عن عمله في الترجمة قابض أنه حافظ على المعنى تمام المحافظة، مع مراعاة القواعد الإنشائية العربية والأساليب القولية الكلامية التي تجعلها أهلا للقبول عند الناطقين بالضم في جميع البلاد.
وأبرز ما في هذه الترجمات اللغة العربية الدقيقة، فالمؤلف قادر على الأداء باللغة العربية، وهو في نفس الوقت قادر على استيعاب النص.
وقد علقت على هواشم الكتب بشرح وحواس (تاريخية وغرافية ولغوية) أضاف بها كثيرة من التفصيلات وجعلها بها كثيرا من العوامض، وهي حواسب "ضة كثيرة من الفوائد المثبتة في كتاب العرب مما اعتاد الناس من ألسنة الأعاجم في هذا الزمان اعمالها".
وفي كتاب "الرق في الإسلام" عنى براجعات حول الآيات القرآنية والأحاديث والتوصيات الفقهية.
ولم يعد كتاب (تاريخ الشرق) من نقد المتوقف غير أن المؤلف كان قليل التدقيق أحيانا في الترجمة والتحرير، وأنه ترك ما كتبه المؤلف من فخر زائد بنسبة الغضب في البحث عن آثار الشرق إلى فرنسا وقال أنه كان يجلب بالذين وقعوا على هذا أن يجدوه أسوة بنا فعلوا عندما حذفوا تاريخ بني إسرائيل.
ولم يفت أحمد زكي أن يواصل طريقة في الهواشم حين ترجم القصصتين اللتين نشرهما الجريدة، فأخذضيف معلومات لغوية وترجمية على هامش الرغبة، وفي هذه الهواشم فائدة كبيرة.
حيث يعرض المؤلف للكلمة الفرنسية وترجمتها باللغة العربية. 
ومما يذكر في هذا الصدد أن بعض هذه الكتب كانت تترجم
لتقرر على الطلاب في المدارس، ومن ذلك كتاب تاريخ الشرق
الذي ترجمه بتكلف من يعقوب أرتيت وكيل نظارة المعارف،
وقد عاد زكي باشا بعد ذلك بسنوات طويلة فأشار إلى أن في
هذا الكتاب أخطاء وتحريرًا، وهكذا كان تاريخ مصر يكتب
الأجانب من وجهة نظرهم، وينشر على الطلاب دون تصحيح
لما يرد فيه من مغالطات إلا بعد سنوات طويلة.
أما جانب التأليف عند أحمد زكي فهو أكثر اتساعاً، فإن
كانت مؤلفات أحمد زكي باشا لا تعدو أن تكون أبحاثاً صغرى
محدودة، وهي في مجموعة أشبه بالتحليق، وقد توقفت تماماً
عند 1912، فلم يصدر بعد ذلك مؤلفاً، وأكتفى بالفصل التي
كان ينشرها في الصحف.
وقد بلغت هذه المؤلفات - وكلمة مؤلف هنا تشمل
تجوزاً - 31 كتاباً أحصاها "كرد على" في مجلة المقتبس
عام 1912.
وجمل هذه الأبحاث قطاعات من التاريخ، أراد أن يكشف
بها بعض الجوانب الغامضة، وقد تعمد أن يمؤلف بعضها بالفرنسية
كاختراق البارود، وبلاد القيوم، وتسامح المسلمين، والفنون
والصناعات الإسلامية في مصر، وعلاقات مصر بالأندلسية،
وأهل الكهف، وسراديب الخلفاء الفاطميين، والطيران في
الإسلام، والتجارة في الإسلام، ومواساة总计ان، والعرب
واكتشاف أمريكا، وبيقايا العرب الخالدة في أوربا.
وبعض هذه الأبحاث محاضرات ألقاها أحمد زكي في الجمعية
الجغرافية التي كان عضواً فيها أو في مجتمعات أخرى.
وله كتابان عن رحلتي هما: ( السفر إلى المؤتمر ) وهو
قصة رحلته إلى أوربا وأسبانيا عام 1893 لشهود المؤتمر.
المستشرقين في باريس، والثاني (الدنيا في باريس) وهو عن
معرض باريس 1900.
وتضمن هذه الأبحاث تخطيطا لعمل زكى باشا في مجال إحياء
التراث العربي مثل كتب:

* موسوعات العلوم العربية.
* تقرير عن الكتب التي خلفها العرب بالأندلس.
* الوسائل المرتبطة إلى إحياء الآداب العربية في الدنار المصرية.
* الترقيم وعلامات اللغة العربية.
* قاموس الجغرافيا القديمة.

ثم هناك خطبة في افتتاح الجامعة، ودروس عين الحضارة
الأسلامية التي ألقاها عام 1908، وتبدو في هذه المواقع معالم
اتجاهات أحمد زكى في مختلف ميادين الفكر التي خاضها خلال
حياته كلها وخلال عشرين عاما بعد هذه الكتب وهي:

* إحياء التراث العربي.
* التحقيقات التاريخية والجغرافية واللغوية.
* الرحلة.

ويعود (قاموس الجغرافيا القديمة) الصادر سنة 1901 من
أهم هذه الأعمال وهو علامة على أعماله المتصلة بعد ذلك في ضبط
الأعلام العربية، وإقاد ما يُقابل الأعلام القديمة من أسماء،
وتصحيح لبعض من الأعلام التي حرفها الأفرنج، ومسحها،
وظل أحمد زكى يعمل على تصحيحها حتى اللحظات الأخيرة من
حياته، وقد رد كثيرا من الكلمات إلى أصولها كالمدينة المسماة
48
عند الإفروج (مبوسوباست) فإنها بالعربية (المصيصة) والجهة المسماة (رد كاسين) فإنها بالعربية (رأس التنين) وجبيل (آزارات) فإنها في العربية جبل الحرف، ومدينة (الأبيد) أو العبيد فانها بالعربية (الأبيض).
وفي هذا الكتاب أعلن أحمد زكي أنه يعد مهما كبيرا وافيا في هذا الموضوع (وأنه إذا نال هذا استحسانا فان ذلك سيستدعي سياسة لبرز المعجم الكبير الواف الذي جمعته في هذا الموضوع المفيد).

وبعد أن الكتاب لقي تقدير مختلف الدوافع فإن أحمد زكي لم يخرج معجمه الكبير حتى توافق، وما زال مدفونا في غرفة منزله في عيداد الدكتور زكي بدر بجوار وزارة الأوقاف.

وقد اتفق (حبيب غزالة) اسم الكتاب (المقطع مجلد 22 سنة 1901 ص 573) وقال أنه لا يحسن إطلاقا التسمية بوجه التعريج (أن جميع ما حواه القاموس اسمه هو أعلام قديمة أصلها مصر أو فنيقي أو يوناني مكتوبة فقط بالحروف اللاتينية التي هي حروف كل اللغات الأوروبية، كما أورد له عددًا من التصحيحات (مقطع يونيو 1961).

ولكن كان قد أشار في أن القاموس لا يستغني عنه عالم أو أدب لأنه من الضروريات وأن اللغة العربية كانت في حاجة إلى قاموس من هذا النوع.

ويمثّل كتاب (موسوعة العلوم العربية) الصادر سنة 1891
خطة أحمد زكي في العمل من أجل الكتب، فقد بحث مرايا علم (البليوغرافيا) وهو علم وصف الكتب واتزان الأفرنج له، وأسس الذين فتحوا بابه من المؤلفين في اللغة العربية أمثال صاحب النبهريست، وصاحب كشف التنزون، كما عرض كلمة (انسكالوبيديا) وتعريفها وقد اختار لها كلمة (موسوعات العلوم) التي أطلقها من قبل «الصاعين بن مصطفى» على كتابه «مفتاح السعادة».

وأفضى أحمد زكي في التحدث عن الموسوعات العامة، ووصف كتاب «احصاء العلوم وتربيتها» لأبي نصر الفارابي، وكتاب وصف العلوم وأنواعها لأبي حاتم البستي وطلقات العلوم، والإيبرودي، وحادائق الأئور، للرازي، كذا تحدث عن الموسوعات الخاصة، ووصف كثيرا من الكتب الجامعة لأشتات العلوم، ونالزلم إلى طبع هذه المؤلفات.

وفي ختام الكتاب تحدث في فصل مسبوب عن رسائل أخوان الصفا، وقد تهي أنها من تأليف المجريتي فيوان واف.

وقد دعا أحمد زكي باشا في كتابه الحكومة إلى تخصص مبلغ من المال لطبع ما لم يطبع من هذه الكتب قبل أن يسلب من البلاد الشرقية أو تحل به نكبة أخرى من نكبات الزمن، وقد جاءت هذه الدعوة عام 1891 وتحقق عام 1911.

وأعتقد أن أحمد زكي أبحاثا أخرى لم يضمها هذاثبت منها (ملحق الأغاني) الذي جمع فيه مؤلفات صاحب الأغاني ومن جاء بعده (وهو لم يطبع).
ورسالته عن مجالس "المعدات والندادات" في مصر، وهو الموضوع الذي قدمه إلى مؤتمر المستشرقين...

وقد حاولت الحصول على هذه الرسالة غير أنني لم أجدها في دار الكتب وقد جمع أحمد زكي أشعاره ورماثيه، وقال:

هذا الموضوع محفوف بالهوموم والأحزان، ولكن البحث فيه يكشف القناع لأرباب الاطلاع من علماء الأخلاقين على بعض أمورهم...

ربما كان نساء العامة في مصر المتنقذات بالعمل بهذه المواضيع البالغة ومراعاتها بكل دقة، كأنها هي فرض من الفروع، وذلك لأنهن في كل حمس (وهو يوم تجدد الجدد) يتجمعن زرافات زرافات ويسكنن في بعض أرقة العاصمة ساكنتن ساكنتن كأنها على روؤسهن الطير حتى يصلن إلى دار صديقتهن التي طرق الم وت بابها، واختطف واحده من أربابها وكلهن يتدررن بلباس سوداء، ويضعن على روؤسهن مناديل زرقاء، فإن ذلك هو البس الرسمي المقرر عنهن في مجالس العزاء.

وأشار زكي باشا إلى أن المعدات والندادات في مصر طائفة منتظمة مزالت محافظا على مالها من الحظوز والتأثير، والمرأة مهذبة غيرها من النساء، ولكنها متي تفرغت لوظيفتها دبت فيها حياة أخرى، وظهرت في نشأة ثانية بمظهر جديد.

وقال: إنا الذي دعاني للاهتمام بهذا الموضوع ما رأيته من عيانية أهل البحث والتدقيق من الأفرنج بكل ما له صلة بأحوال الشرق، ولما كان كثير منهم قد يقع في الخطأ ويجعل للأمور علاً
وأسماء يعزوها إلى الدين الإسلامي عن قصور فهم أو تبادل
من مخيلته بحسب ما يصوره له الوهم من غير أن يكون له من
المعرفة.

فقد أحببت أن أستوفي في هذه النبذة كل ما وصل إليه
علمي من بعض عادات قومي فضلاً عن القائدة الأدبية الجميلة,
وهي المحافظة على الأشعار التي تبوح بها المكائد والندبات أثناء
الرثاء، فإن في كثير منها معاني دقيقة وأفكاراً حكيمة، فقد
لا يجدوا الباحث في المراثي الشهيرة التي يعمل الشعراء فيها
فكرةً ويبتدعون الأوقات الطويلة في سبكها ...

وقد جمع أحمد زكي في هذه الرسالة أكثر من ألفي بيت من
مراثيهم ولا تزال هذه الرسالة مخطوطة لم تطبع.

وليس شك في أن مؤلفات زكي باشا في هذه الفترة — وهي
لا تمثل كل انتاجه ولا تطور تفكيره وآرائه من بعد — تخطى
صورة واضحة لمقدرته الفكرية وتنوعاته العلمية. فهي تمثل جميع
الجوانب التي خاضها أحمد زكي بتوسع: تحقيق التراجع،
والمدن والجغرافيا، والتوسع في الدعوة إلى أمجاد العرب
والكشف عن تراثهم. وفيها صورة رحلاته وأصدقائه وعارفه
وجوه العلمي كله.

ويمكن القول بأن أسلوبه في الكتابة في هذه الفترة قد غلب
عليه السعي والزخرف وهو ما لم يخلص منه أحمد زكي إلى
آخر أيامه تخلصاً نهائياً، وان تخفف منه كثيراً.
وفترابة الرحلة عاول أن يدخل أسلوباً جديداً لم يكن

54
معروفًا من قبل وهو الفكاهة والسخرية والانطلاق بالقارئ في أجواء بعيدة عن البحث العلمي الصرف. ولذلك سنة سار عليها من بعد إبانا منه بأن الأبحاث العلمية الخالصة تزعج القراء في الكتب أو الساعمين في المحاضرات فتزحرفهم عنها. لذلك كان حفياً بأن يضيف شيئًا من تواصل الفكاهة والسخرية وادخال روح المرح على القارئ والسامع دون أن يتهدى بذلك نطاق العلم أو يؤثر في منطق الحقائق العلمية ذاتها.

وقد نشأ أحمد زكي في بيئة السجع والزخرف المعروفة في أواخر القرن التاسع عشر، ولكنه لم يكن عبداً لهذا النهج. فقد أعطاه ثقافته الفرنسية — بالإضافة إلى طلوع فجر الأسلوب الجديد الذي عرف به محمد عبده وإبراهيم الويلجي وعبد الله فكرى وغيرهم — إلى أن يتحرر أسلوبه رويداً وأن يأخذ طابعًا خاصًا عرف به، قوامه الدعابة والعاطفة في طريقة العرض وربما كانت الحماسة غالبة على المضمون دائماً ولكن مع إبراز الأساليب والمصادر العلمية.

ولامشك تحت مؤلفاته حتى عام 1912 — وهي في الأغلب — كل ما طبع له إلا النادر القليل مما لم نصل إليه — تعطي صورة العالم الباحث المنطلق إلى غاية كبرى قومها. 

* اطلع علماء الغرب على حقيقة لا شك فيها وهي سبق العرب وفضلهم في كثير من المجالات ولذلك كانت أغلب هذه المؤلفات بالفرنسية أو بالفرنسية والعربية وكان هدفًا من ذلك أن تصل إلى هؤلاء العلماء بلغتهم.
* ابراز جانب الاهتمام بالمخطوطات والأحياء الأدبي للتراث العربي.
* تصحيح أسماء الأعلام والأماكن والمواقع التاريخية والجغرافية.
* العناية بجوانب التاريخ العربي الإسلامي واللغة العربية.
* إصلاح المطبعة وادخال الترقيم.
 مؤلفات أحمدي زاكي

1 - موسوعات العلوم العربية، وبحث على رسائل أخوان الصفا.

2 - الدنيا في باريس ( رحلة معرض 1900 )

3 - السفر الى المؤتمر ( رحلة أوروبا 1894 ).

4 - بحث عن اختراع البارود والدفاع وما قاله العرب في ذلك ( بالفرنسية )

5 - تقد العهدة النبوية ( الموجود صورتها في دير الطور ) بالفرنسية.

6 - بيان الوسائل الموصولة إلى احياء الآداب العربية بالديار المصرية ( بالفرنسية ).

7 - بحث في طريقة احياء الفنون والصناعات الاسلامية بديار مصر ( بالفرنسية ).

8 - تقرير عن الكتب التي خلفها العرب بالأندلس.

9 - بحث في الترجمة العربية لكتاب الفيلسوف بمستو الديأي. الذي حاول تجديد الوثنية وعبادة الإنسان ( بالفرنسية ).

10 - بحث عن الفيوم وبلاده في أيام الأيوبيين ( بالفرنسية ).
11 - كلمة عن محمد علي الكبير بمناسبة عيد المئوية.
12 - سيرة فخرى باشا.
13 - سيرة رياض باشا.
14 - تسامح المسلمين مع أهل الأديان الأخرى (المقتبس).
15 - الترقيم وعلامات اللغة العربية.
16 - غرام العرب بالكتب (المقتبس).
17 - قاموس الجغرافيا القديمة.
18 - بحث في علاقات المصريين مع الأندلسيين (بالفرنسية).
19 - تحقیق جغرافی تاریخی عن أهل الكهف (بالفرنسية).
20 - دروس في الحضارة الإسلامية.
21 - خطة افتتاح الجامعة المصرية.
22 - في الأسباب التي ارتقت بها الإسلام.
23 - تاريخ الشرق في الأزمان القديمة (بالفرنسية).
24 - بحث عن سرديب الخلفاء الفاطميين بالقاهرة (بالفرنسية).
25 - الطيران في الإسلام (بالفرنسية).
26 - محاضرة افتتاحية عن التجارة في الإسلام (المقتبس).
27 - محاضرة عن الشام والبحرية (المقتبس).
28 - بحث عن مؤسسة العيون في دول الإسلام (بالفرنسية).
29 - مصر والجغرافيا (عن الفرنسية).
30 - العرب وأمريكا (محاضرة).
31 - بقايا العرب الخالدة في أدرنة والدلائل اللغوية المؤيدة لذلك.

56
ومع ضخامة عدد هذه المؤلفات فإنها عبارة عن كتابات وقطعات مختلفة من الأبحاث لا تمثل عملا أديبا ضخما كما كان يتوقع أن يقوم به أحمد زكي غير أن أبحاثه التي نشرها في الصحف والتي تبلغ أكثر من ألف مقال وبحث يمكن أن تكون موسوعة ضخمة في تحققيات التاريخ والجغرافيا واللغة.
3 - إحياء التراث

هذا هو العمل الضخم الذي وهب له أحمد زكي نفسه منذ مطالب حياته، والذي بذل له من اهتمامه وماله كل ما يملك.

وفوق ما يملك. فقد نل مدينا من جراء شراء الكتب.

وقد كان هذا العمل متميلا في الحصول على المخطوطات العربية من رواج التراث العربي المفقود، التي حملها الغربيون معهم من الشرق بعد الحروب الصليبية، أو من الأندلس بعد اخراج العرب منها، هذه المخطوطات التي تعد بالألوف، والتي هربت إلى الغرب، وتمجمع في مكتبات عواصم أوروبا، والتي سبق المستشرقون والباحثون الغربيون إلى تحقيق عدد كبير منها، وطبعها بعد اعداد فهرس مفصلة لها، دراسات شاملة عن موضوعها ومؤلفها.

وقد رأى أحمد زكي بعض هذه المخطوطات التي طبعها المستشرقون، وتعلع إلى أن يقوم بمثل هذا العمل، وامتلأت نفسه بالرغبة في أن يقوم بالبحث عن هذه المخطوطات ومراجعتها وتتبعها وطبعها، كما امتلأت نفسه بالحساس صادق بالفكرة على هذا التراث الضخم المفقود، والتناثر في مكتبات العرب دون أن يتفن به أصحابه وأحفاد كتابه.

من أجل هذا ملأت نفسه الرغبة في أن يقوم بجهد في هذا الاتجاه، واستهل جهده هذا حين قام مؤتمر المستشرقين في لندن عام 1892 عشرة كتب قديمة تقلها وصححا.
وقد أتيح له أن يزور مكتبة الأسكندرية خلال زيارته لأسبانيا (الفردوس الإسلامي المفقود) وأعد تقريراً شاملاً عن هذه المؤلفات.

ومضى أحمد زكي يواصل عمله ذلك من خلال رحلاته المتواجدة إلى عواصم أوروبا وحضوره مؤتمرات المستشرقين وزيارته دور الكتب في باريس ولندن وأثينا، وينتفق من أجل الحصول على نوادر التراث العربي.

وقد استطاع بعد الاقطاب العثماني عام 1909 أن يسافر إلى الأستانة وأن يحقق نجاحاً كبيراً في هذا المجال، كما استطاع بنغذ صديقه المرحوم حسن حلمي باشا الصدر الأعظم أن يدخل قصر أندرون، حيث توجد أنتس خزانة للكتب. هذه الخزانة التي كان محوراً على أفراد الشعب أن يدخلوها ولم يدخلها سوى الخليفة، حيث يوجد وصفه أحمد زكي بنوادر الجوهر وغويلى الذخائر بعد أن كانت موصدة في وجه الجميع، منذ أربعة قرون وستة أعوام.

وقد أقام أحمد زكي في هذه الخزانة أربعة شهر شهور متواجدة، ومعه - على حد تعبيره - جيش من المصورين بالتوترافيا من أثراك وأرامنة وأروام. 

وهكذا واصل أحمد زكي عمله في سبيل البحث عن المخطوطات واحية التراث، وهي المهمة التي جرد نفسه لها ووصفها بقوله: "ما كان يرضى بشيء سوى ما فيه تصديع الدماغ ووجع القلب وتعم العين في التوفر على معايلة الكتب المخطوبة". 

59
وكان اتجاهه إلى استخدام التصور الشمسي في تقل هذه المؤلفات عملاً جديداً خطيراً لم يسبق لهسبقه إليه سابق من العرب. ولم يمض إلا القليل حتى استطاع أن يقدم مشروع احياء الآداب العربية إلى وزير المعارف (أحمد حشمت باشا) الذي كان حينا بهذا العمل مقدرا له، كما قدم كشفاً بأسماء الكتب التي تتخذ نواة للمشروع.

وأستطاع أن يجعل مجلس النظر يعتمد للمشروع ٣٩٣٣ جنيهًا في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠، وذلك لاحراز واستنمار وطبع ٢٧ كتابًا من الخطوط العربية، على ما جاء في مذكرة أحمد زكي بك السكرتير العام لمجلس النظر، التي تقدم بها لرئاسة المجلس، والمحالة على وزير المعارف سعاده أحمد حشمت باشا. وبرز مشروع احياء الآداب العربية، وصار من حق المجلس الأعلى لدار الكتب الأشرف عليه، وفعلاً بدأت العمل بطبع موسوعته " نهاية الأدب في فنون الأدب " للنويري « ومسالك الأبحار في ممالك الأمصار » لا بن فضل الله العامري.

ومضى أحمد زكي يعمل من أجل مشروعه عملاً متواصلًا، وتوالت أسفاره ورحلاته إلى مكتبات استانبول وباريس، وقد حقق هذا المشروع طبع أكثر من خمسة وخمسين مؤلفًا وتوقيف. يقول محمد كردي على " أنه أحب أن يتفرد وحده بهذا العمل، وما كان يجب التدقيق ولا ينتمي لتحقيقات غيره أبدًا بالطبع في إخراج العمل فاسترجع المبلغ.

ولكن زكي باشا مضيف في عمله، فنقل بضعة عشر آلة من

٦٠
الكتب بالتصوير الشمسي ومضى يحقق هذه الكتب وراجعها ويتمها للطبع، بعد التنقيح والاعداد، مضافا إلىها تعليقات وشرح.

وبلغ من اهتمامه أنه سافر إلى فلسطين، ومعه مسودة (مسائل الأベースار لابن فضل الله) فكان يقرأها على بعض علماء القدس الآخرين، ويلقع بينما ورد فيها من وصف آثار القدس وما هو موجود اليوم.

كما أنه أثار في مؤتمر المستشرقين في أثينا سنة 1919 مسألة هامة في تحقيق التراث، وهي أمانة النقل عن الأسلاف، وحل يجوز لطابع كتبهم القديمة أن يتررف في تلبه بالجذف والخلاص والتهذيب أو يبقى الأصل كما ورد، واستمر الرأي على ضرورة بقاء كتب التراث على حالا الأصلي.

وكان زكي باشا قد طبع كتاب (نكت الهميان في نكت العمان) فأثار ذلك ضجة لما ورد فيه من عبارات اعتبرت مكرسة لا تلائم آداب العصر، كما كشف العلماء في إحدى هذه المؤتمرات بكتاب (الأصال) لأبي المنذر هشام بن محمد، وأطلعهم على كتاب منقوذ ولا توجد منه إلا هذه النسخة.

ومضى زكي باشا في كل مكان يبحث ووجود في دمشق كتاب "مثال العرب" لأبي المنذر، وفي اليمن أحرز كتاب الأكليت للهمداني.

وقد أثارت مختلف المخطوطات التي أحياها زكي باشا وطبعها اهتمام الباحثين، فقد قدم لهذه المؤلفات بدراسة عن المؤلف...
وسيرته وتأليفه، وعن الأعلام الذين وردت أسماؤهم في الكتاب.

وعلق على الكتب تعليقات تاريخية وشرح لغوية. وكان في مقدمة هذه الكتب: الأدب الصغير، لأبن المقفع سنة 1911م، وكان قد نشره تجليا عن مخطوط ظهر به في إحدى مكتبات الاستادرة. كما نشر كتاب الأسانم لأبي المذر هشام بن محمد بن سهاب بن بشر الكلبي، وكان لبعض هذا الكتاب أهمية كبيرة، وقد ضمنه فهارس وجدول وأنبج بأسماء الأسانم التي لم يذكراها ابن الكلبي.

ومن هذه المخطوطات التي أثارت مناقشات متعددة، كتاب
الجاحظ. الذي نشره عام 1914م، ونسبه إلى واسع النطاق، وخدمه من حيث التعريف على متنه، وتحقيق روايته، ووضوح أجلرها بالاعتماد، وتفسير نسبته، مع مقدمة باللغة الفرنسية ذكر فيها فضائل الجاحظ وقال انه في الأدب العربي كتولير ورينان في الأدب الفرنسي.
.cosmos145/1/171

موسوعات

نيابة الأرب في فنون العرب (لبشير الدين
النويري) طبع منه ٨ أجزاء

مسالك الأنصار في ممالك الأمم (لأبي فضل
الله العميري) ج١

جامع العلوم لمعين تلمسن أبي زيد أحمد بن
سحيل البلخي.

النادر: للمفضل الصغير: المعروف بالوحشيات

(لأبي تمام).

سر الفضحة: لأبي سنان الخفاجي.

التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل

إلى تسليم الترسل، للحميد.

رسائل وخطب وأشعار السلطان الناصر يوسف
صلاح الدين الأيوبي.

مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحمن
اليسائى، معروفة بالـدر النظيم في ترسل
عبد الرحيم.

٢٣
 الحديث

* فنون العجائب (في الحديث).
* اكرام الضيف.

آداب الملوك

* كتاب الناج للباحث (طبعه بتحقيقات وصور).
* مجلس الملوك للباحث.
* رسائل الملوك ومن يصح للسفارة لأبي عي.
* الحسن المعروف بأبي القراء.
* تبني الملوك وسياستهم في تدبير الأمة والمال.

التاريخ

* المغتالون من الأشراف في الجاهلية والاسلام.
  - لمحمد بن حبيب البصري.
  - ذيل تجارب الأمم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والمسلم.
  - العجم لابن مسكيه، تأليف أبي شجاع.
  - أحد وزراء الدولة العباسية.
  - درر التيجان، وغير تراويخ الزمان لأبي بكر.
  - ابن عبد الله بن أيوب الداوداري المصري.
  - كنز الدرس وجامع الفار (له أيضا).

التراجم

* أنباء الرواة على أنبي النحاة للقاضي الأكرم.
* الوزير القطب المصري.
* تزه النزه في الألفاظ (لاحسن حجر العقلاني).
* التأليف الظاهر في شؤم الملك الظاهر (لاحسن).
* هدية العبد الناصر، إلى الملك الناصر أبي...
السادات محمد بن السلطان الملك الأشرف,
لمحمد الصاعد الصالحي.
سبك النصار وکسب المجاهر تطرير الدرو ونظم
الأشقر في سيرة الممز الأشرف السيفي إقبال
الاسد الظاهر، لمحمد بن محمد بن عبد الله
الزكي.

١ النسب:
شجرة النسب النبوى الشريف (تأليف السلطان
الملك الأشرف أبي النضر قانصوه الورى
المعروفة بسلسلة الأنساب.

٢ الجغرافيا:
صور الأقاليم الإسلامية: (لأبي زيد أحمد بن
سهل البلخى) بالخرط.
صور الأرض وصفة أشكالها، ومقدارها في
الطول والعرض وأقاليم البلدان، ومحل العامر
منها، والصبر في جميع بلاد الإسلام بتفصيل
مدها وتقيس ما تترد بالأعمال المجموعة اليها
هيئة أشكال الأرض مع صورها بالطول
والعرض.

نرى المشتاق في اختراق الآفاق: المعروفة بكتاب
رجار للشريف الأدريس بالخرط.
رحلة الأمير يشبك الظاهرى وهو أحد جنود
رحلة للجنود المصرية وفتوحاتها.
كمال العرض في دفع السموم وحفظ الصحة

٦٥ أعلام العرب
للقوصوني الطبيب في عصر السلطان قانصوه
علم طبيعة: سرور النشأ بمدارك الحواس الخمس (لن ابن المكرم صاحب لسان العرب ابن منطور المصرى. الباهر في علم الجواهر.
المعادن: الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الجيل.
طب الطيور: مستخرج من خزانة الرشيد.
علم الفلك: التفهم لصناعة التنجيم لأبي الرياحي البيروني.
الحراب: الفهم والملاحظ (للفضل الضبي).
كتاب العود والملاهي (الصور).
علم الحروب: النزول والصوفي للمشاجرين بآلات البارود والمدافع (لأبائن خان الزين) (بالأشكال).
الأنق في الناجي (بالصور والأشكال).
التذكرة الهروية في الجيل العربي للسائح الهروي.
ديانات قلبية: فلسفة الوثنيين، وهي قطعة بقيت من كتاب
تسميط.
كتاب الأصنام لابن الكلبي (حققه أحمد زكي).
فنون متنوعة: أطاف المعارف للنيلسابوري.
عين السمع مختصر طرد السبع للصلاح الصوفي.
الألم بإداة دخول الجمام للقوصواني المصري.
الكوكب الدرى في أوجوية السلطان العوسي.
التياس المجاس السلطانية في حقائق الأسرار،
لجهية من العلماء في عصر السلطان العوسي.
وهو من جملهم.
الترقيق في العطر: للفيلسوف الكندي.
كتاب الآلهة المستعملة في عهد سلاطين المماليك
لؤلؤ ينثى نسبه إلى أحد ملوك مصر، ولم
يذكر اسمه.
الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيات والطيب.
(لم يذكر مؤلفه).
(55) كتاباً
4- اختصار حروف الطباعة والترقيم

أولى أحمد زكي اهتمامه لجوانب دقيقة ذات أهمية كبرى في مجال تحسين المطبعة العربية، وادخال اتجاه جديد من الحروف والعلامات عليها، وكان له في ذلك جهد ضخم تمثل في عمل تاريخي ما زال يبقا إلى اليوم. فحروف المطبعة العربية التي كانت 40 شكلا استطاع أحمد زكي أن يختصرا إلى 27 شكلا شاملة قواعدها في الرقعة والثامن، وذلك على بعض الروايات.

وكان ذلك من المشروعات التي أثارها وشارك معه فيها حرمة فتح الله، وأمين سامي بعد أن تبين أن مطبعة بولاق الأميرية ظلت محظفة حتى أوائل هذا القرن بأشكالها الأولى، عندما أُنشئت في الثلاثينات من القرن التاسع عشر.

وقد سافر أحمد زكي (السكتير الثاني لمجلس النظر) إلى أوروبا مع شيلو بك مدير المطبعة الأميرية، حيث طافا مطاعم ومسابق استانبول وفيينا وليزين وبرلين ولندن واكسفورد وباريس للنظر في الوسيلة العملية لاختيار صندوق الطباعة، وتسهيل جمع الحروف، وقد قام أحمد زكي بعمل تجارب واختبارات يومية في مطبعة بولاق استمرت ثلاثة شهور كاملة. ووجاءت نتائجها كما عبر عنها المكتوب (أبريل 1903) ناقلة بخصوص بنا على أن الطرق التي اخترها - أحمد زكي - تنتمي من كل وجه لجمع أي عبارة عربية أو تركية أو فارسية مما كانت صعوباتها الخطية والمطبعة وقد نثر أحمد زكي مذكرة.
ضافية في هذا الصدد ذكر فيها أنه أمكن الاقتصار على ١٣٧٨حرفًا و ٤٦ علامة بدلا من الحروف التسعمئة التي تستعمل في مطبعة بولاق. وأشار إلى أن اعتماد الطريقة الجديدة في مطبعة بولاق سيعود بفوائد كبيرة أقلها حصول وفر في المصنعة لا يقل عن ٢٥ في المائة.
علامات الترقيم

وكان لأحمد زكي جولة أخرى في هذه الميادين البكر، هي ادخال علامات الترقيم على الكتابة العربية وفق النسق المستعمل في كتابة اللغات الأوروبية، وكان القاريء قبل استعمال هذه العلامات - على حد تعبير الدكتور أحمد عيسى - يعتمد دائما في حركات القراءة والوقوف على الذهن والقريحة، وليس أمامه أشارات أو علامات ترشده إلى ذلك، وقد يتربث على ذلك أن يعيد القاريء بعض الجمل حتى تستقيم القراءة.

ومن أجل هذا فكر أحمد زكي في ادخال هذه العلامات، وقد قرر ذلك في رسالة أصدرها عام 1912 جاء فيها: "دلت المشاهدة وعزمها الاختبار على أن السامع والقاريء يكونان على الدوام في أشد الاحتياج إلى نبرات خاصة في الصوت أو رموز مرفقة في الكتابة يحصل بها تسهيل الفهم والادراك. وقد شعرت الأمم التي سبقت في مياه الحضارة بهذه الحاجة الماسة فتوافز علماها على علامات مخصصة لفصل الجمل وتقسيمها حتى يستعين القاريء بها عند النظر إليها على تنوع الصوت بما يناسب كل مقام من مقامات الفصل والوصول أو الابتداء إلى ما هنالك من المواقع الأخرى التي يجب فيها تميز القول بما يناسبه من تعجب واستفهام.

وأول من اهتدى إلى ذلك رجل من علماء النحو من روم القسطنطينية اسمه (ارسطوفان) من أهل القرن الثاني قبل
الميلاد. ثم توفرت أمم الأفرنج من بعده على تحسين هذا
الاصطلاح واتخاذه إلى الغاية التي وصلوا إليها في عهدها الحاضر».
* وأشار إلى أن اللسان العربي لا يزال مضطرا رغم أنه
التصور والتسكع على الدوام والى مراجعة نفسه نفسه ،
ومهما بلغ درجة من العلم لا يتسنى له في أكثر الأحيان أن يتعرف
مواعق فصل الجمل وتقسيم العبارات أو الوقوف على المواضع
التي يحسن السكون عنها .
ورأى أن الوقت قد حان لادخال هذا النظام في كتابتنا الحالية
مطبوعة أو مخطوطة تسهيلًا لتناول العلوم.
* وأشار إلى فضل « أحمد حشمت » (وزير المعارف ذو
ذلك ) في تدارك النقص الحاصل في تلاوة الكتابة العربية ونسب
اله الفضل في طلب استنباط طريقة لوضع العلامات التي تساعد
على فهم الكلام بفصل أجزاءه بعضها عن بعض .
فبدأ زكي ببناء بمراجعة الكتاب العربية التي وضعها الباحثون
من السلف الصالح في الوقوف والاستدلال ورجع إلى ما تواضع
عليه الأفرنج في هذا المعنى ، وما كتبه العلماء ( ده ساسي ) فوجد
أن الطريقة العربية القديمة التي أشار إليها السرناوالي الشاطبي
لا تختلف عن الطريقة الغربية الا في جزئيات دقيقة .
واصل فعل على تسمية هذا العمل بالترقيم لأن هذه المادة تدل
على العلامات والإشارات والتقوس التي توضع في الكتابة وفي
طريقة المنسوجات .
وعلامات الترقيم هي:

،

.?

.

؟

،

علامة الاستفهام

.

!

علامة الاقسام

.: النقطتان

 نقط الحذف والاضمار

.

القرطة

التضبيب

قوس

والألف:

الله

أولائك

بسم الله الرحمن الرحيم

السموات

هذا

هؤلاء

72
طريقَة الاختزَال

وكان من همَّه أيضاً ادخال طريقة الاختزَال في الكتابة العربية للمساعدة في تقلِّل الخطِّ وعِبرها بالسرعة والدقة لصِيانة الأقوال عن الضياع، ووضع لذلك جائزة قدرها خمسون جنيهاً لم ينبغي من المصريين في هذا الفن.

ولكنه لم يوفق للثور على من يحسن الاختزال.
5- إصلاح لغة الدواوين

عمل أحمد زكي في مجلس النظر منذ أن عين مترجمًا بـ عام 1893 إلى أن أحيل إلى المعاش عام 1933، أي أنه أمضى ثلاثين عاماً كاملة في مجال الرسائل الديوانية، وقد كان له خلال هذه الفترة أكبر الأثر في مجال الترجمة وتهذيب لغة الدواوين، وتخليصها من العبارات التركية والاصطلاحات القديمة. وقد كان عمله هذا بمثابة انقلاب في اللغة الحكومية، فقد أدخل عشرات من الألفاظ العربية السهلة في مكان الألفاظ التركية، أو الألفاظ الأجنبية.

وكان إليه المرجع في هذه الفترة في كل ما يتعلق بالرسائل والخطابات الديوانية التي ترد من مختلف الوزارات والمصالح، ومباشر الميزانيات، ولذلك استطاع أن يؤدي عملًا إيجابياً في مجلس النظر خلال هذه الفترة بأشراقه وتصحيحه وكان لا ينفي وجه الكتاب في النظارات المختلفة إلى الاتفاق بأسلوبه ومنهجه.

وقد كون مدرسة في مختلف النظارات تنهج نهجه في تنحية اللغة التركية والعربية، وإحلال اللفظ العربي محله، وكان إلى ذلك يسخر من اللغة العربية المعقدة، ويتناول طريقة الشيخ حمزة فتح الله وغيره بمزيد من التهكم والنقد. وكان دائماً من المؤمنين بتطوير العبارة العربية، وبعد عن ما أسماه «قمر القاموس». وقد حمل حملات ثورية على
الكتب الذين كانوا يسرفون في استعمال الألفاظ العربية، وكان عمله في تنقيح التراكيب الديوانية جزءًا من عمله الكبير في تصحيح الإعلام العربي وأسماء المدن والبلد.

وقد اقترح أحمد زكى نصوصًا عربية لكثير من الكلمات الأجنبية ومن أهمها كلمة السيارة بدلاً من (الأوتوموبيل) وكلمة صحافة لتعريب كلمة (Persse) دلالة على مجموع الجرائد، من باب الجنس، و (صحافي) للقائم بخدمة الجرائد، ودراسة للعجلة (البسكليت) (1).

وكان قد دعا إلى اختيار لفظ (السيارة) عام 1901 لاستعماله بدلاً من كلمة (الأوتوموبيل) التي معناها (المتحرك بنفسها) أو (الجارية من نفسها) وقال إن كلمة السيارة قد تجمع فيها كل المعاني التي يشملها اللفظ الأفريقي وكافة الدلائل المقصودة (2).

وقد ذكر زكى باشا في بعض كتاباته من بعد أنه استطاع أن يفرض كلمة (السيارة) وذلك بادخالها في نصوصقوانين التقل، وأن يلزم الناس بها بقوة السلطان.

وقد جعل دعوته دائما النيرة على اللغة العربية، ووضع الألفاظ العربية بدلاً من الكلمات الدخيلة ودعت الكاتب للتكافل لرفع شأن اللغة العربية والسير بها في طريق التقدم العصري لتكون وافية بحاجاتها في التفاهم والبيان.

(1) المقتطف- أغسطس 1901
(2) نفس المصدر
وجملة ما يقال أنه كان له أثر بعيد في نهذيب لغة الدواوين وتلخيصها من العبارات الركيكة والاصطلاحات القديمة والمسميات. الأعجوبة وان له الفضل في الارتقاء بها إلى مستوى ممتاز.

وكان لزكي باشا دور هام في أعمال الوثائق السياسية بحكم عمله سكرتيراً عاماً لمجلس الناظر، وقد أشار الدكتور أحمد عيسى إلى هذا الدور فقال: إنه حين أعنت الحرب الكبرى عام 1914 كان أحمد زكي الساعد الأيمن للحكومة فيما تحتاج من وثائق سياسية وأبحاث تاريخية لها اتصال بنظام الحكم، وترتيب الدواوين، والرتب والألقاب الديوانية العريضة، التي لا يمكن أن يقوم بأعمالها إلا أحمد زكي، لفهمه وتدقيقه في المسائل التاريخية الخاصة بالحكومات الإسلامية(1).

وكما وصفه مصطفى عبد الرازيق بأنه "كاد يعيد لمصر ديوان الإنشاء في عهد الأيوبيين بروقته وجلاله".

(1) نفس المصدر.
6 - عمله في الجامعة

اشترك أحمد زكي في مشروع إنشاء الجامعة المصرية (التقنية) وأنجح له بحكم عمله سكرتيراً عاماً لمجلس النظر، ولكفاته العلمية أن يلي منصب السكرتير العام للجامعة وأستاذ تاريخ الحضارة الإسلامية فيها. غير أن عمله هذا لم يستمر أكثر من عام واحد.

وقد بدأ عمله في الجامعة برحلة إلى الشام (فلسطين وسوريا) على طريقة العلماء في التحقيق العلمي، بالسفر إلى حيث الأماكن التاريخية التي تتناولها الدراسة.

وقد ألقى محاضرات على طلبة الجامعة في العام الأول عن أحوال الأمية العربية قبل الإسلام.

وقد صور الدكتور طه حسين هذه المرحلة من حياة أحمد زكي.

فقال:

"عرفت زكي باشا منذ نيف وعشرين سنة، حين افتتح الجامعة المصرية القديمة سمعت له محاضرته الأولى وأعجبت به حين بدأ المحاضرة قايلًا: أحييكم بتحية الإسلام فقول: السلام عليكم ورحمة الله.

وقد أعجبتني جدًا ما كنت أسمع بالقياس إلى أنا الأزهرى الذي لم يكن يعرف في ذلك الوقت إلا النحو والصرف والمنطق والتوحيد والفقه والأصول.

ثم يريد الله أن ألقى هذا الرجل بعد افتتاح الجامعة بأيام..."
فانتصرف عنه مبضاً له أشد البغض، محتفا عليه أشد الحنق،
ويشير له حسين الى غلبه الأسود الذي كان يدخل معه قاعة
الدرس، ومنع زكي باشا له، فلما حدثه في ذلك قال له:
ومادما تريد من استماع العلم إذا كان الله لم يرد لك أن
سمعه وحادك.

يقول له حسين: هنالك هززت له كتفى، وخرجت من
غرفته»، ثم يصور دروس أحمد زكي في الجامعة فيقول:
كنت منذ ذلك اليوم أسمع لدروس هذا الرجل راضيا عنها
وكارها لصاحبه حتى وقع ذات مساء إلى الحديث عن الفتح
الإسلامي، وأن الغرض منه اسما كان الاستعمار، فهمست أن
أجادله في ذلك كما كنا نجادل شيوخنا في الأزهر، ولكنه ردني
رداً عنيفاً، ونهنئ إلى أن الحوار أن كان مباحا في حلقات الأزهر،
فهو محظور في غرفات الجامعة، فانتصرفت إلى دارى واجدًا عليه
أشد الوجد، ولم أكن أبلغها حتى كنت له كتاباً شديد اللهجة
قاسي العبارة، ثم أرسلت الكتاب من الليل، ونمت بعد ذلك
مستميتاً...

وقد أشار الدكتور زكي مبارك – وكان من تلاميذه في
الجامعة المصرية القديمة – إلى أنه كان الخطيب الثالث في حفل
افتتاح الجامعة بمحكمة الاستئناف في ديسمبر 1908، وقد سبقه
فؤاد وثروت.

وأله أول من اشغله بالتدريس من بين الأعضاء المؤسسين
وقال مبارك أنه بدأ محاضرته على هذا النحو:
«جل ما يصيبكم مما أحمله اليوم من العلم بهذه المحاضرات هو ضوء مصباح يضيء لكم مواضيع أقدمكم تقتربون إلى الوصول إلى الغاية المطلوبة، وما المعلمين إلا مرشدون وداعون، فعليكم بالبحث والتنقيب والدرس ومساءلة أهل الذكر فأن اليوغ في الفنون لا يكون إلا بهذا، فالمدرسة مهما علا شأنها ونمت منزلتها لا يمكنها أن تعلم الناس اليوغ في الفنون، وإنما منتهى ما تصل إليه الجامعات التي هي أرقي مدارس الهيئة الاجتماعية إننا هو هدية الطلبة إلى طريق اليوغ».

ووقال مبارك: «أنا أشار في محاضرة أخرى إلى ضرورة الرجوع إلى الصواب إذا ظهر — على حد تعبيره — والذي يفضل به بعض الناس بينما إنما هو قلة الخطأ، والرجوع إلى الصواب مدى وضحت محجمه، وأضيئت منارته، والإنسان لا يعلم أنه مخطئ حين يخطئ، ولابد أن يبنه بعض الناس بعضا إلى الخطأ».

وأشار زكي باشا إلى أنه زار الشام قبل أن يحدث الطبة عن حضارة الأمويين وقال تعليقا على ذلك: «أردت واني أحد أساتذة الجامعة المصرية أن أحيى آخر ستة من سن سلفنا الصالح وهي الرحلة في طلب العلم لاقتناص فوائده وجمع شوارده بالبحث والمشاهدة، فشالت خالقاه، فاختفت الفرصة لأضم إلى على الكتابة الفضيل مما حسنا أشاد به، واسمه بذيل».

ولم يقل عم أحمد زكي في الجامعة، فقد كان للسياسة دورها، وكان خليقه مع الحزب الوطني بإعتباره أحد رجال...»

79
الخديو في تلك الفترة كان من عوامل أبعاده عنها، ذلك أن
أحمد زكي كان قد ألقى كلمة في المبعوثين المسافرين إلى الخارج
وطلب اليهم - كما طلب إلى أبناء الجامعة - الالتقاء إلى الدرس
وتجنب العمل السياسي كما هاجم الأحزاب السياسية، مما أغرى
به صحف الحزب الوطني فحملت عليه حملة شعواء اضطرته إلى
تقديم استقالته من الجامعة ... (1).

(1) الصحف عام 1958 وكتاب الشوقيات المعهولة للدكتور
محمد صبري ص 298 ج 2
7. الرحلة من أجل البحث

لا ريب أن «الرحلة» من أجل البحث العلمي من أبرز جوانب حياة أحمد زكي، وقد امتدت خلال حياته كلها من منذ مطالعاتها حتى آخر رحلاتها إلى فلسطين قبل وفاتها بسنوات قليلة، وقد أمكن حصر بعض هذه الرحلات، وإن كنا نعتقد أنها ليست كل رحلاته:

- رحلة لندنرة وباريس والأندلس (مؤتمر المستشرقين في لندن).
- رحلة جنيف (مؤتمر المستشرقين).
- رحلة باريس.
- رحلة باريس.
- رحلة هامبورج (ألمانيا) مؤتمر المستشرقين.
- رحلة الأستانة وباريس.
- رحلة الشام (الدراسات الجامعية).
- رحلة استانبول (تركيا).
- رحلة إثينا (اليونان) مؤتمر المستشرقين ومؤتمر العثماني.
- زيارة القدس.
- الشام وبيت المقدس.
- رحلة الشام.
- رحلة اليمن، رحلة باريس.

81
1931
رحلة المسجد الأقصى (فلسطين).

1937
رحلة قبرص.

والمرؤوس أنه سافر إلى استانبول مرات عدة، وأن هدف هذه الرحلات يتمثل في أعمال ثلاثة:

* حضور مؤتمرات المستشريين.
* البحث عن المخطوطات والآثار العربية.
* السفارة من أجل قضايا الأمة العربية.

ولا شك كان لهذه الرحلات آثار بعيدة المدى في تفكير أحمد زكي وحياته وآرائه ودراساته، فقد أتيح له خلالها أن يزور عشرات من المكتبات وينقل مئات من المخطوطات ويطلع على عديد من المؤلفات، ويقابل أعلام الفكر في الشرق والغرب، ويتحدث إليهم ويتبادل معهم المعلومات والآراء في عشرات من المسائل والقضايا في مجال تاريخ الأمة العربية وجغرافيتها والحضارة العربية والإسلامية واللغة العربية وأسماء الأعلام والأماكن.

وقد ظل زكي باشا يتناول أدق المسائل خلال حياته الطويلة، فيواجهها مواجهة الفاحش العارف، الذي رأى وشاهد وعرف، فإذا تناولت إحدى الصحف اسم إحدى مدن الأندلس محرفاً رفع صوته باسم الصحيح، وإذا ذكر مكان من الأمكنة أو قطع من الأنهار أو نهر من الأنهار مغلوطاً، قدم زكي باشا البيان الصحيح عن شيء يعرفه تمام المعرفة، وإذا سرق الفرنسيون
محرابا من أحد المساجد أورد بيانات مثيرة عن صفته وتاريخه، وذكر كل ما يتعلق به.

وقد استمتعت له من هذه الرحلات حصيلة ضخمة من المشاهدات للمساجد والمتاحف والقصور والكنائس، وأتيح له أن يصعد فوق قبة المسجد الأقصى، وقمة الهرم الأكبر، ومسجد أيوب صوفيا بالقسطنطينية، وأعلن كنائس بطرس برومة، وبولس بندورة، وسيدة العود بسرقطة.

واحتفل زكي باشا في هذه الرحلات جهدا وتعبا، وأتقن مالا كثيرا، وصادف عشرات من العقبات والأزمات.

يقول عن رحلته 1892 (لاقيتها فيها حر أوروبا وحارته كاذب ما يكون، وقاسيت بردها، وصارت فوت ما يقدر عليه شرقي مثل تغرب في أوروبا لأول مرة).

وفي هذه الرحلة زار خسا من عواصم أوروبا، وهي رومة وباريس ولندن وعندريد وتشونته، وزار أكثر من أربعين مدينة زيارة تدقيق وتحقيق، وتعلم لغة أهل الأندلس حتى توصل إلى الكتابة والخطابة بها "على قدر امكان".

وزار مناجم الفحم في أوروبا وبلاد الأندلس، كما زار ثلاث مديان مخصصة لطلبة العلم، وهي أكسفورد في إنجلترا، وقلمري في البرتغال، وشلمقة في أسبانيا وحضر عبد الملك في مدريد، ورأس السنة في تشونته، وأكل الفول المدمش، وحضر جلسات مجلس النواب والشيوخ في فرنسا، وشاهد قتال الشوار في
آسبانياٍ، واعتصام الخبازين في مرسيليا. والاحتفال بالكرتال (المراجع) في نيقه، روميه، وغير ذلك.

وقد تحدث زكي باشا عن طراقي رحلاته، من ذلك ما حدث له من غفلة عن فروق العملة: يقول لما جئت بلاد البرتغال ونزلت في لشبونة، أكترت عربة أوصلتني إلى الفندق، ولما نزلت منها سألت ترجمان الفندق عن الأجرة، فقال لي: ٤٠٠ ريال، فقلت في نفسى هذه الطامة الكبرى، وكيف أنظاهر الآن بتعارف الجاهل وليس معنى ورقة تساوي هذه الثروة الجاسية، ومع ذلك تجلدت وصرفت على مضغ العماوم، واتقيت اللهم لعله يسهل لي سبيل الخلاص من هذه الوزمة، فقلت له بصوت مبوح: وهو كذلك حدث النقود من صاحب الفندق وضعتني إلى غرفتي أضرب أخماساً.

وبالنهاية الصباح كان أول شيء طلبه هو الحساب، فجأني بعشرات الآلاف، فقلت وأنا خائف واجم، فكم ساواها هذا كله من الفرنك؟ فقيل ان الفرنك مائتا ريال، فكدت أغرق الله ساجداً. وصرفت الغرام لأنظرع إلى الله بالشكر منفرداً.

وقص من طراف رحلاته أكلاة القول الدمسي في أسبانيا عندما رأى بعض النساء يحملن شيئاً شبيها بطبث نحاس (مفرط) (١)، جدرانها مرتفعة قليلا، فخرى على ما في الطست وأذا به القول الدمسي، ففرحت به كثيرا، ووطلت نفسى على أكلاة مصرية في بلاد أوروبا.

(1) هكذا كتبها، وهي مفرط.

٨٤
فلما رجع إلى الفندق أوصي صاحبه أن يحضر له مقدارا منه، يقول: وأردت أن تكون الآكلة مصرية محضة، وعلى الأسلوب المتبوع عند عموم المصريين، فبثت في غرفة النوم وأقفلتها بعد أن استحضرت البصل ... ».

أما قصته مع آكلة الضفادع في باريس ففيروها بأسلوبه على نحو مثير، يقول: 

« فوسوس إلى ابليس بالتجربة. وانضمت إليه النفس الخبيثة (وهي أمارة بالسوء) ولكن طمعي قمي مصرى على العناص والنفور. فاشتقت المحاوره والماضية بين الطرفين، وثبت تعلم أن « ضيفين يلبان قرايا» فما بالك إذا كانا من القوة والبأس، بمكان ابليس والنفس. وكان خصمها من الضعف بدرجة الطبع، وكان غلايا فهاهو أصبح مغوليا. 

والخلاصه أتى طلبت الخادم وأمرته بحضار هذا الطعام؛ نعم نعم. طلبت هذا اللون، وأعنى به أبا هيرة، أو العرجوم، أو أحضري لي طبقا في وسطه شيء مشتبت بكربك، يشبه العقرب، سوى أنه أبيض. عظام دقيقة صغيرة، تكسو أطرافها لحوم خفية مستديرة، وكلها على شكل مختلط مختلط يزيد في الكراهية والنفور.

فاصطكست أستانى، وانطقت أجنانى، وحولت وجهي برعدة في رأسى، فجاء أبو مرة وقال لي: جرب هذه المرة لترك الأسلوب الكره، أو معاد الكره. » 

وبآمرت به تسمى، فجاءت من الجهة الأخرى تدفني، 85
وتصبح في أذني، قد وجب عليك الثمن، فما بالك لا تتمحى، أنت تعلم أنه عند الامتحان يكرم المرء أو يiban وما زال يلتقي على هذا المنوال حتى أعدت صفحة وجيء بالتدريج إلى تلك الصفحة ثم أغمضت عيني، ومدت يدي وأخذت قطعة منها وأنا أفكر في الألوان الشهية التي أسمع عنها، ثم رميت بالقطعة من الضفيدة في قمي، وصرت آكل قليلا قليلا وأنا أفكر في أصناف لذيذة، قرأت أسماءها في الكتب.

وصرت آكل من الضفيدة بصفتها ضفيدة حتى أنيت على كل ما في الطبق والحمد لله أولا وأخراً.

ثم أخذ يعلن آكل الضفادة متسائلا عن المناع الشرعي والعقلي؟ وعرض لحالات مشابهة، البدوي يتنذذ بالتهام الجراد، الرفاعية بالثعابين، الرشيدي يتفكه بأكل أم الخلول، الاسكندري يهيم غراما براغي البحر ( الجمبري )، ساكنوا السويس لهم تجارة كبيرة بالسرتان ( أبو جلبو ) الفلاح في الصعيد يصطاد ( فأر النبط ) ... » 1. هـ.

وقد صور زكي باشا مشاعره ساعات الانفصال عن الوطن، فوصفها بأنها بعيدة عن اللوعة، وأنه من ذلك النوع الذي يجب السفر ويهواه، وقد خصص بعض أسفاره — على حد تعبيره — لداته و نفسه، ولمساته ومسراته. غير أنه ربما اشتبه من السفر يوم الجمعة أو يوم 13 من الشهر.

يقول في مقدمة كتابه « الدنيا في باريس »: أو أيام الثلاثة في أوروبا عن رحلته سنة 1900 » قد أعلم من نفسه. وشهد الله

87
فإن هذا الاكتساب لم يكن مصدره فرائج الأوطان والأصحاب، بل كنت بعيداً عن معاناة هذه اللوحة، لأن هذه المرة ليست أول غريئة فقد بارخت مصر عام 1892، وعام 1894، وهذه هي الثالثة.

وقد طبع البارى هذا المخلوق الضعيف القوي على حب الأمة، والميل للأثاثة، وذلك لم أنتبه الناموس العام، فخصصت سفرتي الثانية لنفسى وشخيصى.

أما اليوم فقد قضى على واجب الجنسية والوطن أن أخدم الناطقين بالفلاذ في هذه الرحلة الثالثة، وهكذا يكون المهم فيني وبينهم عام لي، وعام لهم، فمرة أنسهم، ومرة أنسهم وأنتبه نفسى، ومرة أروح بشراً أن أريح وأستريح.

قد صور في كتابه معرض باريس مفصلاً جوانب مختلفة، ومشاعره نجاه باريس وعظمة الفن والحضارة.

وكان معرض باريس دائماً مثلث أعلام الشرق والغرب من الملوك وأمراء وكتاب، ومن قبل سفر جمال الدين الأفغاني من الشرق ليشاهد معرض باريس ويتقن بالملوك والعظام الإليزيان له.

وقد وصف أحمد زكي باريس في رحلته الأولى والثالثة يدتها (فردوس الفردوسية).

وقد ذكر أحمد شقيق في كتابه (أعمالي بعد مذكراتي) ورحلات اشتراك فيها مع أحمد زكي، وكان قائماً من رجال الحديو عباس — منها رحلة باريس 1889، وذكر كيف ذهب مما لمشاهدة
ساره برنار في رواية "غادة الكاميليا"، وأشار إلى رحلة سنة 1900 حين سافرا معا ومعهم حسن عاصم باشا (وهو أيضاً من رجال الخديو عباس) على باخرة خاصة إلى أنقرس.

وقد كانت رحلات زكي باشا المتعددة إلى أوروبا والصين، ودمشق، استنبول تجمع بين البحث عن الكتب والمخطوطات العربية والاريخ، ولقى الأصدقاء والعلماء وحضور بعض المؤتمرات.

وقد أثر عن كل البارزين في هذه الفترة ضرورة الرحلة في الصيف خارج مصر، وقد عرف ذلك عن محمد عبد ومصطفى كامل ومحمد فريد ولطفي السيد وقاسم أمين وغيرهم ... وكانت رحلاتهم بين استانبول وسويسرا وباريس.
إثرت العالم العربي

أتيح ليزكي باشا أن يطوف بالعالم العربي في رحلات متعددة، إلى الشام (سوريا و لبنان و فلسطين) شمالاً، إلى اليمن والحجاز جنوباً.

كان بعض هذه الرحلات من أجل البحث والاستقصاء العلمي، والبحث عن المخطوطات. وبعضها الآخر من أجل العمل السياسي الذي تفرغ له أحمد زكي بعد عام 1931 و تصدّر، و عوض به مجدداً، فقد كان سكرتيراً عامة لمجلس النظار، فلما استقال (أشبه بالإقالة) عرض ذلك بأن أصبح شيخاً للعروبة، وزعيمة من زعماء العالم العربي الذين يشركون في كل قضاياه.

وفي الشام كانت زيارته عام 1908 و 1934 من أجل الدراسات التاريخية، وقد طوف في مختلف المواسم دمشق، حمص، حلب.

ولكن كبار الاهتمام بزيارة مرج دابق، التي انتهى عنها - على حد تعبيره - الامبراطورية المصرية، والتي قُتل فيها صديقه "السلطان الغوري" (1) عام 1932 و "نصيبين" حيث حقق الموقعة الكبرى بين إبراهيم باشا والجيش التركي عام 1839.

---

(1) لا يذكر أحمد زكي (السلطان الغوري) إلا بلغة (صديقي) ومقصده أنه نقل مكتبه سنوات طويلة إلى قبة الغوري، فالتمس من ذلك معنى الصداقة -

89
كما زار صيدا للبحث عن كتاب « نهاية الأرب في فنون العرب » وقد صور سامي الكيالي رحلته الثانية إلى سوريا، وكيف يطوف بحلب، وكان وهو يسير في ساحات حلب ويزور جوامعها ومدارسها وأثرياتها، فكلاها يتفقد عصبة من صحبه الذين عاشوا على صفحات الكتب، فكان يذكر اللبكي، ويسأل عن سيف الدولة، ويتحدث عن الفارابي وابن خالويه، وأبي العلاء، واللثري، وأبي فراس.

ولن أنى قط ليلة سحر، كانت أنغام الموسيقى تترقص في تفوسنا عذبة حلوة وأصوات المغنين تهز القلوب، وتثير في الأفراح ذكريات وأحاسيس جميلة، وكان مرحًا شديد الطرف. وأحب أن يسمع أنغاما بلدية بحتة، فسمع منها ما أعجبه وأزقعيه، وطلب أن ينشدوه قصيدة أبي فراس الحذاني ( أراك عصي الدمع شيمتك الصبر) فلما لم يجد من المشددين من استطاع أن ينفها، ثارت في نفس (الباشا) ثورة عاصفة من الحق، وتساءل أيجوز أن تخلو عاصمة الحمدانيين ومدينة الموسيقى والتنوع من مشد لهذه القصيدة العصامية وأسعيها كلها أو أكثرها، وكان رحمه الله يرقص ويدور عند مقاطع القصيدة ويقول هذا اسمي ما يبض به قلب حي من الشعر الوجداني...» (1).

وقد زار قلعة حلب القديمة، وترجع على أسوارها ومخابئها.

(1) مجلة الحديث، 1935.
وأمستعرض تاريخها القديم، وكتب إلى جنرال الموقع - باعتبار أن القلعة محتلة من الجيش الفرنسي - إذ ذاك - لافتا نظره إلى ضرورة صيادة أثريات القلعة.

ولا حاول السفر إلى (نصيبين) كان الأمن مضطربا، والعصابات التركية تشن الغارة على الأطراف، ولكنه صمم على السفر في جرأة بالغة وقال: ماذا يعمل رجال الغزو معي، ليس في جيبي غير بضع جنيهات وساعة ذات سلسلة ذهبية وثياب، وفي سبيل غايتي مستعد أن أتنازل عن أكثر من هذا، أما الآجال، فعنده الله...

أما رحلة اليمن والحجاز فتدخل في عمله السياسي. أما الجانب الفكرى منها فانه حصل على إجازة رواية كتاب «الكامل لابن الأثير في التاريخ سلسلة من تلقي الإمام عنهم ذلك الكتاب إلى المؤلف».

وقد جاء في هذه الإجازة: «انه لما قدم علينا الإنسان الكامل، والنابع الحلال، فارس الاتفاق، والمجلي في مضمور الاطلاع، والمرجان المستجد، علامة الأدب والتاريخ، القاعد على منصة التشريخ، أحمد زكي باشا المصري الدار، أتحفه الله بالطفاقة وتوفيقه...».

وقد ألفهما كبير النفس، على الهمة، كثير الصوبه بالبحث عن الحقائق التاريخية والآداب المهمه. إذا يد طويل في الوقوف على الحقائق وحسن التنقيب، النمس منا - عافاه الله - الإجازة فيما اتصلت لنا روايته من كتب التاريخ وأسفاره.
الجيلة الحافية بأخبار الصلاح والتفلاح وعمارة الأرضين .. »(1)

وحصل في اليمن على كتاب «الأكيل» للهذاني، وصوره في دار الكتب، كما طوف مدن اليمن، وراجع تاريخها القديم، كما استنتج ما رأي نفسه في حاجة اليه، من كتب وجداثات مفيدة في أسماء بلاد اليمن وارجاعها إلى أصولها القديمة.

وله رحلات إلى فلسطين أولاها عام 1922 وأثمرها عام 1931.

من أجل الدفاع عن البراق الشريف، قدم فيها تقريرا شاملاً دحض به ادعاءات اليهود الى اللجنة التي استقدمتها عصبة الأمم الى بيت المقدس لتنويل التحقيق.

ولنترك رحلته السياسية عام 1931 إلى مكانيها في تاريخ المترجم له، ولنذهب وراء عمله الفكرى، حين قام برحلته الأولى ووصل إلى أعلى نقطة فوق المسجد الأقصى فوق القبة التي شادها عبد الملك بن مروان على الصخرة، الى حيث العمود الخارجي الذي يعلو الهلال.

يقول جاد لي الزمان بفرصة لم يعتليها غيري، وسأعمني حظ قد لا تتوفر أسابيع لأحد من بعدي، ذلك أنت كنت في القدس سنة 1932 عندما شرع المجلس الإسلامي الأعلى في أعمال التجديد والترميم، لمنع تداعيها المتوالي، وحفظها من السقوط النهائي.

هناك حدثتي نقص بالصعود الى أعلى ذروة على هذه القبة.

(1) مجلة الزهراء م 3 ص 244.
وكانت قد بلغت من العمر السنة الثانية والخمسين بالحساب
الشمسي، وكشفت بهذه الأروقة صديقى، فتفضل الحاج أعين
الحسينى فأراست جماعة من العمال لمقاتلى. أردت أن أرقي رقياً
ما رقته الأنباء، لأن هذه القبة لم تكن موجودة في أيام الأنباء.
أردت أن يكون لي على قدر قيمتي الضئيلة، ونسبة همتى
الضئيلة، مراح على متن الأقدام لأعلى صهوة البراق.
سبقت الفجر الصادق، فتسالت إلى أحساء الشدادات (1)،
وتدخلت في تضايع الروابط، واندنسست في تجاويف (البراطيم)
المتشابكة، والكمرات المتراكبة ثم اقتلت إلى خارج القبة,
فاذلت في مشاة ضيقة، يخف بها درايين ضئيل من قضبان
الجديد الرفيع، لا يراها الواقف في ساحة الحرم، مما كان حديد
المصر، فكتبت عن قول شاعر العرب كريشة في مهب الريح,
مثل دودة من دود على عود كما قال عمرو بن العاص، لكنى
كنت في لجنة من الهواء، في سماء القضاء وفضاء السماء فلم أر
بسبب الارتفاع الشاهق - سواء خليط من أشباح ضئيلة
تطفف بقية الصغرى، قبة العراج، وفي السلسلة وما إليها. كانت
متماسئة (2) إلى الأرض، هي تلك القبلا الأنيقة الرشيقة التي
كلها كعاجز نخل خاوية، في قرار الهاوية. وتلتبت بالطاف
حول القبة، ولكنني لم أقنع بهذه الرتبة، بل حدثت نفسى

(1) الشدادات - أي الأخطاب التي تنصب حول المقام
لتميمها.
(2) هكذا كتبها، والمعنى قريب إلى الأرض.

93
باستكمال الصعود إلى نهاية الذروة حتى ألم بيدى ذلك الهلال، هلال القبة، لا هلال السماء، فقد كان دخل في المحاق وابتلعته السماء.

واستكمال زكي باشا رحلته حتى صعد إلى القبة وأشرف بالفكر على الظور، وعلى البحر المسحور، «فكانت مكة على يميني تناجيلى بما يقوى يقينى، وكانت بغداد أمامى، ودمشق عن يساري، أما البحر فكان من ورائي، ومن خلفه النيل، وفي أقصى الأفق لمحت الفردوس الإسلامى المفقود، وان في الأندلس لعمرة من آلمى السمع وهو شهيد.».

ولم تكن هذه أول مغامرة جريئة لزكي باشا في رحلاته وأسفاره، فقد كان شغوفًا بصعود المنارات، لم يغادر في الأسكندرية ودمياط ورشيد والسويس مناً رفيعاً إلا سعد الدي، ولا جبلاً شامخًا أو مسجداً سماقاً أو معبداً شاهقاً في أرض أوربا أو آسيا إلا دخله وزاره.

وقد أشار زكي باشا إلى هذا فقال «قبل ذلك بأعوام وأعوام صعدت إلى قمة أكبر الأهرام، أيام كنت أرفق في حفل الشباب، أيام كنت طالباً في المدرسة التجهيزية بدبب الجامعات بالقاهرة، في تلك السنة المشهورة على مصر، سنة الاحتلال البريطاني 1882 السوداء.»

حققت أحمد زكي مكاسب كبيرة خلال رحلاته. مكاسب كبيرة في مجال المخطوطات والآثار، وفي رحلة اليمن استطاع أن يحصل على عدد من التحف النادرة والدرر الفريدة، منها رأس 94
فِقَة عَجِيبة تُسمى بالشَّمْدُوَان، على هيئة هلال المنارة، يصعَد الماء إليها على فروع كِنيَّة الشُمَدُوَان أَذ يحركها الماء التصاعد من نوَروها فيدور بسرعة غريبة. ومنها شَيْشة (مَدَايِه) قديمَة العهد، وتُقَدِّيلان موسيَّان بالذهب، ومنها نَفيٌ مُتوسِط الحجم يرُجع إلى 500 سنة، وسبعِة أحجار حميرية مكتوب عليها باللغة الحميرية القديمة، وتُقَدِّيل تتوسطه نَشِعُدات تُرِجع إلى 1004 سنة.

كما حصل على عدد من الكِتَّاب القديمة منها، كِتاب العبر والاعتبَار للحاجِّ وأجزاء من الأكِلِّي في محامد اليمن للهذايِّي، ومَسِند الامام ابن عبد الحق وجُواهر الأكِلِّي، وتّحريف المِهْذب. وحَصل كذلك على مَجموعة من المراثان القديمة منذ عهد سليمان القانوني.

وقد عُثر هناك على عدد من الكِتَّاب النادرة، وكان يرى أن تَقَلَّا يتطلب تصويرها وكانت معه «فُوَونغَرَافِيا» تَركَها في ميناء الحديداء اثناء الرَّيْب — على حد قوله — ولكن وقَد يُوفِق إلى مصور مصري في صناعة رسم له كثيرا من المواقع والخطوطة. ومن هذه المواقع شِباكان في أحد المساجد قال له أهل صناعة اهْمَا تَقُلَّا من أَتقاس (سَد مأْرَب).

ولم يستطِع السفر إلى (منطقة مأْرَب) نظرا لظروف الخلاف، ولَكِنَّه حصل على حجر كان لدى الامام (يسِند به الباب) من حِجارة سد مأْرَب، وابتداء حجرين آخرين كانا في أحد المساجد، واستطاع أن يجمع على الجملة سبعة حِجارة عليها رسوم وآثار.
وقد تقل هذه الثروة إلى مصر لتحقيق الحروف القديمة. كما أهدي إليه الإمام يحيى ألف حبة من الحقيق اليمني.
وبعض أحجار أخرى ذات قيمة وقد زين بها قبة مسجده.
وقد خاطب أحمد زكي «ال حقيقي» عندما ورد إليه فقال:
«قد تفتحت بسبهق الاستدقاء، وسالت الأفواه، واشرأت الأعناق فلا يراى إنسان دون أن يطلب بي بحجر أو حجرين، وما أنا راجح ولا وهو رجيم...».
ثم أعلن أنه لا يجوز التصرف في هذه الذكرى «لبيع زينة المنبر والمحراب، وأن أحجار الحقيق التي قاربت الألف وفجاء فوق المرام ووراء الأحلام، هي أجمل حلية يردان بها مسجد في الصغير بجليزة الفسطاط، كما قد تعلى ظاهره بذلك الحجر الوحيد الباقى مرفقاً من قصر غمدان...». (1)
ولم ينس زكي باشا في هذه المناسبة أن يذكر أن مدينة الجيزة، بناها بنى همدان يافع، من كرام اليمن في أول الإسلام.

**

وقد صور متباعه في رحلة اليمن، ولم ينس التحقيقات التاريخية:

بعد ساعة نرسو على الحديدة، ونزل بها لاستئناف الرحلة على متوسط المطايا في حزون الياقات، ثم في شعاب الجبال، خرجت من جهنم عدن، وقد أسافت عليها كل الآسفة، فكان

(1) الأهرام - 3/10/1942.0

96
فيها الثلج الصناعي وهم يسمونه البرد، وفيها الماء العنب الفرات، وإن كانوا انا متعصرون بطرق الاستقرار من اللمع الإجاج، أما البويخرة البخراء التي ركبتها، فقد جعلتها شديد الأسفة على عدن وجهنم عدن.

.. وبالاسم وقتنا أمام (مها) فإذا هي مدينة يضاء فيها مبان كبيرة من الحجر، ولكنها اليوم بلفع. كان سكانها أيام احتلال المصريين في عهد محمد على يزيد عن 20 ألف نسمة، فلما استولي الإنجليز على مفتاح البحر الهندي (مدينة عدن) حولوا اليها الحركة والتجارة وكل المياه، فأخذت (مها) تضاءل قليلًا، وسكانها لا يزيدون اليوم عن أربعمائة نسمة، حتى انا عندما فارقتها بالليل لم ير فيها إلا نورا واحدا منبعثا من مصباح واحد، لعله يثل العامل..
كانت رحلته إلى أسبانيا لزيارة آثار العرب في الأندلس، ذات أثر بعيد بلغ أعماق نفسه فقد عاش حياة كلها يحقق قلبه بذكر الأندلس، ويجري قلبه باسطها، معدا ووجه عظمتها، وعوامل انهاير مجدها.

وهو يصور مشاعره تجاهها في عبارة عذبة رائعة:

«قلبي بأندلس مدل، وعقله بأطلاله موله، وهيامي بأهله حديث قديم، وغرامي باسكتيه مقعد مقيم، وحنيمي إليه متجدد حينا بعد حين، وحبيه عليه يحب لي فيه الأس والحنين، فاعتروني على هذا الهوى العذري، فقد خانتي شعرى ولم يساعفي ثرى، على أنني أعلم نفسى بأن تستمعوا لهمسي، وتعاونوني على أحياء أندلس، فذاك الهوس هوسي، وقد لازمنى في حلمي وف حسي، واستمكن من عقلي واستولى على نفسى».

كانت زيارة أحمد زكي لأندلس في مطلع حياته عام 1892، وهو في سن الخامسة والعشرين تقريبا، ومع ذلك فقد طوف بجميع أقطار الأندلس، وابتدع لها اسمًا ظل علما عليها، وردده

98
في كل مقالاته عن الأندلس، وهو «النردوس الإسلامي المقدود»
ولا يمكن إحصاء كتابات أحمد زكي فيما بعد عن الأندلس في خلال
أربعين عاماً أو يزيد، مصححاً أسماء مدنها وأعلامها، كلما ذكرتها
برقيات الصحف خطأً، أو ترجحها الصحفيون على غير وجهها،
أو تعرض لها كاتب عربي أو مستشرق.
وهو يصور رحلته في كتابه ( السفر إلى المؤتمر ) بأسلوبه
الجزء المرجع السجوع، الذي تغير بعد ذلك وتطور فقاً
للم أصل إلى تخوم أسبانيا إلا بعد أن أمضيت في القطار
السريع أربعة وعشرين ساعة لم يكتحل فيها عيني بأي مركب،
حتى أجدنه السير، وأضناه السري، ولكننا تجددت في القوى
حينما شملت عبر الأندلس، واستنمت نفاتها.
وجينت شطلحت مع تيار الأفكار، ولكن ما لبثت أن
قبض صدرى وعلنتى الكابة وتولائي الالزاعج، إذ أحاطت بي
جيوش من اللوعة والأسف، والحبس والمهل، لأتي تكررت
ما ناله الإسلام من العز والانتصار، في هاتيك الديار، أيام تحقق
فوق الأندلس أعلامه، وتجول في أقوامه، ناشئة ألوية النخار
والحضارة، أيام كانت المآذن قائمة في أغلى ورواه، تشق
أكاب الساحب ويرتفع منها صوت المؤذن إلى عنان السماء.
أيام كانت خلافة المغرب تفوق مناظرتها في الشرق بما احتالت
به من أسباب البذخ والظلمة والعرفان، حتى كانت مملوك أوربا
تزلف إلى الخلفاء وتنامس رعايتهم وحمايتهم.
وكنت وأنا في باريس درست نحو اللغة الأسبانية، للاستعانة
على مخطبة القوم، ومبادلة أفكار معهم مباشرة، ولكن لما حضرت وتكلمت، تحقق لي أن درس النحو شيء، ومعرفة اللسان شيء آخر.

وأشار (أحمد زكي أفندى) إلى أنه أول من زار جميع الأندلس من المسلمين والصربين، خصوصا من أبناء هذا الجيل، وكتب ما رآه، وقارن بين حاليا.

وقد أطلع على كتب عربية نادرة جدا، وتعلم فيها الكلام باللغة الأسبانية (سرقطة)، وكان يتحدث معهم بالإيطالية أو بالفرنسوية، فإذا عبروا عن فهم تحدث معهم باللغة (الإشارة) التي يفهمها جميع بنى أدم.

وزار مدن الأندلس الشهيرة: طليطلة وتمسيا عند العرب مدينة الأندلس، وقاد رأسها في بعض كتابات العرب (توليط)، ومدريد، وسرقطة وزار بلاد البرتغال - وهذا هو اسمها في كتب العرب (لابورت وال أو غيرو واو) . وزار عاصمتها المعروفة باسم (بلسيون) والتي يذكرها العرب باسم لشبونة أو أشبونة أو الأشبونة كما زار أشبيلة. وغرناطة المعروفة باسم (اغرناطة) وسميها العرب دمشق من باب الشبيبة.

وفي سرقطة زار جميع آثارها العربية وغير العربية، وصعد إلى قمة البرج المائل.

وطالع في مكتبة الدون بابدشيل كتب عربية كبيرة أغلبها باللغة التي يسمونها (الخميادو) (الخميادو) وهي...
اللغة التي اتخاذوها بعد أن فرض عليهم اعمال اللغة العربية، وصارت اللغة القشتالية (أي الأسبانية) ملكة متوازعة فيهم، فكتبوا أغلبهم بها، ولكن بحروف عربية وسموها (الخميشو). وصار الوزير الأوربي الأسباني إليه كثير من الآثار العربية، إلا أنه كان في النفس نفسه، وفي القلب أحزاناً (1).

وزار جميع آثار (أسبيلة) وصعد إلى قمة المنارة الإسلامية، التقطب البديع، التي كانت في أحد المساجد، فأصبحت الآن قمة للفناء، وزار القصر الذي أسسه الآشوريون، وقال معلقاً:

"إني ناديونا كل من يراه من الساعر الجميل والإثار الجليلة التي رأيتها في أعظم مند أوروبا".

وزار الحمرا (الهند): وقصره ومساجدها، ورأى هوائها ورسومها وزخارفها التي تذهب بالجنان، وتأتي بالجنون، فوقفت باهتا حائراً فاقت الدلب والرضاد، من هذا الارتفاع الذي لم يكن يخطر على قلبي، مع ما سمعته منها من الأوصاف، وما شهدته من غرائب المباني غير هذه الدار.

وفي رحلته إلى أسبانيا والبرتغال، زار الملكة كريستينا الوصية على ولدها المؤنس الثالث عشر، وأنعمت عليه بوسام إيزابيلا الكاثوليكية.

وقد عاش حياته متأثراً بهذه الرحلة، وهذا اللقاء، متحدثاً عنه على نحو من الازدهار، مصوراً ذلك الفتى المصري وهو...

---

(1) الأهرام 8/2/1959
يطوف ربوع الفردوس الإسلامي المفقود ويقول (1) «لاطفنتى وتكلمت معي في أشياء العلم والأدب حتى برتني من كثرة اطلاعها، دار الحديث مليا على اللغة العربية وآثار العرب في أسبانيا.

» برك يا فتي العرب أفلو كان الله ينعم عليك بشئ موقفي مع مثل هذه السيدة الجميلة، وهذه الملكة الجليلة. أفلأ تكون مغبطة كل الانتفاض، ب سماع الحديث المسول والتظر إلى الوجه الذي حول ملامحه والجلوة والبشر والإيذاء، » أكان عجبًا للناس أن أتحمل في اطالة الحديث عن القديم والحديث؟ وأن أندلس ذكر العرب في واديهم المقفرة، لإشادة بذكرهم في نواهم العامة، بريع الأندلس الزاهرة؟ وهكذا توصلت بكل ما في المقدور واليسور والموصوع للتنقل في التنقل من موضوع إلى موضوع ومن شرق إلى غرب ومن عرب إلى عجم.» وفيها هي تكلمنى عن الأندلس وما أكره، رأيت الفرصة ساحبة تفتحها، وعرضت على جلاليها أن تسعى بكل ما لديها من قوة فعلية في سبيل كيف الفضاء عن قبايا مدينة (الزهراء)، التي أنشأها أكبر خليفة إسلامى، وهو عبد الرحمن الناصر، الذي جلس على عرش الأندلس قبلها بسبعة قرون ونصف قرن وثلاث عشرة سنة.»

فأجابتي بما فرني بل بما زادني اعجابا بها من الوجهين أن كان هناك مكان للمزيد.

قالت لي ما معناه: أن الأسبانين وان كانت لهم في القرنون
الوسطى جنایات على الحضارة العربية فليس لهم يد في هدم (الزهراء) ولا في تدمير الباهرة التي بناؤها المنصور بن أبي عامر، بل الجريمة كلها في هذا الباب واقعة على ناصية المسلمين من عرب وبربر.

وذلك حق والله، فإنما وقع بين العرب والبربر من فتن ومن شقاق وانشقاق، عندما أذن الله بزوايا الخلافة من أرض الأندلس، كان ذلك سببا في جعل هاتين المدينتين أثرا بعد عين.

وحدثت الملكة عن العرب وحضارتهم، فكأنها ورثت علم ابن رشد، وابن الطفيل وابن حزم، وكأنها درست في جوام قرطبة وطليطلة وغرناطة، على أشياع الإسلام الذين أرسلوا شعاعا وهاجا من الضياء على كل بلاد أوربا. ثم وضعت يدها الكرامة على صدرى، وربطت شارة النشن الأسباني في عروة السرة التي كنت متشاها بها، وهكذا أصبح الربى المسلم الشريف فارسا من فرسان إيزانيا الكاثوليكية، من يد الملكة كرستينا ملكة أسبانيا ..».
مؤتمرات المستشرقين

وفي مؤتمرات المستشرقين كان أحمد زكي علما تسلط عليه الأضواء، فقد مثل الحكومة المصرية في أربع مؤتمرات: عام 1892 في لندن، و1894 في جنيف، و1902 في هامبورج، و1912 في أثينا (1)، وفي كل من هذه المؤتمرات كان يخطب ويتحدث ويقدم مخطوطات قديمة وأبحاثاً جديدة.

ففي مؤتمر أثينا قدم عشرة كتب قديمة تجها وصححها، وستة كتب من تأليفه منها مفتاح القرآن، وموسوعات العلوم، معجم الكلمات المقنعة، معجم الكلمات الكلية، معجم تحرير وضبط الأعلام الجغرافية (عربي - فرنسي)، وصف مجالس الندابات، ومجموعة فيها أكثر من ألف بيت من مراثين.

وكان موضوع تقادير العلماء والباحثين في هذه المؤتمرات حيث كانوا يحيطون به ويسألونه عن عشرات من المسائل والقضايا.

(1) عقد مؤتمر أثينا في أبريل 1912، وقد قرأت تفاصيل أعماله يوماً بيوم في الموعد ويخطئ الكثيرون في كتابة تاريخه الصحيح فيقول محمود إبراهيم أنه عام 1910 (الإهرام 7/7/1924)، ويكون هذا الخطأ محمد كرد على، وعيسى أسكندر الملوف.
وفي مؤتمر عام 1892 دعا المستشرقين إلى عقد دورتهم في الشرق:

«شكر مصاعمكم عن ذلك الشرق الذي لم يقدره القوم حق قدره، حتى جاءت أعمالكم وجزخت عنه ستار الاعتقادات الباطلة، وأنتم تعلمون أن قومكم كانوا يجهلون قدر ما عندنا، ويحكمون علينا بما نحن براء منه، حتى وقعت الألثمة العلمية، واتُجّشت لكم ما انطوى عليه العالم الإسلامي من جليل الشعائر المنبجحة عن الطبيعة الفاخرة».

وقد أنشأ الاجتماع القادم في إحدى مدائن الشرق

«حتى يتيض لعلمائنا أن يروا بأنفسهم مزايا هذه الأعمال، ويدروا ما ينجم عنها من الفوائد لبني الإنسان، فينضم إلى هذه العصابة التي هي طليعة الأفكار السامية، والمقصد النبيلة الفاخرة.

وفي مؤتمر أتينا استفتى العلماء في مسألة أمانة النقل من الأسلام، وهل يجوز لطاعن كتبهم القديمة أن يتصرف في تقلها بالخفيف والإصلاح والتهديد، أو يبقى الأصل كما ورد. كما كشف العلماء بكتاب مخطوط لا توجد منه غير نسخة واحدة في العالم كله، هو كتاب "الأصنام" لأبي النذر هشام ابن محمد بن السائب الكلبي الموتى سنة 142 هـ، وقال: "إنى لا أود إظهار هذا الكتاب إلى الموجود لأن الأستاذ (نولدك) قال بأنه لا يريد أن يموت أرى كتاب الأصنام، وأنا أخشى".

105
أني يئف بوعده ويجرب العلم من ثمرات كده وجده، ولذلك فأنه أو خير جعله من كتبه وامرأه أن يبحث عن كتاب آخر، ويطلق على وجوده ذلك الشرط الذي اشترطه على نفسه.

وكان في خلال هذه المؤتمرات يرتجل محاضراته العلمية واللغوية بالعربية تارة وبالفرنسية تارة أخرى.

وسعى في مؤتمر آثنا لجعل اللغة العربية من لغات المؤتمر الرسمية حتى إذا حقق له ذلك بدأ خطبته باللغة العربية ثم أثم خطابه باللغة الفرنسية.

وانتهر الفرصة فتحدث عن العلاقات الأدبية بين العرب واليونان، واستشهد بالنوصة التاريخية إلى ما كان من عناية العرب بترجمة المؤلفات اليونانية وخدمتها وتقليها، وذكر الأموال الطائلة التي أتتها الخلفاء ورجال الدولة وكبار العشائرين في الدولة الإسلامية إلى الترجمة لاستحضار كتب الحكم من أرض اليونان، واستخراجها إلى اللغة العربية، وخصوص بالذكر الخليفة الأموي، والبرامكة، وآلل موسى، والوزير الزيات، والقيوم، الذي كان حاكمًا على بلاد الفيوم.

كما قصل كهود العرب في الترجمة، وعنايتهم بطلب العلم اليوناني من ناس آثنا التي يسمى المسلمين مدينة الزيتون، أو مدينة العلماء والحكماء، وأشار إلى عناية الأندلسين بالحکمة اليونانية، وعلاقات عبد الرحمن الناصر بالامبراطور (رومانيوس).

106
وكيف أنهم أسووا في قرطبة جمعية علمية (آكاديمية) لأجل إصلاح ترجمة كتاب (ديوستوريدس) في الموريد الثلاثة. وأشار إلى الكتب النفيسة النادرة الباقية من هذا المصنف بإخراج القسطنطينية، لامتيازها بالتصوير الباهي الألوان.

وقد أشارت الصحف إلى ما لقيه أحمد زكي في هذا المؤتمر — وكان معه من الأعضاء أحمد شوقي وحقاني ناصف وأحمد الاسكندرى — فقالت المؤيد: إن بعض الفندق الذي نزل فيه كان كمظف يحج إليها في كل وقت من يعرفه ومن لا يعرفه، وكانا يشيرون إليه ويقولون: هذا العالم المصري الكبير، كما أنه لم يبق شاعر أو أدب أو صحافي في أثينا لم يرز زكي باشا (1).

كما أجرى عميد الجامعة اليونانية أحاديث طويلة معه، والتف حوله الطلاب يحدثونه ويسألونه...

ويقول محمود إبراهيم (صاحب جريدة الأكسيبريس)، وكان مراقباً لوفد المؤتمر، أن شخصية زكي باشا ظهرت بأجل قوتها حين وقف بين مئتي وخمسين أستاذًا وعالماً من شرقيين وعربهم... لحاطوا به احاطة السوار بالمسمى، وجاهزوا إليه أسلحتهم واستفاناتهم، وكان يضع السماعة على أنذره ويجيب كل واحد بما يطلب، وكان يجيب أكثر من واحد في وقت واحد (2) وفي المؤتمر الأول 1892 كان رفيقه الشيخ «محمد راشد» الذي

(1) المؤيد - 9 أبريل سنة 1912
(2) الأهرام 11/7/1934
ألقي قصيدة باللغة العربية وقام زكي باشا بترجمتها إلى اللغة الفرنسية بطريقة - وصفها الدكتور أحمد عيسى - تشبه ارتجال الشعر في السرعة والحضور «حتى شخص له المجتمع»، وآكبروا عليه، إذ لم يكن له عليها سابقة استحضار ولا اطلاع ..».  

١٠٨
أكملت المكتبة

تمد (الخزائنية الزكية) في الحق في العمل الأكبر لأحمد زكي، فقد تطلع منذ صبابه إلى أن يكون واحدًا من أصحاب المكتبات الضخمة، وأعانته على تحقيق هذه الغاية:

1 - مركزه وتفوزه الحكومي.
2 - رحلاته النموذجية.
3 - استراحته المال في سبيل الحصول على النسخ الفريدة والوحيدة من المخطوطات.

بدأ جمعها وهو طالب حوالي عام 1883، وفي هذه المرحلة كان يتردد على بايعى الكتب المعروفين في مصر، أمين هندية، عبد الواحد الطوني، بين آن وآخر، ثم اجتمع له ما تنازل له عنه شقيقه محمود رشاد من كتب إلى ما كان يحصل عليه من جوائز مدرسية. ثم أخذ على نفسه أن يراجع أسماء الوفيات، والبحث عن الأعلام الذين لهم مكتبات فما أن تصفى أي (تركة) حتى يقل علىها، فيشتري ما يستطيع، وأتيح له بعد ذلك أن يحصل على مكتبة (البرنيس محمد إبراهيم) كما اشترى خزائن كتب جبرائيل بك المجلع اشتراها عام 1914، بما قيمته 300 جنيه (ذهب).

واشترى مكتبة محمد بك واصف الطيبة التي حجز عليها

109
بغض الدائرين، وقد كلفته نحو ألفي جنيه كضمان للشريعة وشريعة رضوان العقل وحسن حسن باشا. وما من رحلة من رحلاته إلى أوروبا منذ عام 1896 إلا كان يبحث فيها عن الكتب. يشتري منها، ويوصفها بها، ويعنله على ذلك معرفته باللغات الفرنسية والإيطالية والأسبانية.

ومن الجواهرة، في زيارة الأستانة عام 1904، وتم اصطدام أن يحصل على عدد كبير من الكتب والكتب، قبل ذات الأشياء، ثم عاد إليها عام 1909، وساهم في الصدر الأعظم حسن حليم باشا على زيارة عدد من المكتبات منها مكتبة السلطان نسخة في قصر (أدرخان). بسرى طروب قبو، والتي كانت مغلقة في وجه أي أربعة قرون وستة أعوام، فأمضى بها أربعة شهور كاملة نسخ منها بالفتوتاريا عدداً من ذخيرات المؤلفات العربية.

وفي دمشق استدام بمساعدة أصدقائه ومعارفه أن يحصل على الكثير، واستحضر عشرات الكتب من الهند والعراق. وهكذا مضت مكتبة زكي باشا تزداد وتتسع حتى بلغت عام 1919 إثني عشر ألفاً (1).

وقد بلغت عام 1929 حسب إحصاء (مجلة مصر الحديثة

(1) من رسالة العالم محمد كود على في 15/2/1919: لعله يصراع أن تعزف أن خزائن قد انتقل عديدها من الألفين قبل ثلاثين إلى ألف.
السورة (27 نوفمبر 1939)، الثلاثة عشر ألف من المجلدات،
وعندما توفي زكي باشا عام 1934، كانت قد بلغت 18700 مجلدًا (1).

ولقد كان أحمد زكي حريصًا على أمرين:
1 - أن تحقق مصر والعالم العربي والإسلامي على المخطوطات العربية التي هي من تراثه أصلا وسربطة منه أو بيعت، وكان عمله طوال أربعين عامًا هو استرداد هذه الخسائر.
2 - أن يحصل على نفائس الكتب العربية التي تطبعها علماء الأفريقي المتشرقين.

وقد استطاع أن يحقق ذلك إلى حد كبير، ففي مكتبة مؤلفات فريدة ليس لها نظير في مكتبة دار الكتب أو غيرها، فضلا عن أن هناك أكثر من مائة صحيفة ومجلة من الدوريات العربية موجودة في خزائه، ولا يوجد منها شيء في دار الكتب المصرية.
وكان زكي باشا يطلع إلى كل ما يكتب عن الإسلام والعرب.

مؤمنًا بأن هذا التراث هو البذرة الأولى لبئرة الشرق، وأن الكشف عن ذلك المجد العظيم الذي صنعه العرب والمسلمون في مدينتهم هو وسيلة البعث والبناء للأمة، ومن أجل ذلك جعل خزائه كتبه مرجعاً لن يريد أن يعد بحثاً في هذا الصدد، سواء كان من الغربيين أو الشرقين.

(1) بلغت مكتبة منافسه أحمد تيمور (باشا) 12 ألفاً من المجلدات (فقط) .
ومن أبرز ما تضمنت المكتبة الزكية:
• مجموعة كاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابة السريّة المعروفة الآن بالشفرة، وكيفيتها عند العرب، واستخراجها.
• مجموعات من المصورات والخرائط المعمولة في أيام العباسيين وبعدهم وخريطة الريهجة، صنع العلماء فلاماريمون الفلكي.
• عن السماء وما فيها من الكواكب.
• مجموعة الترمات الصادرة باللغة التركية بخصوص الحكومة المصريَّة.
• مجموعة من المصورات لبلاد الأناضول المشهورة مرسومة بالألوان.
• من الكتب النادرة، أجراه لابن عمبار، أجزاء لآب أبو ياسين الرمان لابن الجوزي، ونسخة كاملة من تاريخ ابن خلدون عليها خط الشيخ حسن الطاره شيخ الجامع الأزهر، ونسخة من الجزء الرابع من تاريخ الجبرتي وتحتوي على فصول كثيرة، أضطر إلى حذفها من النسخة التي طبعت في بولاق لأن فيها هجومًا على (محمد علي) ويساوي ما حذف من الأصول حوالي 50 صفحة.
• المجلة الأسيوية (باريس) من أول عدد 1832 إلى ما بعد سنة 1930.
• نسخة من لسان العرب على ورق كان.
• كتاب الفتوة في الإسلام.
• كتب الطب المطبوعة في أوروبا بالعربية والفرنجة، ومنها
 ما يتخلق بالفلسفة والعلوم، والكيمياء، والطبية، والفلسفة، والميكانيكا، والآلات الروحانية، وكتب ابن سينا، ومنها (المقاسن، وجزء من الشفاء) (طبع رومية ۱۵۹۰).

مجموعة من الكتب التي صدرت في مطبعة بولاق، وفي مطبعة أركان حرب الجهادية المصرية، ومطبعة مدرسة الطب.

عديد من الكتب المطبوعة في الشام، والجزيرة (الموصل).

وتونس، والجزائر، ومراكش، وجزيرة مالطا.

قطعة من تاريخ الدولة الأموية من أول خلافة الوليد بن عبد الملك إلى اقتراب الدولة العباسية.

كتاب الدر الثمين في تاريخ اليمن أيام الإمام محمد بن عاط.

كتاب روح الروح فيما حدث بعد الملة التي تاسعت من الفتن.

الفتوح.

عشرات من الكتب المنقولة بالتصوير الشمسي منها:

۱) تاريخ السودان أيام محمد علي (۲) كتاب المجازة والمجازة للصفدي (۳) مختصر ذخيرة ابن بسام للأسعد بن مماتي (۴) التذكار الجامع لحميد ملك طرابلس (۵) الامتعة والمؤاسسة لابن جهان (۶) الذواكر والبحائر لابن جهان (۷) مقدمة ابن خلدون عليها تصحيح المؤلف وخطه (۸) الشعور بالعمر (قاموس الأعلام المذاهير الذين أصبوها بفقد أحد أعينهم) (۹) صبح الأعشى (نسخة كاملة مطبعة مجلدات) (۱۰) رحلة الشيخ محمد بشير البرمكي من بلد توات إلى الحرمين.
ولا شك في أن هذه المكتبة كانت هي ذخيرة زكية باشا
الأساسية في بروز شخصيته في العالم الإسلامي. كباحث تناول
عליו الأسئلة من كل مكان، تسأل عن كتاب أو حدث أو قبر
أو أثر تاريخي أو رواية من روايات اللغة أو علم من أعلام
الجغرافيا.
فقد كان يرجع إليها في مثل رد الطرف، فيجيب السائل،
ذلك أنه استوعب كل هذه المؤلفات الضخمة، وراجعها، وعلق
على هوامشها، وأخرج فنونها في جذاذات مرتبة، وقصصات
تحت يده بحيث يستطيع أن ينظر فيها فيجد ضالتها في أسرع
وقت، ومن هذه المادة الضخمة استطاع أن يكشف جوانب
مجهولة، ويثبت قضايا لا قبل لها بمواجهةها أو الوقوف أمامه
من أجلها، ولطالما أثار قضايا مع على بهجت مدير دار الآثار
أو جرجس فتتاؤس عوض المؤرخ القبطي المشهور، أو مجيد
مسعود الباحث اللغوي، وغيرهم وغيرهم، فكان قوى العارضة
يراجع الأمر مرة ومرة ومرة حتى يستوفيها، ويفحص خصمه ومن
أجل هذا يهم المستشرقين والعلماء الأجانب.
وقد كان يرى في داره—كما شاهده الدكتور بشر فارس—
خزائن تملأها جذاذات مرتبة على حروف المعجم، كل طائفة منها
على حسب الفن أو الباب الذي يرجع إليه (1).
وقد أضافنا البحث عن عشرات من ذخائر التراث العربي
وتحمل في سبيلها الجهود الضخم، من ذلك كتاب «نهاية الأرب
المحتفظ - أكتوبر 1944»
114
في فنون العرب» الذي واصل البحث عنه أربعة عشر عاما، من عام 1896 إلى 1904، في مكتاب القسطنطينية، رومية، برلين، ور؛نيدن وباريس، ومدريد، وأكسفورد. وقد تفرق أجزاءه في كل دور الكتب الأجنبية، وبيت مصر محرومة منه، ولم يبق منه في دار الكتب (الخديوية) إلا الجزء الثاني والعشرون فقط.
وظل زكى باشا يبذل الجهد حتى استطاع أن يحصل على أجزاءه الحادية والعشرين.

ومع عجب أن تحوي مكتبه الكتاب النفيس بكل ما تقلب عليه من الأدوار والأطوار، ف能找到 منه مخطوطة بخط السيد أولا، ومطبوعة بأبولك، ثم نسخا مطبوعه منه في الشرق والغرب، وترجماته إلى الفرنسية والإنجليزية والأسبانية واللاتينية.

والمباحث التي كتبها جهابذة العلماء على الكتاب أو المؤلف، وتضم مكتبه أكبر مجموعة في الشرق مما كتب عن اللغة العربية من أبحاث علماء الشرق وعلماء الأفلاج.

ومن أجل تسير الحصول على الكتب معنى لدى وزارة المعارف حتى وافق على إلغاء الرسوم الجمركية على الكتب.
ويقول زكى باشا أنه كان في أول أمره يؤثر عدم التجديد للكتاب البالغًا على شراء كتاب آخر وكان يضم كتبًا مختلفة اللغات والأبحاث والأطوال والعروض في مجلد واحد، وأنه قد بدأ كتاب كثيرة لعدم تجهيزها، ثم اضطر إلى تعيين مجلد خاص يزاول مهنته ليلًا ونهارًا (1).

(1) مجلة مصر الحديثة المصورة – 12/11/1439 هـ.
وقد نقلت المكتبة الزكية من مكان إلى مكان، فكانت في أول الأمر بمنزل خلف سراي عابدين، حتى وافق مجلس النظام على طلب أحمد حشمت باشا ناظر المعارف في أكتوبر سنة 1910 بتخصيص مكان خاص لزكي باشا في دار الكتب وأعطاه رخصة دائمة (وهذا المكان هو موقع باب الطبعة الشمالي لدار الكتب الآن).

وظلت الخزانة الزكية مفتوحة الأبواب كل يوم من الساعة الرابعة بعد الظهر حتى منتصف الليل، ثم وقع الخلاف بينه وبين الحكومة عام 1921، فطلب إليه نقطه من دار الكتب فأوقفها وقدمها هدية للأوقاف، وحرر الوقية في 31 أغسطس 1931 في محكمة مصر الشرعية.

وبات عن الأوقاف محمد زكي الإبراشي واشترط:
1- أن تكون له النظارة مدى حياته، ثم بعده لوزير الأوقاف بصفته الرسمية.
2- أن يكون مقرها مدرسة السلطان قانصوه الفوري.
3- أن تسمى "الخزانة الزكية" وتبقى مستقلة يشخصيتها، فلا تضاف إلى دار كتب أخرى أو مدرسة.
4- المطالعة في قبة الفوري والاستمارة له وحده.
5- أن تكون الخزانة بأسمه وتشمل كل كتاب عليه ويجب لا تضاف لدار الكتب أو تخلط بها وقد كان مجموع الكتب اذ ذاك 12 ألفا.

وقد تحدث زكي باشا عنها مرات فقال: ان سبب اهدائها
الأوقاف أنه كان يسيطر على وزارة المعارف مستشار إنجليزى (دنلوب) فخشيت أن يضمه ولو بعد وفاته إلى إحدى المكاتب الرسمية (1).

وكان قد أشار إليها في محاضرة له نشرتها المطبعة (في نوفمبر 1910) حيث عدد المكتبات الموجودة غير دار الكتب ومكتبة الأزهر ومكتبة بلدية الإسكندرية فقال أنها خمس مكتبات: بيت البحري، وبيت رفاعة، وبيت عبد الله فكرى، وبيت لطيف باشا سليم، وبيت أحمد بك تيمور. وأشار إلى مكتبة على استحياء وقال "خشيت أن تذهب مجموعتها من بعد للمطار والريات والبقال، أو تفرق شذوذ مذر، كما حصل للمجموعة النمطية التي كانت تزدان بها دار على باشا مبارك في حياته، ولذلك جملتها خاصة بالأمة.

ولطالما ردد أحمد زكي اهتمام وزارة الأوقاف لها إذ أضافتها إلى قسم المساجد ولم تهُل الأمطار (ديسمبر 1925) كانت تنهارها لولا حارسها الذي استعان به من فرقة إمارة العربية. ولطالما هاجم هذه المكتبة في ساعات غضبه، متأثراً من عجزه عن حمل عبئها "هذا العباء الذي كان يتكاثر كل يوم، فأصبحت الكتب كارها، أتمنى الأرض أن تعيد بها، أو يرسل الله عليها شواهد من نار تأكلها، ولكنني كنت أضجر من هذه الخاتمة، وأتأوه من هذا المحجوب المكروه، الذي تغلق في صميم الفتوى" ...

(1) مجلة مصر الحديثة المصورة 4/12/1929.

117
وقد زارها محمد كرد علي، وكتب عنها فصلاً في مجلة "المقتبس" المجلد الثامن وقال ان تنسيقها أقل من تنسيق الخزانة الإيمورية، لأن صاحب هذه الخزانة - يقصد التيمورية - قد اقطع إليها سنين.

وكان لزكي باشا إلى جوار ذلك حجرة ضخمة في قصره المسمى دار العروبة: وصفها زائر عام 1930 بقوله: إذا ألحت لك المقدم أن تجتز عبناتها ألف ومائتي وسبعمائة كتب وأوراق مفرقة هنا وهناك، تضرب أخاماً لأقداس. وان الشيء الذي يجول هو هيكل الكتب المرتفع الواقع في وسط الغرفة، التي لا تعرف أول وصلة هن كدولاب ضخم أو صندوق بضاعة، أو مقام ولي من أولاء الله.

وتلقت نظرة تلك الكتب والمجابات الملقاة على سطحه وبين ثناياه، بلا ترتيب أو نظام، كسواها من الكتب البهورة على المقام والأركان.

وظلت الخزانة الزكية قائمة في مكانها حتى صدر قرار وزير الأوقاف في ديسمبر 1935 بنقلها من قبة الغورى إلى دار الكتب.

***

واليوم إذا سألت عن (الخزانة الزكية) أيها هي قلنا لك أنها حيصة مهجورة في الغرفة رقم 18 من مبنى دار الكتب في القلعة.

وتضم مجلداتها 1870 غرفتان كبيرتان، حيث تجد مشات من الخرائط والصور منشورة في جوانب الغرفتين المتدخلاتين.

بدون عناية.

118
وتضم المكتبة حسب التقرير النهائي عن محتوياتها:

- 324  فوتوغراف (عربي)
- 1153  مخطوط (عربي)
- 10497  مطبوع (عربي)
- 90  مخطوط (شريقي)
- 231  مطبوع (شريقي)
- 6425  مطبوع (أفريقي)

المجلدات بها جرائد ونشرات وسجلات المكتبة.

---

ولا شك أن جزءًا كبيرًا من الموارد المتوفرة في المكتبة الركية، سواء من المؤلفات المحررة التي لا توجد في دار الكتب نفسها، أم الدوريات، فإنه هناك أكثر من مائة مجلة أو جريدة على الأقل لا توجد في دار الكتب منها نسخة واحدة، سواء مافيا الزكاة.

---

وفي مجال الحديث عن المكتبة الركية يبرز دائما المقارنة بينها وبين المكتبة الترمورية. ويبدو واضحا أن كلا الرجلين أحمد زكي واحمد تيمور كانا أشبه بترس في راهان في حلبة واحدة، في عنيهما المخطوطات والمكتبات القديمة وان اختلافا في الأسلوب. فزكي باشا له طريقة الاستعراضية كلما عثر على كتاب أو اكتشف نسخة. فانه سرعان ما يعلم ذلك ويقيم الدنيا ومعدا، بينما كان أحمد...
تيمور على خلاف ذلك تماماً فلا أكثر من أن يطلع عليه أصدقائه ورواد ندوته.

ورجع هذا في الأغلب إلى الطابع النفسي لكل منهما فأحمد تيمور رجل من السراة شفف بالعلم فتلقاه من العلماء والكتاب. وقد وجب حياته كلها للعلم فلم يتصل كثيراً بالناصب أو ذوى النفوذ. وتجرّد للدرس والبحث والمراجعة وتكوين مكتبه التيمورية التي بلغت إثني عشر ألفاً من المجلدات، والتي عنى صاحبها بطبعها الإسلامي والعريبي الواضح. وانفق كثيراً في سبيل الحصول على ذخائرها النادرة.

ولم يكن أحمد تيمور كثير الاتصال بالصحف أو منعها بالكتابة ولكنه كان دؤوباً على مراجعة هذه الكتب معلقاً عليها مستخرِجاً منها نصوصاً يدسها في كراسات ويجيل فيها على الكتب الأصيلة. وقد طبع بعد وفاته عدد كبير منها وما زالت لجنة المؤلفات التيمورية تواصل العمل وقد أعان أحمد تيمور على ذلك ثروته تجرده من مطاعم الشهرة ومظاهر السلطة ورغبة الظهور. بينما وعلى أحمد زكي بهذه الجوانب أقنع فيها كثيراً من وقته وماله ولذلك صدقته عبارة «كرد على» أن المكتبة التيمورية لاقت عناية أكبر في تنسيقها مما لقيت المكتبة الزكية. بالرغم من أنها قاقت التيمورية أكثر من 6 آلاف كتاب.

وقد عنى «محمد كرد على» بهذه المقابلة بين الرجلين في محاضرة ألقاها بالقاهرة بعنوان «الأحمد المصري المحدثان» أشار فيها إلى أن تيمور يتحلي بالروح الديني وأن الروح المدني.
غالب على زكي باشا. فكان هذا مستشرق شرقي وذلك شرقي قبل كل شيء. أما تيمور فقد جال في دائرة ما أحبه أن يعرف منها طول عمره. وكذلك كان زكي. إلا أن الدواعي والبواعث كانت تفضّر هذا إلى تجاوز المدى الذي رسمه لنفسه. فخاض زكي في المجتمع وتجلّى في تضاعيفه وقبله بما فيه من حسنات وسمنت أكثر من تيمور. الذي ابتعد عن المجتمع ولم يجب أن يعرف إلا إلى طبقة خاصة لا تنغص عليه عمله وسلمته.

وهنا ظهرت بعض الشيء ارستقراطية تيمور والديمقراطية زكي. كانت حياة زكي مرحية تتمتع بحماجها ومناعها على ما يشتهى. وتعمل التعيم لا يرجى. وحياة تيمور عابسة فيها شيء من الاحضار وفيها عزوف. وكلاهما صادق في مشروبه. صادق في سيرته غير مدلس ولا متنفس ولا متزمت. فتمنى تيمور فيها أحب من صنوف الأدب. أما زكي فأخذ حياة العمال والسياسيين، وحياة المسرفين والترفين. وكلاهما حكمت عليه بيتته أن يكون ما كان. وعدد من أخذ عليهم تيمور من الشيوخ كان أكثر من عدد من أخذ عليهم زكي. فجاء «تيمور» عالما إسلاميا قبل كل شيء. يجب الاتفاق بما انتتج أهل الغرب وجه.

زكي عالما شرقيًا يشبه علماء الغرب إلى حد بعيد.» أ. هـ
لا شك كان أحمد زكي - على ضوء هذه الملامح من حياته وأعماله «نظرية» فكرية يؤمن بها، ويعمل لها، ويدافع عنها.
ولولا هذه النظرية التي بلغت في نفسها مبلغ العقيدة، لما استمر الصعب ولا بذل الجهود، ولا أثقل ماله في سبيل مواصلة العمل الذي آمن به.
والواقع أن نظرية أحمد زكي الفكرية التي يمكن أن يقال عنها أنها رسالته ودعوته كانت واضحة وضوحًا مشرقاً في نفسه منذ السنوات الأولى. وتان كان قد أفقد في الكشف عنها، والتوسع في إذاعتها، بعد عام 1932، حين أخيل إلى المعاش وتخفف من تكاليف العمل الحكومي وقيوده، التي ربما كانت تحد من جرائه في الرأي، أو صرحته في التعبير، أو ربما كانت تكفله بعض المجعلة لهذه الجهه أو تلك، مما كان موضع النقد أو التقادم بينه وبين ركب النهضة المدفع إلى الأمام في حماسه. والذي كان يطلع في أن يكون أحمد زكي - بلسانه البلغ وقلمه السايل - في مقدمة الاتجاه إلى النهضة.
وامضي عم أن أجد ملامح هذه النظرية الفكرية في مذكراته التي سطرها من أجل الدعوة إلى تبني الحكومة مشروع إحياء الآداب العربية وذلك عام 1910.
يقول: أن المستشرقين يهتفون على الوقوف على كل ما له ارتباط بالحضارة الإسلامية، ولا شك أن الحظ الأوفر في هذه الظاهرة يجب أن يكون لمصر. ويقول: "أن المستشرقين لا يأتون جهداً في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهاده العرب ويعتبرون فيها عن شتى الموضوعات. ونشر لهم طائفة كبيرة من أمهات الكتب العربية النفيسة وقد يترجمونها إلى لغاتهم." 

فهذا هو الأمر الذي لفت نظر أحمد زكي، ودفعه إلى العمل من أجل إحياء الآداب العربية منذ وقت بعكر، من قبل عام 1910 سنوات، منذ عام 1893، أي قبل أن يتقدم بهذا المشروع بثمانية عشر عاماً. 

هذه هي غيابته النفسية على تراثنا وآثارنا، وقد رأى المستشرقين يهتفون عليها ويسألون عنها، ورأى مصر أحق بأن تتحلى الصدارة في هذا الأمر، فوجه نفسه إلى هذا العمل، وقدم له كل ما يملك. وكان دائما يقول عندما يسأل عن العمل المتعلق: هل ننتظر حتى يأتي المستشرقون فيدلونا على أمجادنا؟ 

وكان أحمد زكي قد اتصل منذ فيج بحاته العلمية برجال 

M. A. F. C. 

البعثة الأثرية بالقاهرة المؤسسة عام 1881 

Francais 

والتي أصبح اسمها: المعهد العلمي لإثار الشرقية 

وعرف مسيو ماسيرو رئيس المعهد ومسيو بونولا بك وترجم لهما. ثم أصبح عضوًا في الجمعية الجغرافية، والمعهد العلمي مشابكًا في الأبحاث التي كانت تلقى باللغتين الفرنسية والإنجليزية فقط.

١٢٣
ولا شك أن إسماعيل بروتي (المترجمة الفلسطينية المصرية) قد دفعته إلى ضرورة عمل شيء في هذا المجال. فهؤلاء الباحثون العربون يبحثون عن التراث العربي ويعيونه، ومنهم المنصفون الذين لا يكررون مجد العرب وفضل العرب، ألا ي يكون هناك عربى مصري يقف في هذا الصف، ويضع كتبه في أكتاف هؤلاء هنالك تطلع أحمد زكي إلى هذا المجد عن طريق أعماله ثلاثة وآتية:

1 - أحياء الآداب العربية، وذلك بالبحث عن المخطوطات النادرة طبعها.

2 - إنشاء مكتبة الزكية التي كان يطمح في أن تكون المكتبة الثانية في مصر.

3 - تحقيقاته وتصحيحاته ومراعاته، واكتشاف عن وجه العظمة والقوة في التراث العربي الإسلامي.

وقد ظل زكي باشا يردد دعوته أربعين سنة، من أجل التعرف على العرب على الحضارة الحديثة، ولكنه لم يكن جامعا في دعوته، أو اتسمكا بالقديم تسك التقليد بل مؤمن بالحضارة، مؤمن بتطوير اللغة، يرى هذا المجد هو أساس النهضة. وهذه مجموعة من عباراته التي رددها على توالي الزمن ترسم طريقته وهدفه ورسالته.

1 - «أذهب يا فتى العرب إلى أي متحف بأي عاصمة أو حاضرة أو مدينة في ديار أوروبا من شرقها إلى غربها، من شمالها إلى جنوبها، أو من شماليها إلى"
هنالك (كما يقولون في جزيرة العرب) فإنها حينما وضعت قدمك ستجد آثار مصر الفرعونية والقبطية والاسلامية آخذة ببعضها برقاب بعض، على ما فيها من كثر، وعلى ما حوت من عجب عجاب، فإن كانت أوروبا قد احتلت كل بلادنا، فإن آثار أجادانا قد احتلت كل متناحها.

3 - عندما أتكلم عن العرب أذكر مجدهم استثارة لهم في نواحي وورثة ثقافتهم، ولست بذلك أدعوهم إلى الجهود أو لزوم خطط الآباء، فإن العالم يجب أن يتطور، ومن لم يتطور يهلك، ويكمنا مع ذلك أن تتطور دون أن تقطع الصلة التي بيننا وبين السلف.

4 - إذا كان اسمايل قد أراد أن يفرنجنا، وبلحنا بأوروبا، فقد أخطأ، إن انحطاط الأندلس واختراق العرب من أسبانيا يرجع إلى تخاذلهم وليس إلى لزوم التقاليد القديمة.

5 - أما الالتحاق بأوروبا فهذا ما لا يوافق عليه البطة، لأنه إذا كان هناك من يدعو الشرق إلى أن يتفرج فانا أدعو العرب إلى أن يترسب، فإن لنا تقاليدنا وكبراؤنا، ولست في ذلك المعارض في أن نأخذ من أوروبا كلما نتقوى به.

6 - يرجع الفضل في النهضة الجديدة إلى من درسوا القديم وأحبوه مع إجادتهم اللغات الأجنبية، فهم
الذين وجهوا الأدب العربي إلى ذلك التجديد الذي
يكاد ينفي بالحالات المكررة في عصرنا الحاضر.

6 - انا لمجرون إذ أرى قومي والكاتبين باللغة العربية
التي لا يزالون متناقلين عن تراث أجدادنا الباقي
ننا، وأذ أراهم يعتمدون على الغرب عنهم،
yيتقللون على الأفرنج، حتى في نقل هذه الأسماء
التي يجب أن نحتفظ بها لتكون لنا منها ذكرى تتفنخ
فينا ذلك الروح القوي الذي جعل لأجدادنا مقاما
كريماً في الأولين.

7 - اللغة العربية رابطة بين الأقطار العربية، وأنا مصري،
ولكنني أيضاً عربي، وأحب أن لا تنقسم هذه
الرابطة وانى أقول بجامعة عربية.

8 - انا أخذت على نفسي أن أظهر لقومي ما طوته الأيام،
وتناساهم الناس من مفاخر الحضارة الإسلامية، وما زى
المعارف العربية كلما لاحت لى فرصة وكان عندي
الإرحس الصادق والدليل الصادق.

9 - أنا أناذى على رؤوس الأشهاد وفرق منابر الجرائد
بوجوب الأخذ عن الأفزاع فيما وصلوا اليه من
المحماد والكمالات ولكن دون أن أني الميزات
والحقائق التي تحددت إلينا عن الآباء والأجداد،
وعقدي ما أن الرجل الشجاع الناضل هو الذي لا ينكر

126
أمه في وقت محتتها بل يمد يده لانتشارها من وهدتها ، بل يفاخر باتساعه إلينا .
وإن الشرقي النابغ إذا تخلى عن قومه وترجف فلن يكون وجيها عند الإفرنج ولا يرونها إلا كمية مهملة ، بل صفوا على اليسار ، فأنهم ليسوا بحاجة إليه ولا إلى ألف مثيل له ، ولكن إذا بقي في حظيرة قومه ، كان هو الكل في الكل ، وكان علما في رأسه نار ، وكانت له المثمرة في تجدد المجددة لأمه وبلاده ، هذه عقيدتي وهذا رأي ودينى وديني».
وهكذا تعطى آراء أحمد زكي بشاش وجهة نظر صادقة متكاملة ، أساسها بناء النهضة الجديدة على أساس مقومات الأمة العربية وقيمها وتراثها . مع تقبل الحضارة الحديثة والأخذ منها .
وقد حدد هدفه أيضا في شعر بلينغ كان يرده دائما : وقتت على أحياء قومي يراعتي وقلي ، وهيل إلا اليرع والقلب ولأ كل يوم موقف ومقابلة.
أنادي ليوث العرب وحكموا هبوا فاما حياة تبعث الشرق ناهضًا واما فناء وهب ما يرق الغرب.
كشف عن أمجاد العرب والمسلمين

على أحمد زكي في المقام الأول من أبحاثه ودراساته بالكشف عن أمجاد العرب والمسلمين وأثرهم في الحضارة، ودورهم الكبير في مجال العلم والفكر والثقافة. وقد وصل عن طريق التحقيق العلمي إلى وقائع تاريخية ثابتة أخرى:

أن العرب سبقو الأفرنج إلى التفكير في كشف أمريكا، وحاولوا الوصول إليها مرتين بالفعل. أولاً، في شبهة عاصمة (البرتغال) وثانيهما في مدينة (غابة) في السودان الغربي على ساحل المحيط الأطلسي وكان تخيلهم لها بطرقية منطقة عقلية هي أفضل من التي اتبعها كورستوف كولومبو، فأنه لم يكتشفها إلا بطرق الصدفة والاتقاء، ذلك أن نظرته إلى شرحها للملكة إسبانيا، كما كانت في الامكان في السير غربا حتى يصل بلاد الهند فلما وصل إلى أمريكا سماها بلاد الهند الغربية، وكان معه رجل من المسلمين هو الرياش، وقد وصفها لنا وسماها الهند الغربية. (1)

أن الإمام الأصفهاني أثبت طريق الاستنتاج المطلق والدليل الجغرافي ووجود أمريكا في النصف الثاني من الكرة.

(*) السياسة اليومية 25 يناير 1944

128
الأرضية وأنه لا بد من وجود ناس وحيوان ونبات فيها (1).

سبق العرب الإفرنج إلى معرفة مرود النوم وسموه (النوم) — بضم النون وفتح الواو — وشرحوا أعراضه قبل أن تستيقق أوربا من نومها.

سبق العرب الإفرنج إلى حل مسألة الطيران، والمحاولة ذلك بالفعل ولي تقله من حيز العلم إلى حيز العمل.

سبق العرب الإفرنج إلى اختراع كتابة العيون.

وقد ظهر ذلك بالتحقيق عندما عثر أحمد زكي باشا على نسخة خطية لكتاب "كتاب الهيماز في نكت العيون" تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصندى. وقد أرشد إلى أن العرب كانوا السابقين إلى اختراع الكتابة البارزة للعيون، وقدمه المترجم له إلى مؤتمر العيون الذي عقد في أثينا سنة 1913.

عرف العرب "الشفرة" وهي الكتابة السرية قبل الإفرنج. وكان هذا الفن مستعملًا في الدول الإسلامية من أيام الأمويين إلى الحروب الصليبية، فأخذوا المفرز عن المسلمين، الذين أخذوا مبادئه عن اليونان، ثم رده الإفرنج اليها "وجعلنا بيعارف أهلنا اختناء باسمه الجديد عند الإفرنج" وهو الشفرة التي قلها الإفرنج عن كلمة "سفر" العربية، واستعملوها بمعنى الأرقام، لأنهم استخدموا الأرقام بدلاً من الأحرف.

(1) الأهرام - 1/7/1924.

149

م-9 اعلام العرب
من الحروف في الكتابات السرية. ثم استعمل لفظ (الجفر) بدل الشرف لتقارب المخرجين، لأن الجفر كان يستعمل في الألغاز بالحوادث المستقبلة.

ونظرا لأن هذا العلم كان خفيا خاصا بأسرار الحكومات الإسلامية فقد ظل مصونا لا يصل الجمهور إليه، ولذلك جهل كثير من الناس معنى هذه الكلمة، حتى أن كتب اللغة لا تشير إليها، بل أن شراح المقامات جهلوها ولم يفسروها، بل أن صاحب لسان العرب نفسه لم يذكرها.

ومما يذكر أن المكتبة الزكية كانت تحتوي مجموعة كاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابات السرية المعروفة بالـشفرة وكيفيتها عند العرب واستخراجها.

عرف العرب ظرة الأرض وسبقوا بها جاليليو، الذي قال بكرية الأرض ودوران الشمس، بعد أن قرر العلماء الإسلاميون في بغداد وقسطنطينية والقيرون بأكثر من ثلاثة قرون، وقد سجل هذا الشريف الأدريسي وفضل الله العمير وشهب الدين التويزي، وان أبا الفداء والإمام الأصفهاني قالما أيضا بكرية الأرض.

عرف العرب القبائطي المصري قبل الأفونج.

وقد عرف الأفونج هذه التسويقات على اعتبار أنها من فنون النسيج الحديث التي ابتكرها، فتصدى لهم أحمد زكى في مقال نشره في الأهرام 13 أغسطس 1924 معلنا أن هذه الصناعة عرفها قدماء المصريين وحافظوا عليها قبل مجراه.
الإسلام كما أنهم احتفظوا بها إلى آخر دولة المماليك وقال:
إنه ورد ذكرها في كتاب ألف ليلة، وقد انتقلت إلى مراكش والأندلس، وان أكبر فخار تأله هذا النسيج المصري هو تشرفة من صدر الإسلام بكونه أصبح كسوة لأكرم بيت عند الله، وان الناورق عمر هو أول من كنا الكعبة الشريفة بالقباري المصرية.

(1) إن العرب سبقووا الافرنجة إلى اكتشاف منابع النيل، ووصفوها وصف الشاهد عيان قبل الافرنجه بسبعة قرون، والمؤكد أن المسلمين من أبناء العرب الأقصى سبقووا الافرنجة فعلاً، ووصلوا قبلهم إلى منابع النيل وداروا حولها، ودونوا وصفها.

(2) إن العرب سبقووا الافرنجة إلى معرفة تيار الخليج الذي تتدفق أمواجه في وسط المحيط الأطلسي قبل الافرنجة بحوالي 189 سنة.

وإن الرجل الذي قام بهذا الكشف اسمه (الأيموس) وهو من أصل عربي ترجمته (الأمين) وهو من أبناء بيت عرف باسم الأمين في غرناطة وكانت السفن التي أرسلها أمير مالى وعامة مائتي سفينة شحنها بالرجال لاختراق البحر المحيط (الأطلسي) فغابوا مدة طويلة ثم عادت سفينه.

١٩٤٣
(١) الأهرام – ٨ يونيه
(٢) الأهرام – ٢٠ يوليو
واحدة أخرى من بها أن السفن سارت زمنًا طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له «جريمة عظيمة» فابلغ المراكب وكان ذلك عام ۷۴ هـ (۱۳۳۴ م) وأدرك ابن خلدون في تاريخه وتقله فضل الله العمري في (مسالك الأبحار) كما تقله القلقشندي.
الدفاع عن العرب

وعلى نفس الخط الذي سار فيه أحمد زكي كان دفاعه عن العرب، دفاعاً مجيداً، فما من خطأ وقع في كتابة باحث شرقي أو غربي إلا وتصدى له بالراجعه والبحث، وأبرز حق العرب وفضلهم وسبقه.

1 - لعل أهم ما يذكر له في هذا المجال رده على ما جاء في الصحف من أن الميسي بونكاريه رئيس الجمهورية الفرنسية أثناء زيارته لعاصمة (الانفصاليين) أي (لوندرة) — استقبل عشرين وفاء من طوائف الإنجليز ورجالاتهم المعدونين، وكلهم قدم له خطبة للترحيب بمقدمه إلي بلادهم فأجاب كل خطبة بعبارة من الشكر تختلف ما أجاب به الأخرى.

هناك أسرع أحمد زكي إلى نشر فصل في جريدة فرنسية تصدر في الاسكندرية وهي جريدة (النوفيل) بين فيه سبق العرب في هذا المجال، وأن الوزير ابن زيدون فعل أكثر من هذا، فيما أوردته ابن بسام صاحب كتاب (الذخيرة في محاسن الجزيرة) أي 1333.
جَزِيرَة الأَنْدَلْس. فَقَد رَوَى أنَّ الْوَزِيرُ {١} كَانَ قَائِماً في جَنازة بِعْض هَرْمَه، وَالنَّاس يَعْزُونه عَلَى اخْتِلاَف طُبُاقَتِهِم أَفَإِنَّ يَسِعُ يَجِبَ بِمَا أَجَابَهُ بِغِيرِهِ لَسْعَة مِيدَانِهِ وَحُضُور جَنَانٍ. قَالَ الْصَّلَح الصَّفْدِيّ {٢} وَهَذَا مِنَ التَوْسِع فِي الْعَبَارَةِ وَالْقَدِّرَة عَلَى التَقْنِيَّة فِي أَسَالِب الْكَلَامِ وَهُوَ أَمَر صَغِّبٌ إِلَى الْغَايَةِ وَأَقْل مَا كَانَ فِي تُلَكَ الْجَنازةِ وَهُوَ وَزِيرٌ أَلْفِ رَئِيسٍ. مَا يَتَعْيِن عَلَيْهِ أَنْ يُشِكِّرَ لِهْ، فَيُحْتَاج فِي هَذَا الْقَمَّه إِلَى أَلْفِ عَبَارَة مَضْمُونَهَا "الْشَّكْرِ" وَهَذَا كِتَابٌ إِلَى الْغَيَّةٍ.

يَقُولُ أَحْمَد زَكِي: وَأَظُهرت لِلْجِرَيْدَةِ الْفَرْنَسِيَّة أَنَّ ما صَنَعه {٣} إِبْن زِيدُونُ أَكْثَرُ بِكِيْشٍ مَّا فَعَلَهُ الرَّئِيسُ "بَوْنَكَارِيْه"، لَوْ نَسِبَ أَذَا نَظَرَتْ إِلَى الْمُوَتِّينِ، فَانَّ المَنْكُولَ بِالْأَوَّلَادِ، المُحْرَقَةُ الْقُوَّادِ، يُسْتَعِصِي عَلَى الْكَلَامِ، وَلَوْ كَانَ فِي بَلَاغَة قَس وَفَصَّاهُ مِسْجَابٌ.

وَيَرِى أَحْمَد زَكِي أَنَّ الأَمَر وَعَنَّ الْعَرْب لَم يَقَفَ عَنْ هَذَا الحَد، قَدَّمَ ثَلَاث شَوَاهِدٍ مِنِّ العَرَاقِ وَمَصرِ وَالشَّامِ.

* الشَاهِدُ الْأَوَّلُ: "الْحَرِيرَى" (الْعَرَاقِ) صَاحِبُ القَلَامَةٍ;
* كُلَّمَا جُمِعَ بِنِي الْحَارِث بَنِ هَمَامٍ وَبِنِ.

---

(١) مَقَدِّمَة كَتَابِ إِبْن زِيدُون، أَوْ صَفَحَةٌ مِنْ مَجَالِسِ الآنس فِي لَبَائِلِ الآنس لَأَحْمَد زَكِي طَبِعَ سَنَةٌ ١٩١٤.
السروج، واحتاج إلى التفريق بينهما،
والى التقول (فلما أصبح الصباح) تراه
يعبر عن هذا المعنى في كل مقامة بعبارة
تغاير الأخرى.

* الشاهد الثاني: الخطيب بن نباتة (مصر) أصل مجلدة
معناها من أولها إلى آخرها «أي الناس
اتقوا الله واحذروا، فانكم إليه ترجعون»
وهذا أمر بارع معجز.

* الشاهد الثالث: الصلاح الصدفي (الشام) فانه ألف
كتابا كبيرا في تاريخ المجاهدين في عصره.
وسماه (أعيان العصر وأعيان النصر)
وهو يقع في اثني عشر مجلدا، فكلما ذكر
وفاة أحد المتمردين استعمل عبارة تخلف
الصيغة التي استعملها في كلما على وفاة
غيره..

وقال أحمد زكي: ان هذه الشواهد قد أوردتها لا لكي
من الأفرنج الجاهلين أو المتجاهلين، ومن المصرين والمترجمين،
لعلمو أن في اللغة العربية كنوزا لمن يطلبها، وذخائر تجعل لها
ولاهمها فخرا بقية..

2- دافع عن العرب ازاء اتهام أحد الرحالة النمساويين
وزوجته (جوزيف يستجر) لأحد مشاهيخ العرب في

135
خلال رحلته بالصحراء في أفريقيا أنه قدم له فاكهة مسمومة.

وكتب زكي باشا مقالين متواليين: أولهما بعنوان: "حاشا للعرب أن يقدموا السم لضيفهم (الاهرام 29 أكتوبر 1928)" والثاني بعنوان "وشيخ القبيلة أيضا لا يس السم للضيف" (الاهرام 28 أكتوبر 1928) ومما قاله فليقل لي صاحبي، ماذا كان يمنع شيخ القبيلة من أن يفعل به وزوجته كل ما يريد من قتل ومسبي وتشريد؟ وهو في مأمن تمام من كل عتاب أو عقاب؟ اللهم إلا وخر ضمير، اللهم الإ شهامة العربية، اللهم إلا الكرامة البدوية.

وقال: لا أقسم بالسماء والطريق، ولا بالفجر الكاذب أو الصادق، بل برب الغرب والمشارق أن العرب والبدو والطوارق، لا يدسون السم للغرب الطرئ ولا للضيف الطرئ.

ولست بالذي يبين في هذه اليمين، لأني أتحدث عن خبرة هي عين اليقين، بعدما طوفت في السياسي والفراء، على متن الأفراح والبغال والأباعر، وعلى ظهور السيارات والموار (1)، لا فرق في ذلك بين الجول والشول والحمار في عودة العرب والشام.

(1) أي الموتوات (كل ما يسر بالموتور).

132
وين تيه اليهود في شبه جزيرة الطور بفاران، ومهمه تهامة في اليمن والحجاز، ولا ين بارى مريوط والطرون وشيهان ولوليا في أحساء الرمال التي لها بالصحراء الكبرى أتم اتصال.

ويوجه كلامه إلى الرحلة: أنت نسبت إلى قبيلة البربر ارتكاب الفظائع، فأشتثمت الحق والتاريخ لا بل سل المستشرقين من قومك مثل (كرابلسكي) ثم سل العلامة (هموبلر) ثم سل (جولدمت) و (كوينزتارد) دون زملائهم في بلاد أوغرا وأمريكا، فكلهم يتحدثون الراك عن مفاخر البربر، وعما كان لهم أيام كانوا في صناعته وبنى عبد الواد، من السلطان الأكبر وعمالهم في يومها هذا من المأكرو ومحامد، التي لا ينكرها حاقد أو جامد.

3 - وهو يهجم الدعوات التغريبية التي تريد أن تفصل العرب، وتمزق شملهم، فذا جاء ذكر (الفيينيقي) تطوع لكشف حقيقة هذه الكلمة، وأبان أن العرب لم يعرفوها، وأنها كلمة دخلة، فهو ينكر أن كان عند أسلافنا العرب شيء أو لفظ اسمه فينيقيه أو فينيقي، ويقول: فكيف أرضي (1) لا ين كن أن يختار لبلده ولقومه اسما أفريقيا، وهو لا أصل له عند ولا عند جدي.

(1) المقطم 13/10/1929.

137
"فينيقية" هذا لفظ يرتبط معاً النخلة، وقد وضعه الإغريق في هاجاتهم الأولى، بعدما زاروا تلك البقعة الساحلية التي تمتد من أنطاكيا شمالاً إلى غرب جنوباً. وانها أطلقوا عليها هذا اللفظ لأنهم حين وفدوهم عليها رأوا النخلة (أصلها ثابت وفرعها في السماء) وهي تنهد في جمال واختيال مع النسيم حينما وصل، فقالوا مشدوهين:

فينيكا، فيليكا.

وتداول شعراؤهم ومؤرخوه وكتاباتهم هذا الاسم الجميل فجرى بين يراع (أومبروس) شاعرهم الأقدم، و (هيرودت) مؤرخهم الأول، حتى وصل إلى بطليموس الجغراف الفلكي، الذي تفشى العرف، وهما به وكتبه هیاما لا يقف عند حد، ومع ذلك لم يأخذوا عنه هذا الاسم، ولم يسيروا هذا الاصلاح كما فعل الرومان من قبلهم.

(1) ومند يتحدث عن هذه المنطقة فقال: انهم درجوا في عشهم الأول في جزائر البحرين الواقعة على الضفة الشرقية من بلاد الأحساء وهي (الحسا) من جزيرة العرب، فهي لا جدال قحطانية الأرومة يمر بيه النسب.

(1) المقطم - 16/10/1929

138
وقد اضطر فريق من هذا الفخذ من عشائر قحطان باتلك الجزائر (جزائر البحرين) إلى الهجرة، فركب متن الخليج الفارسي قبل ميلاد المسيح بنحو 3 ألاف سنة، حتى إذا انتهت بمواعيد الليل الأجاج على أمواج العذب النهر، أمعنوا بسفائفهم، مصعدين في النهر إلى أن ألقوا الأناجر والمراسي (عند بحر النجف). على مسافة من مدينة بابل، وهناك نصبوا المضارع والخيام واستقر بعده المقام.

ثم عادوا إلى الترحال في الفياض والقفار، إلى أن ألقوا عصا التسيار على شاطئ بحر الشام، وهنا ااقتصاد هؤلاء الأعاريب ملكا يشمل على الدوام طرابلس بريهاها، ثم يروت بلبنانها، ثم صور بأرجوناتها، ثم صيدا بأنوارها، وأزهارها، ثم عكا بحصبهما، ثم حيفا بكرملها.

وقال: إن الحضارة التي نشأت في تلك المدن في البحرين هي نفس الحضارة التي شهدت نظائرها على سواحل لبنان وفلسطين، ولا سيما في صيدا وفي صور، حيث ثبت أن الحضاراتين مرتبطتان برباط وثيق من العروبة قد سجلها التاريخ وقد أيدته الآثار، وما أن أهل البحرين متحدون عن قحطان، فمن الطبيعي أن يكون فرعهم الذي نجب في لبنان وفي
جنوب لبنان تابع لتلك الدوحة الذربية التي تفاخر

الرد على شبهات اليهود:

كما حرص "أحمد زكي" على (1) رد شبهات اليهود وحاربها بعنف، ومن ذلك أن الدكتور (هوبارك) من البنجاب أعلن حين مروره بالقدس (وتقلت ذلك الأهرام) أن في أفغانستان وبلوشستان والهند ما يقرب من مليوني مسلم يعدون أنفسهم يهودا في الجنسية، وهؤلاء المسلمون كما يدعى الدكتور بارك يدعون أنفسهم ببنى إسرائيل، أو هم يقولون بأنهم منحدرون من اسماعيل بن إبراهيم، وأن أسلافهم جاءوا إلى البلاد المذكورة منذ أثني عشر قرنا خلت، وهم يعدون التوراة من كتبهم القدسة.

ويهال أحمد زكي بأسلوبه الساخر العنيف، فندد هذه الأكذوبة فيقول: "هل نظرت إلى هذا الحديث عن نصراني، عن يهودي، عن هنودي، وقد يكون هذا الهندوكي بوذيا، أو براهما، ان لم يكن صهيونياً، أو مشا انجلوكي، أو انجلزيا.

وأنا أحمد زكي باشا لا أصدق هذه الرواية التي جاءتني اليوم عن هنودبئ وعند يهودي عن نصراني(1) الأهرام - 21 مارس 1929

140
فهل من فتى صديق يوسييف بكأس .. ولكنه من ذياك
الريحق؟
لذلك رأيت من الواجب أن أكشف قومي بما عندي
في هذا الباب ، أما أول القصيدة فهو دلالة على
الكذب واليهود واليهود ، ولا أقول غير ذلك فإن كان لليهود
جنس (Roca) فلا ريب ولا جدل بأنهم الى اليوم
والى ما بعد اليوم ليس لهم جنسية (Nationalite)
فكيف يكون بعض الأجيال مسلمين دينا ويهودا
جنسية ؟ هذا محال بل ضلال.
وبعد فهل هناك مسلمون هم يهود ؟
ليس الدكتور بارك هو أول من يكشفنا بهذه
الخراقة ، ولكن فريقا من العلماء من قبله قد غرتهم
أقوال أولئك الأقوام فقالوا بها أيضا مثل بللو
وبول ، وهو لدشى ، ومثل رافزتي (بعض تحفظ من
هذا الأخير ) والناس مجبلون على التولع بكل
ما هو غريب ، أو غير مألوف ، ولكن هذه النظرية
الواهية قد درسها المحققون من علماء الأفرينج ،
فنقضوها من أساسها ، بحيث لا يصح لعائل أن
يرجع إليها .
أما عكس ذلك فقد أثبت التاريخ الصادق الى الأمس
فان جماعة من اليهود تسبوا براءة الإسلام ظاهرا
والى حين ، لذلك أن الإسبانين حينما طورهم من
(الفردوس الإسلامي المفقود) بعد تقلص ظل العرب
من جزيرة الأندلس ذهب جماعة منهم إلى أرض الترك
وتوطنوا على الخصوص في مدينة (سلنانك)
وأجوارها، وقد داعهم حب الكسب والغنيمة إلى
المظاهر بالإسلام وهم المعروفون عند الأتراك بلطف
تركيا، هو (طونة) وينطقونه (دونة) بدلاً من كلمة
مثل دال (دوبية).

أولئك اليهود المسلمون ما لبثوا بمجرد صدور
الدستور العثماني في أواخر حكم عبد الحميد (1) أن
عادوا إلى خلع ذلك الثوب الشفاف، فصاروا يهوداً كما
كانوا لا يزالون.

أما القول بأنه توجد على وجه الأرض جماعة يهود
مسلمون دينا بينما هم يهود جنسية فحدث خرافة
يا أم عمرو، وكفى الإسلام ما أصابه من جرثومة
الفساد (كعب الأحبار) ومن شجرة الضلال (وهب
ابن منية) ومن ينبوع الخرافات (عبد الله بن سلام)
ومن رابعهم (عبد الله بن سبأ) وقد نالوا منه كل
المرام وأصابوه بالدواهي العظام، وأهله غافلون.

(1) صدر الدستور عام 1908.0

142
ولا يزالون. أما القول بأن المسلمين في بلاد الأفغان
يعتبرون التوراة من كتبهم المقدسة فذلك كلام ليس
له برنا ومصدره الدعاية الصهيونية والنزاعات
الاستعمارية .. ». 
أما المجال النسيج الضخم العريض لمراحلات زكى باشا وقراءاته المتصلة في مراجعه وكتبه ومخطوطاته التي جمعها خلال أربعين عاماً أوزيد، والتي عاش في عمارها يراجع ويحقق ويكتب تعليقاته وجدّاتها، هذا المجال نجده في هذه التحقيقات والتصويبات التي لا حُد لها في مجالاتها التاريخية والجغرافية واللغوية وأسماء الأعلام والأثار.

وهي حصيلة ضخمة واسعة نشرها في الصحف، وحاولنا الإحاطة بها على قدر الامكان، واستطعنا أن نحصر قضائياها الكبرى، وقد ركز فيها على مصر بالذات، واهتم بها اهتماماً كبيراً، وجعل رحلته في بلادها وآثارها ومعابدها ومساجدها، ومرافحة ما كتب عنها، هم الأول.
وقد بلغ من الإحاطة بها أن كان يعرف آثارها الإسلامية
لمبحة في أقصى القرى، وينتقل إليها ويجتمع في أمرها، ولعل
أبرز ما وصل إليه في هذه التحقيقات التاريخية ما كشف عنه,
وأثار به ضجة كبيرة، وهو:

* السيدة زينب ما اختارت مصر ولا هي مدفونة فيها.
* الرأس الشريف ليس بالمسجد الحسين.
* مؤسس الأزهر والجري ريس مدفونين في الأزهر.

1 - قبر السيدة زينب:

آثار أحمد زكي أمر الرواية القائلة بقدوم السيدة زينب بنت
الإمام علي وأخت الإمام الحسين إلى مصر واقامتها ووفاتها بها.
وأذكر هذه الرواية، بعد أن أجري مراجعات متعددة على
طريقتها، وفي هذا يقول:

«الذي يشهد به المعارف بالحق الصريح، هو أن السيدة
زينب بنت الإمام علي وأخت الإمام الحسين، لم تشرف أرض
مصر بوطء قدمها المبارك مطلقًا مطلقًا ..
والحق الذي ليس بعده إلا الضلال، أنها قضت باقي حياتها

م - 10 أعلام العرب

145
بالحجاز، إلى أن انتقلت إلى جوار ثغب مدينة المنورة، فكان
دفنتها بالتقع.

هذا هو الصواب، وما عداك فأطلبي وبيتان.
أما المشهد القائم بالقاهرة فلا يضم رفات السيدة الظاهرة
التي أنجبها الإمام علي، وقد يكون قائمًا على ضريح امرأة من
الصالحين تسمى زينب أيضًا، كما يجوز أن يكون المدفون فيه
أي مخلوق من أي نوع كان، حتى ولو ممن عبده المصريون
على عهد الفراعنة.

كل هذا جائز إلا أن يكون ضريح «زينب» بنت علي من
فاطمة الزهراء.

ولعلم الناس أن ذلك الضريح لم يكن له وجود ولا ذكر
في كلي عصور التاريخ الإسلامي إلى ما قبل محمد عليه الأكبر
سنوات معدودات.

فقد جاء مصر واحد من الأغواط، واغتنى في مصر،
وأحرز ثروة طائلة، وجاهًا عريضًا، وهو الأمير (عثمان كتخدا)
صاحب الجامع القائم باسمه «آخر شارع عابدين ونول ميدان
الأزبكية بالقاهرة»، هذا الرجل كان طيب السيرة، وقد وصس
له بعض الأشخاص بأن يبني جامعا على ضريح في تلك البقعة
ولا أدرى كيف وصفوه بأنه لامرأة تسمى (زينب) ثم تسلسلت
الأكاذيب فجعلوها زينب بنت علي من فاطمة البنت.

لم يكن لزينب (آيا كانت) ضريح قبل عثمان كتخدا، حتى

146
بين الطوائف المكذوبة في القاهرة، (واما آخرها)، أما البركة، 
وأما الروحانية فذلك شيء آخر.
» من أكذب الكذب، ومن منتهى الأفكار والبهتان أن يقول

"إنسان يحارم الحق ويحارم عقل نفسه أن السيدة زينب بنت
الإمام على قد اختارت الإقامة بديار مصر، أو أن يزعم بأنها هي
الدفونية في القاهرة" (1).

وأضاف "يوسف أحمد" مقتضى الآثار العربية على ما ذكره
أحمد زكي أداة تارخية متعددة تؤيد القول بعدم مجيء السيدة
زينب إلى مصر، وعدم وجود قبر لها في هذه الدير.

وقال أن ابن جبير الأندلسي زار مصر في أواخر القرن السادس
للهجرة وكتب أنه وجد بها مشهدا للسيدة زينب بنت يعبي
ابن يزيد، واستنتج من هذا أن مقام السيدة زينب بنت الإمام
على لم يكن له وجود في مصر حتى أواخر القرن السادس للهجرة
وأن السخاوي المؤرخ الشهر الماهر أيد ذلك الرأى. وقال يوسف
أحمد أن الباني للضريح هو عبد الرحمن كتخدا عام 1174،
وليس عثمان كتخدا (2).

2 - رأس الحسين:

وأثار أحمد زكي مسألة رأس الإمام الحسين، وأنكر وجودها
في المشهد الحسيني بالقاهرة في مقال طنان رنان على طريقته في

(1) الأهرام - 9/8/1922.

(2) الأهرام - 20 سبتمبر 1922.
مقالة التي كانت تنشرها الأهرام في ذلك الوقت بالصفحة الأولى وبعناوين ضخمة، فكتب تحت عنوان (الرأس الشريف الأطر ليس بالمسجد الحسيني) وهذه عبارته:
«استورة وقعت في الصدور، ورسخت في الأذهان، وزادها مرور الزمان تمكيناً وتأيداً، فتناقلتها الكافة جيلاً بعد جيل، وأخذها الأحفاد عن الأسللاف قضية مسلمة لا تقبل قضاً ولا تقبل.
أثبت جميع التاريخين الذين يعد بأقوالهم، ولا سيما المتقدمين منهم، بأن عبد الله بن زياد بن أبيه بعث بهذا الرأس إلى الخليفة يزيد بن معاوية بدمشق، ثم أمر بعرضه في الجامع الأموي، ثم صلى ثلاثة أيام في دمشق، ثم أزولوه ووضعوه في خزانة السلاح، فلما أفضت الخلافة إلى المروجيين، أمر سليمان ابن عبد الملك فوضعه في سقطر وطئبه وكشفه في خمسة أثواب، ووصل عليه مع جماعة من أصحابه ودفنه في مقابر المسلمين.
وبقى الرأس الشريف مدفوناً بمقابر المسلمين في دمشق إلى أن فازت الدولة العباسية بالخلافة، فكان أول هم السويدة البحث عن موقع الرأس الشريف حين دخولهم دمشق ظافرين قبره وأخذوه، والله أعلم ما صنع به، ولكن ابن بكار والهنداني والأمام القرطبي، وهم من الصدر المتقدمين قرووا بأنه دفن في البقيع عند قبر أمه وأخي الحسن.

(1) الأهرام 17 سبتمبر 1933.
(2) الأهرام 13/1/1933.

148
2 - مؤسس الآزهر غير مدفون في الآزهر.
وأكد أحمد زكي في بحوثه وتحقيقاته المتعددة أن القبر
الموسم باسم (جوهر الصقلي) في قلب الجامع الآزهر ليس له،
وأنه غير مدفون به.
وله على ذلك أدلة ومراجعات أوردها على هذا النحو:
«أطلوة لا يمكنني المرور بها دون التنبيه عليها، والارصاد
إلى وجبة تصحيحها ذلك لكبلا يكون فيها حجة للمستشرقين
أو أهل الدراسة على أن أهل مصر (بلسان الصحافة الصادرة فيها)
لا يعرفون الحقيقة أو يتضامون عنه.
فقد ذكرت الصحف (1) أن قبر جوهر الصقلي في قلب الجامع
الأزهر.
إن مدفن القائد جوهر الصقلي مؤسس الآزهر غير معلوم إلى
الآن، طالما بحث عنه فذهب أشعابي أدرار الرياض.
إن قبره غير موجود بالأزهر بل أن المدفون بالقبر الجميل
الديم القائم بالملحق الأيسر المضاف إلى الآزهر اسمه هو
جوهر آخر.
إن طراز البناء هو من أسلوب الفن المملوكى، ولا علاقة له
بالفن الفاطمي الباقى من آثارهم، مثل جامع الحاكم والجامع
الأصفر.
الذي شابه جوهر الصقلي في الاسم هو طواقي حبيى من
أهل القرن التاسع للهجرة، قال عنه السخاوي في (الضوء
(1) الأهرام - 12/1933. 
149
الجبرتي ليس مدعنة في الأزهر.

وعارض أحمد زكي القول السائر بأن الجبرتي مدفون في الأزهر وقال: "(1) كلب الأستاذ (أحمد لطفي السيد "الصغير" بدار الكتب) لكي تجرده لهذا البحث وأن الأستاذ يوسف أحمد متشن الآثار الإسلامية بالوقاف « يعرف مثل أن قبر المؤرخ الجبرتي في (بستان العلماء) بقرافة المجاورين، يعرف أكثر من

ومن غيري ظروفي وأحواله، وتحوشه وكتاباته». وكتب أحمد لطفي السيد في الأهرام يلمع على كلام أحمد زكي ويقول إن الجبرتي مدفون في قرافة (قاهيبي).

6 - تحقيقات حول الأعلام والقبور.

وأجرى أحمد زكي تحقيقات متدفنة حول عدد من الأعلام والمساجد والقبور والشوارع، أمثال القائد جوهر، وكشكش بك، وسيد جابر، وقبر سليمان القراسي. مراجعاً في ذلك الروايات المشهورة، محققاً اياها، محاولاً الوصول إلى الحقيقة.

1 - فالقائد جوهر الذي قتله مصر وأمس الأزهر تضاربت الأقوال في جنسيته، وقال بعض المؤرخين إليه من الطليان.

(1) الأهرام - 1972/1/15.
ويرى زكي باشا أن هذا التضارب إنما جاء بسبب الوصف الذي أطلقه عليه كتاب العرب المقدمون، والمقبول به أن جزيرة صقلية كانت قد دخلت منذ زمان طويل في حوزة أمراء إفريقية، ثم آلت بعد ذلك إلى الفاطميين. وفي خلال ذلك الزمان كان قد انتشر فيها الإسلام أيضاً انتشر، وازدهر في روعتها أيضاً أزدهار، فنجم فيها العلماء والفضلاء، والكتاب والشعراء، وأهل الوجهة والرفاهة، وكلهم يعرف بالصقلية نسبة إليها، وقد جمع أسماءهم الكثيرة وترجمهم الواقية أحد المستشرقين البولانيون، وهو العلامة (أمارات).

وقال أحمد زكي: أن القائد جوهر كان من هذا الفريق، والدليل على ذلك أن وظيفته الأولى التي كان معروفاً بها إنها كتابة السير، ثم تولى قيادة الجيش، وقد أوغل في فتوحاته نحو مغرب الشمال. حتى انتهى إلى المحيط الأطلسي. (ولا تقول أطلسي، أطلنتيكي، أطلنتيكي إلى آخر هذه السخافات) وأن هذا الرجل ليس من الطليان، والذى صبح عندما أن جوهر الصقلية ليس طلياني كذا يقول الطليان والطليون (1).

(1) الاهرام - 5 يوليو 1929.
2 - ويعرض أحمد زكي لأسطورة "كشكش بك" في محاضرة رمانة ألقاها بالفرنسية في المجمع العلمي المصري، محاولًا تحقيق الأسطورة واخراجها إلى مجال التاريخ.

وعنده أنه كان في عهد محمد علي باشا الكبير ضابط في الأسطول المصري اسمه (كوشك) على بك - أي على بك الصغير -سكن الأسكندرية بعد أن أحيل عليه المعاش، وكان من طبعه المتفق عليه الكلاب يطعمها الحلوى، فتلتف حوله، وبهذة المناسبة حدث التحريف.

***

3 - ويبدى "أحمد زكي" اهتماما كبيرا بسيدى "جابر" الأنصاري صاحب الجامع الشهير (برملة) الأسكندرية.

وعنده أن صاحب المسجد هو ابن جيبرون الأندلسي وليس "سيدهم" جابر الأنصاري على حد تعبيره.

(1) وعنده أن الصحابة الكرام المعروفين باسم جابر لا يزيدون على 45 أنساناً كما نص عليهم صاحب "تاج العروس" منهم عشرة من الأنصار، هم ابن سفيان، ابن صخر، ابن أبي مصعبة، وابن عبد الله، (ثلاثة) وابن عنيك (ثلاثة) وابن
عمير، ولم ير في مصر (أي النسطر) منهم سوي ابن عبد الله وكليم لم يدنوا بوادي النيل.
(3) ومن أجل ذلك «فلا حجة ولا أصل لما اخترعه، وزعموا أنه جابر الأنصاري والحلان أنه رجل آخر باسم آخر قريب من جابر، بل هو تصغير جابر أي جبير.
(3) اذن فمن المدفون في ذلك الضريح؟ يجب أحمد زكي بأنه «كان من عادة أخواننا المغارة أنهم يهتفون على الحج عن طريق وادي النيل، وكان بعضهم يطيب له المقام في مصر، ويوقفه الحمام بها، ومنهم الشاطبي، والقرى، وأين خلدون في القاهرة.
ومنهم المرسي والمضاوري والطرطوشى والشاطبي وغيرهم بالإسكندرية، ومن هؤلاء الشناني ابن جبير» الأندلسي للرحالة الأشهر، وقد ورد هذا النص الصادق الصريح بأنه اقطع للتدريس في الاسكندرية وأنه مات بها، ودفن بها.
(4) أما قبره فقد وجد إليه أحمد زكي عنابة كبيرة، وبحث عنه بحثا طويلا، حتى يقول ان كان شغيل الشاغل، بعد رجوعي من رحلتي إلى الأندلس سنة 1892 حتى سنة 1901، ففى هذه السنة الأخيرة شرعت وزارة الأوقاف في عمارة
المسجد، وظهر فيه عمود عليه كتابة، فتوسلت إلى صديقي المرحوم أحمد حشمت باشا بنقل هذا العمود إلى دار الآثار ولا يزال بها.
(5) ومن أدلّة ذلك تلك الورقة التي أهديها إليه المرحوم الشيخ طاهر الجزائري بخط المؤرخ الكبير ابن المدي الحبيبي، وهي عندي في خزاتتي الزكية، وفيها يقول ابن جيبر كأن قابلنا بالتدريس في ذلك المكان.

٦ - أسماء الشوارع والقبور.

وأحمد زكي تحققات متعددة حول القبور وأسماء الشوارع، فهذا مسجد في قرية (أبراك الجمام) التابعة لمركز يتاي البارود، يقال انه قائم على أجداث جماعة من الشهداء، منهم (ابن سليمان الفارسي) ويرد أحمد زكي (باشا) بأن الحقيقة أن سليمان لم يكن له زوجة ولم يكن له ولد، وقد ذهب إلى هذه القرية وحقق بنفسه المسألة.
ثم التفت إلى اسم (أبراك الجمام) فاهتدي إلى أنها تصحية من الأثر والحكام الأثر والراجح عن النظريات الأصلية القديمة وهو أبراج الجمام.

٢ - ويذهب إلى قرية قادوس حيث يوجد عمودان أثريان صحيحان هما من الرخام المصقول، وعليهما كتابة واضحة باسم الفقيه أبي علي الحسن بن الشيخ.
ويرى أن هذه البيانات المتوقعة على الأحجار تؤيد وتصبح وتتكمل ما أثبته السيوطي عن هذَا الرجل وأجادده في كتابة (حسن المحاضرة ج1 ص172 و208).

- وكانبا هو مكلف بقراءة أسماء الشوارع أينما ذهب، وعندما ذهب مساء 26-4-1929 إلى ندوة الجالية الإيرانية ومسارع له لائحة مكتوب عليها (بهاء الدين ابن حنا) وإذا هو يكتشف أن هذَا الأسم لوزير بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا (بكسر الحاء)، الذي بني مسجد آثر النبي المشهور المعمور، وكان من رجالات الظاهرة بيرس، وهاجم مصلحة التنظيم وتساؤل: أم وظيفة التنظيم تنصير الأمور، وقال أنها قد عملت على تنصير الرجل بعد أن عاش ومات على الإسلام بساحة قرون، واتهم غفوراً عن صحة الأسم الذي قرره الوقائع والتاريخ على لسان أمير المؤمنين (في الحديث) ابن حجر في الدور الكامنة، ثم السخاوى في الضوء الالامع، ثم المقرئ في الخطط، ثم على باشا مبارك في الخطط التوفيقية، فان هؤلاء جميعاً نصوا بصريح العبارة على أن (حنا) يكسر الحاء وتشد النون، أي على مثال الشجرة الطبية المعروفة عندنا باسم (تمر حنا) والتي يعرفها العرب باسمها الفصيح (القاعية).

155
ويدهش (أحمد زكي) لأن مصلحة التنظيم وضعت فتحة فوق حرف الهاء في كلمة (حناء).

يقول «أراد أن يتذلّق وأن يحتفل، فوضع حركة طويلة للفتحة فوق حرف الهاء ثم وضع علامة النشدة بارزة ظاهرة فوق النون، فصدر الرجل بعد موعده نصرانياً، بل إن التنظيم بالغ في تنصير الرجل بعد موعده فخشى أن تكون الحركات العربية غير كافية لتمام الدلالة على نصرانياً فكتب اسمه بالأفرونجية Hanma.

4 - ويعتبر مصلحة التنظيم أيضا لأنها عمدت إلى ترقيّة الوزير الأيوبي الصاحب صفي الدين بن شكر - فجعلوه بالزور والنبوت - السلطان الصاحب في شارع الحمزاوي.

1 - جولته في القاهرة.

وتدلّ أبحاث أحمد زكي المتدفّقة على خبرة فائقة ودقة لا حد لها في معرفة كل ما يتصل بالمساجد والآثار، والقبور والأعمدة في جميع أنحاء البلاد، وله تحققات في أثر النبي، والفساط، يصل فيها إلى التأكيد بعدم وجود أي آثر - مطلقًا - للكعبة، النبي عليه الصلاة والسلام أو قدمه - على أي حجر، ولا على أي صخرة بالقدس، ولا في مسجد السيد البدوي في طنطا، ولا في
مسجد قاتبائي في قرافة القاهرة، ولا في مسجد أثر النبي في السطاط، ولا بآى مهج آخر.
وأين أن ذلك كله انما هو من آثار الوثيقة، وليس من الحقيقة بمكان (1).

3 - وأذكر خرافات العرش (2) والقول بأن بها قبور للأنبياء، وذلك بعده أن راجع اثني عشر كتابة (بعد الأسباط) وكلها من عيون التواريخ، وأفضل المصادر التي إليها المرجع فيما يتعلق بالزارات، ولكنني لم أظهر بغير الصفر وأنشى باللائمة على كعب الأخبار الذي خدعهم بأن بالعرش قبور عشرة من الأنبياء ولهذا ذهب العراشية إلى العمل بإكاذبه فدفزوا في هذا المكان بريق الوهم بل الإيهام شيئا، أو رجلا زعموا أنه من الأسباط ثم ترقوا بهذا السبط المزعوم، فأضافوه بالزور إلى ديوان الأنبياء، وهو منه براءا (3).

3 - و"الفيوم" نالت منه مراجعات كثيرة: هل اسمها عربي، وأي أنه كلا ثم كلا: ليس هذا الاسم عربي قط.

ووصل إلى أن كلمة "فيوم" كلمة قبطية، أضاف

(1) ١٩٣٣/١٧- الاهرام.
(2) أي توزعت.
(3) ا١٥٧
العرب إليها أداة التعريف وكان القبط قد أخذوها من الفراعنة.

٤ - وحمل أحمد زكي على أسماء المدن: بور سعيد، بور توفيق، بور فؤاد، وقال ان هذه التسمية في احتقار اللغة العربية، وهي لغة الدولة، وإنها مهينة مزدوجة للغة والتاريخ، بسبب «هذا الاندفاع في التيار الأفريقي والتقاليد الأفريقية لكل ما هو أفريقى».

وضرب المثل بأسماء المدن القديمة المرتبطة بأسماء أمراء أو حكام كالعزيزة المسروبة إلى المرج الناصر، والجمالية المسروبة للأمير بدر الجمال، والصالحية المسروبة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين الأيوبي، والفكرية المسروبة إلى أمين فكرى.
2 - في العالم العربي والإسلامي

ولم تقف تحقيقات أحمد زكي عند حدود مصر وحدها ، بل تعداها إلى العالم العربي والإسلامي كله ، في مجال الجغرافيا والتاريخ ، والأعلام والآثار والنبور والمساجد الخ . وله في ذلك مقدرة لا حد لها . فهو يعرف الأماكن الأثرية المختلفة في الشام معرفته للأماكن المصرية.

1 - فاذا ذكرت ( أفريقيا ) عارض ذلك وقال ان حرف الألف في أول أفريقيا وهو ١ انا هو أداة النفي في اليونانية ، والذي أعلم أنه هذه الوظيفة لهذا الحرف انها في اللغة اللاتينية ، ثم زعموا أن ( فريكا ) معناه البرد ، أي البلد التي لا يرد فيها ، من أين وكيف جاءت الكاف أو التاف في آخر الكلمة ؟ مع أن كلمة برد في كل لغات الفرنجة ليس فيها كاف .

* وعندك ان هذه البقعة سبيت باسم الذين هاجروا اليها ، واستوطنوها تحت قيادة ( افريقيش ) ، ولذلك نظائر كثيرة ، منها مصر ، واسم ملكها القديم ( مصرام ) وتتويج بلاد الأحباش وما اليها ، بلاد
المندل (عود الطيب) فانها باسم ملكها (مندل) وهي المعروفة عند الانفرنج اليوم باسم (كوروندل).

ويقول أحمد زكي إن جماعة من عرب اليمن دهبت إلى هذا الساحل الجنوبي من البحر الأبيض، واستعمروه، وهم قبائل البرير من نسل حام بن نوح، وأطلقوا اسم جدهم الأعلى على قطعة كبيرة من الأرض كانت قبل العرب وبعد العرب تشمل طرابلس وتونس، وقد عرفها التاريخ والجغرافيا باسم إفريقيا قبل الإسلام.

فلما أشرقت عليها أنوار التوحيد بقي الاسم القديم للدلالة على عملية تونس أو مملكة تونس. ولكن الاسم العربي بقي هو مع كسر الألف في أوله وزيادة الياء في آخره أشاعوا بحفظ النسبة إلى إفريقيا.

ثم جاءت الجغرافيا الحديثة فتوسعت بطلاق اسم إفريقيا على جميع القارة، وكان اليونان يسمونها لويه، ومنذ عهد محمد على إذا قالوا (افريقية) فلا يراد منها سوى تونس الحالية بما قد يكون انضمام إليها من طرابلس أو إقليم الجزائر» (1).

(1) الأهرام - ١١/٢/١٩٣٣
2 - وكانت مباحثة عن (بربر، بربره، يبرير، ببرير) موضوع التندر والسخرية به، مع أنه تناول فيها جوانب علمية هامة، فمدينة (برير) بالسودان أما (بريرا) فهي مدينة ساحلية على خليج عدن.

ثم تناول بالبحث "تاريخ البربر" وتحدث عن هجريين لهما، الأول هو هجرة بنو يافث بن نوح وهم (الآريون) إلى جهة الشمال فاستوت أقدامهم باتراف أوربا وأطرارها، سواء أن أوزاعا منهم (وهم الوندال والتقوط وأضرابهم) قد انتهى بهم خاتمة المطاف عندما ألقوا عصا التسيار بآخر الطرف الثاني جنوب أوربا، فعادوا بحر الزراق (بوعز جبل طارق) وهناك حكموا البربر واختطوا بهم.

أما الهجرة الثانية فقد تدلى معهم (بنو حام) إلى الأحياء الجنوبية وما زالوا يمنعون في السير، ويجهبون القفار، ويقطعون البحرين. حتى انتهوا إلى سيف البحر، هنالك جازوا باب النهد، إلى قارة أفريقيا، فاستقر فريق منهم (البربر،) في البقعة التي سبق لنا الالتحام بوصفها، وأطلقوا اسمهم على المصر الكبير فيها، أعنى مدينة يبرير، أما السواح الأعظم منهم فقد جمع بعضه إلى الجهة الغربية، وطلب له المقام في بلاد الجنش والسودان والتكرور.

ثم أشار (أحمد زكي) إلى بني سام فقال ائتم اختاروا آلام-111 العرب
أواسط العمر، وأن بعض العشائر منهم انسقوا إلى الهجرة، وتددت (1) أنفذا منهم إلى المشرق في آسيا، وأخرى إلى المغرب في أفريقيا، ومن هذا القسم الأخير صعدت شراؤم وجماعات إلى نحو الشمال في أفريقيا أيضًا، وهم البربر، وقد اضاقت اليهم شراؤم أخرى من أخوانهم عن طريق البحر الأبيض المتوسط، وقد نزلت منهم طائفة إلى باب المندب، وانتقلت إلى الضفة الأخرى، وانتهت إلى سوب منابع النيل، فنزلت في تياره، وبعضها استوطن بلاد النوم، ومنهم القوم المعروفون باسم (البرابرة) الآن، أما البعض الآخر فقد واصل السير حتى احتل أرض مصر، وتلك هي جرثومة الفراعنة الأقدمين.

وقال ان هذا الرأى عليه الكثيرون الآن من علماء السلالات البشرية، وقد قال به أحمد كمال باشا الأئري المصري.

وأبدي أحمد زكي شكك في الرأى الآخر الذي كان عليه (ماسيرو وغيره) من الكتاب الغربيين وهو (أن المصريين جاءوا من آسيا عن طريق برزخ السويس) واعترف بخطئه في اعتناق هذا الرأى فترة عندما ترجم

(1) أي توزعت.

162
إلى العربية كتاب (تاريخ الشرق) لمسيرو عام 1897 وقررت وزارة المعارف سنوات طويلة للدراسة بمدارسها!!

٣ - ولا شك كانت رحلات أحمد زكي إلى مختلف أقطار العالم العربي بعيدة الأجر في تحقيقاته.
فالأهرام تكتب عن طائفة في سوريا تسمى (بنو دندش) فيقول ١٦/١٢/١٩٣٩ (الدندشة أو بنو دندش) قبيلة من طائفة المناولة أو الشيعة في لبنان اشتهرت بالشدة والبطش الخ. فتبث أحمد زكي فيرد على داود بركات رئيس تحرير الأهرام الذي أورد هذا الكلام بقال تحت عنوان (١) : الدندشة شيء وبنو دندش شيء آخر ولا أقول أن هذا الكلام ينص بغير حق على الدندشة الذين أراد الكتاب تعريفهم دون بنو دندش. 
ثم يضيف في التفاصيل حيث يوجد في سوريا طائفة من السكان، لم يكن لهم وجود قبل ٧٠ أو ٠ سنة فقد اختراع لها اسم (دندش) فصاروا بهذا السبب (بني دندش) ولؤلؤة الذين يصرف بهم وحدهم دون (الدندشة) تلك البيانات التي نشرتها

(١) الأهرام - ١٦/١٢/١٩٣٩

١٦٣
الأهرام) ويكشف عن احاطة شاملة ودراسة تامة لهذه الطوائف فيقول:

إن بني دندش من الشيعة المتآولة، ولكن مساكمهم ليست في الجبل الشرقي بل الحق انهم متوطنون في الشمال الغربي من مدينة يلبك، أي في جبل البرمل عند منبع العاصي، الذي يقى حمص وحماه وأتيكا، ثم يصبن عند السويدية في البحر الأبيض، ولبنى دندش كثير من (الطروش) أي قطعان الماعز يصنعون من ألبانها جبنًا لا يكاد يكون له مثيل في أسواق حماه (حماها الله).

وعلى ذلك فليست موطن بني دندش مستدة من جوار دمشق إلى ما وراء حمص، كما جاء في الأهرام، فإن ليس وراء حمص إلا بادية.

ويعود فيكشف عن (الدلداشة) فيقول ان فيهم مربط الفرس، وهم من خيار العرب وكرام اليمين، وحاشيا ثم حاشا، أن تصدق عليهم واحدة من تلك الصفات التي تقال عن (بني دندش).

ويرجع العهد بأولى الدلداشة في بلاد الشام إلى ما قبل ثلاثة قرون، فقد ترحلوا من اليمن إلى أرض الشام حتى ألقوا عاصمهم في حوران.

أما لقب (الدلداشة) فصار لهم في أواست القرن الحادي عشر للهجرة، وكان زعيمهم (اسماعيل أغا).
مغرا باقنان زينة خيله، وكان يبنيها بأقمشة لها عللاريق وأهدام وأنواع متنوعة، وهي المعروفة في بلاد الشام باسم (دندش) ومن ذلك قولنا في مصر ثوب مدندش.

وفي مجال الجغرافيا له باغ طويل ينتمي من صقلية الى المحيط الأطلسي. وقد تحدثه (جريدة المؤيد في فبراير 1912) بإيراد بعض أسماء أعلام ومدن وأماكن في (جزيرة صقلية) مترجمة ومحرفة وطالبته بأن يرد الكلمات الجغرافية المترجمة إلى أصولها الصحيحة، يقول الأستاذ محمد مسعود - وكان محرراً بالمؤيد اذ ذاك - وهو قريع شيخ العروبة فيما بعد في مساجلات متعددة: أنه ما مضى يوم واحد على صدور المقال حتى دخل زكي باشا متتفقا على باب مكتب في إدارة المطبوعات وفي يده هذه الورقات الثلاث عشرة التي تروهنها الآن بیدي والتي أحرض عليها حرص البخيل على ماله، وصاح بي قائلاً: هذه المكيدة العلمية لا يدفعها إلا أنت وقد حللت عقدها في هذا المقال، فعليك أن تنشره في المؤيد، وأن تقد على تصحيحه المطبعي، وكان التحقيق يتناول (تسعة أسماء).

وقد نشرت المؤيد يوم 6 فبراير 1912 المقال، فغطى
صفحتها الأولى كاملة تحت عنوان «عجالة عن بعض المدائين في صقلية».

واختبر أحمد زكي القصة تحدثت عن محاكاة (تلك الجزيرة) «أيام» نشر الإسلام عليها راياته، وأبلغها إلى نهات الجلد وغياثه، فقد عرضا المسلمون ببابات الزيتون، وأغنوها بصناعاتهم وتجاراتهم، وقد خرج منها العلماء والفقهاء، والكتاب والشعراء، وفي طريقه حقق ما ورد عن صناعة الحرير في الجزيرة على الطريق الدمشقي، فقال إن الاسم الفن في كتب العرب لهذا النوع الجميل من النسجياتلافيرة هو (الخسرواني) وكانت صناعته قد ظهرت على يد العرب في دمشق الفيحاء، وسماه القوم بالخسرواني، لأنه كان خاصا بالمملوك دون سواهم، فاستحققا له اسماً مخصصاً من لفظة (خسرو) المتولدة عن لفظ (كسرى).

5— والمحيط الأطلسي، يذكره بعض الكتاب والباحثين باسم المحيط الأطلسي وهذا — عند أحمد زكي باشا — خطأ لا يغثير، ذلك أن الجغرافيين من الفرنجة قد تطابقوا على نسبة هذا المحيط إلى قرية (أتلانت) أو أطلنت (Atlante) التي انخصمت في قصره منذ زمن بعيد، وهي النفقة التي وصل إليها بيانها عن أرسطو، من جملة ما استعاده من كهنة المصريين.
القدماء، وما تزال لهذه القارة بقايا بارزة، وهي جزائر (أمورية ومادية وكيناريا) وهي ما يسمى العرب بالجزائر الخالدة.

ويقول أحمد زكي ان المخربين المخربين الذين يسبون هذا المحيط إلى (أطلس) ليسوا على سابع، وإنما هم تابعوا الإفرنج متابعة عمياء، فلا محيض ولا مراجعة.

وعندما ان فتح (أطلس) أخذ اليونان عن كلمة (ادوار) التي يستعملها المغاربة إلى يومنا هذا للدلالة على أي جبل كان، ثم جاء المؤرخون في عهد محمد على فأخذوا عن الترك عن الإفرنج اسم هذا الجبل في ثوبه الأعمى المحرف، فقالوا أطلس، ثم جاروا الأتراك في تسمية المحيط الفرسبي الكبير أنه (أطلطيق) تقول للأفغا (الليون) ولكنهم أضافوا إياه النسبة العربية إلى صيغة النسبة الإفرنجية.

ثم جاء من توقعوا عن هذا التحريف فقالوا: المحيط الأطلسي متوهجهن أن (أطلس) هي نسج (أطلس). وWHO لا ينن يحقق ويصحح المواقع والقبور في العالم العربي، ويرى على القائمين بوجود (نبر سلمان الفارسي) في فلسطين، وأن القبر المتنور في صرم الصخر بابا الأرض التي تقوم إلي جانبي مدينة 167
سدود فيما بين غزة ويافآ من فلسطين ليس للصحابي الجليل سليمان الفارسي فان الرجل لم يز فلسطين، بل إنه مات ودفن في أرض العراق ولقبه فيها مزار مشهور على مقرة من بغداد إلى الجنوب، وهي (سليمان بك) بالباء الفارسية، ومعناه الظاهر سليمان (1).

ويرد على القائلين بأن (وادي النمل) يقع بين جبرين وعسقلان في فلسطين، بأنه ليس هناك مكان اسمه وادي النمل، وأن هذه العبارة يضرب بها المثل للمكان الكثير السكان، وتكون الآية القرآنية عندها - من باب تشبيه القول بالنمل في كثرة العدد في نظر بني إسرائيل، وتكون تسمية الوادي بوادي النمل اشارة إلى المكان الكثير السكان على ما قرره (الباحث) (2).

وقد تعرض من أجل هذا الرأى إلى معارضة الباحثين والفقهاء، ودافع عنه محمد فريد وجدى فقال "إنا حداد إلى ذلك غرض شريف وهو ثمرة القرآن من الأمور التي تستعصى على المثل ويتسل بها المتشككون ومن يلف لفهم أي الطعن في الإسلام". وإذا كان فريد وجدى لا يرى أن رأى

(1) الأهرام - 30 يونية 1932.
(2) الأهرام - 8/8/1933.
أحمد زكي من الوسائط الحاسمة في هذا الباب ولا هي بالطريقة المثلى التي نص الكتاب نفسه على اتباعها في مثل هذه المواضيع، ذلك أن القرآن الكريم أفرد من بين الكتب السماوية — بعض حاسم لا يحتل التأويل فجعله بنجاة من الشبهات، وهو قوله تعالى "هو الذي أنزل عليك الكتاب في آيات محكمات من أم الكتاب وأخر متشابهات.. الآية". 8 ويضفي أحمد زكي في تحقيقته فريد على القائلين بأن مصطفى كمال قائد الثورة التركية سيطغى عليه اسم (الذئب الأبيض) التماسا لما ورد في الأساطير الطرامية القديمة، وكان الأتراك يعبدوه في جاهليتهم الأولى، وقد اعترب زكي باشا على هذا القول وأشار إلى أن صواب الترجمة هي الذئب الأحمر، وإن محل الخطأ هو أن الله لم يخلق ذئبا أيضا إلى الآن، وعندما أذن لنا لو رجعنا إلى الوصف العربي الصحيح لقلنا "الذئب الأغشش" لأنه لونه مثل الرماد فيه بلق بكموه "(1)

تحقيقات الأعلام والأسماء

ولزكي باشا شوط طويل في تحققات الأعلام والأسماء، ولعل أهم ما كان يشغل باله في هذا المجال أن الغربين من الكتاب

(1) الاهرام - 16/12/1925

169
ينقلون الأسماء العربية محرقة إلى لغاتهم، فيأتي الكتاب العربي فيعيدونها إلى اللغة العربية بالصرف المحرف الإفرنجي دون أن يحاولوا ارجاعها لأصولها الصحيحة.
وقد أشتق ذلك زكي باشا وأمه، وشغله طويلاً، وخاصة في مجال الأندلس، وأعلن عنها قبل وفاته عامين (1932) ، ووضيعها تحت تصرف الباحثين.
والقضية عندنا يوردها على هذا النحو بأسلوبه الجامع بين السخرية والغضب:
ان الذي يفيظني ويفضبني ويكذبني ، هو أن نقل أحدنا عن الإفرنج ما قلواه هم عننا، وأن نجاردهم أو نزيد عليهم في تحريف أعلامنا العربية أو العربية، من أسماء الرجال والمواضع، بعد أن أخذوها عننا، وشوهوا ( مختارات أو مختارين ) متابعة لحلوهم التي تضيق عن نطق الساد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف، وأضيف إلى ذلك الداء والذال، لغير الإنجليز، والخاء لغير الأسبرن، والألمان على نوع ما .. ».
ومن أجل هذا يرى أنه من الضروري أن تكتب الأعلام الأندلسية ( مثل ) بالحروف الإفرنجية التي اصطلاح الأسبرن والإنجليز، والفرنسيون عليها، ثم يضع أمامها الأسم العربي الصحيح، الوارد في الكتب الأندلسية خاصة، والغربية عامة، فيما يتعلق بالتاريخ والجغرافيا ورقة الموسوعة العربية.
2 - ولعل أبرز تحقيق في هذا الصدد أثار ضجة كبرى هو تصحيحه للتحرير الذي ورد في ( ترجمة الإنجيل )، فقد ورد

١٧٠
في ذكر إنسان اسمه سمعان من بلدة (فورننيا) وأطلق عليه اسم سمعان القيرواني.
أما (فورننيا) فهي مدينة جميلة قائمة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في أرض برقة (لويما) المتخامة لأرض مصر.
وقد ذكر في الترجمة العربية أن (سمعان القيرواني). بينما مدينة (القيروان) لم يكن لها وجود في أيام المسيح عليه السلام,
"وأنما خلقها الله بعد ميلاده بسبعين وستمائة سنة"، وقد تأكد تماما ما أوردته أحمد زكي، واالترف به الباحثين المتخصصون،
واجروا تصححه.

3- وتندم مراجعات أحمد زكي وتصحيحاته إلى لبنان حيث يجري البحث عن (ظهور) الشور (ظهر) الشور؟.
وهو يرى أن تناوب الضاد والثعلب بتفحيف، شائع عند اليسانين، فقد لمسه أثناء اختلاط بيهم في جبالهم، كما رأى نظيره فيما قرأه من آثارهم ومن آثار اخواتهم في العراق، كما سمعه من أقوام الذين اختلط بيهم على ضفاف النيل، ومن الآثار.
المائشين بين دجلة والفرات.
وكلمة (ظهور) : وجمعها ظهور، تنبيء عن المعروف المألوف.
في الإنسان والحيوان والجبل، وهو خلاف البطن.
أما (ظهر) ظهور بالضاد التي هي خصيقة في هذه اللغة دون كل لسان في العالم، فللقسم المرتفع من الجبل، ويقابلها عند الأفرنج.
غير أن بعض الباحثين عارضوا أحمد زكي في تصححه هذا.

171
ومنهم عباس المصنفي، الذي أشار إلى أن كلمة (ظهر) صحيحة وأن في لبنان عدة ظهور: ظهور الشوير، ظهير البير، ظهر الجبل، والظهور. وقال أن قاموس الهروز بادي سجيل أن (ظهر: طريق البئر) وما غلظ وارتفع من الأرض، وأن الظواهر أشراف الأرض، وضرب مثلا بالقول المعروف: من أن قريشا هم الظواهر النازلون بظهر مكة.

Adulcis

4 - وعندما أشكل اسم الطبيب العري وسوه أبو القسيس، بعد تحريف اسمه وتشويهه، أنى أحمد زكى وقال إنه (الطبيب أبو القاسم) الذي اشتهر عند علماء أوربا منذ القرون الوسطى، واليوم، وأنهم أبدوا اليم فجعلوها سيئا ليكون أقرب إلى اللغة اللاتينية.
تحقيقات الأندلس

وعن أحمد زكي باشا بتحقيقات أسماء الأندلس منذ سفر
الها عام 1883 حتى آخر أيامه، فقد أورد في كتابه (السفر إلى
المؤتمر) عدداً من الأسماء بعد تصحيحها وظل يتتابع كل ما ينشر
في الصحف أو الكتب، معطيا نفسه الحق في فردية التخصص
لهذا الأمر، دون الناس جمعاً، ومن أجل ذلك دخل في معارك
كثيرة مع محمد مسعود وغيره، ومن حاولوا منافسته في هذا
المجال.

1 - ويضرب أحمد زكي المثل بكلمة وردت في تلفراف لرور
عن مدينة في الأندلس اسمها (أزيلة) تترجمها المؤديب (أزيلية)
أما المفضل فصار (أزيلة) ولكن الأهرام أطلق عليها (أزيليا)
غير أن جريدة (الجريدة) تترجمها (عرزيلاء).
وتقدم زكي باشا (المتخصص الأول) فقال: لا هذا ولا هذه
ولا تلك..

وانما هي (أزيلة) أو (أزيلية) كما ذكرها الشريف الإدريسي
في (نضرة الشتاق إلى اختراع الآفاق) وياقوت الحموي في
(معجم البلدان) والوزير أبو عبيد في كتاب (الممالك والممالك)
ويهي لحدي مديان المغرب الأقصى (رامش) وليس الأندلس،
وهي مدينة صغيرة جداً واقعة على رأس الخليج المسمى بالزقاق.
المعروف الآن (ببوغاز جبل طارق)، وقد اشتهر من أهلها العلماء.
وقال أن بعض الترجمين أرادوا التخفيف، فقالوا عنها (أزيلا) أو (أزيلى) ولكن الصحيح هو كما ذكرنا (أصيلًا) وأصيلًا.
3 – ومضى أحمد زكي في هذه التحقيقات، فيفرد أبحاثا مطولة متواصلة تشغيل الناس التي أطلقوا عليها (الرميلة) في الرملة.
فمدينة (Arramda) التي أسموها (الهمبرا) هي حراء ومدينة (Alhambra) التي أسموها (الكالدى) هي القاضي وغزدي أو غاردين وصحتها رأس جردنون (ولا شيء غير ذلك مطلقا).
4 – وتحت عنوان (هي شقوبية لا سجوفيا).
يقول: ذكرت الصحف (سجوفيا) فتذكرت هذه المدينة التي لمجتها من بعيد وهي جاذبة فوق صحرائها العالية العالية، تملكها العرب وحافظوا باسمها القديم، بعد صقلها قليلا، فقالوا فيها (شقوبية) وشقوبية ليست بمدينة، ولكنها قري كبيرة، متقاربة متناقلة العمات فيها بشر كثير، وجبل غفير، وكلهم خيل للملك صاحب طليطلة» (1).

(1) الأهرام 3 مارس 1929.
4 - وذكرت الصحف مدينة هويسكا فانبرى أحمد زكي
يقول: هي مدينة (ٍوشقة) لا هويسكا.
وقد سكن العرب بمجرد فتحهم لها ٩٦ هـ (٧١٤ م).
استقرت قدمهم فيها، واستبهرت حضارتهم بها.
وقد أخذ العرب اسمها عن اللون الروماني (أوسكا) والسين تبادل مع الشين في لفظها، وفي بعض لفظاتهم،
قل قومنا (وشقة) وصارت في أيامهم دار علم ومجد.
هـ - ويحيى أحمد زكي تصححات متعددة:
٤ مدينة سرقسطة اسمها عند الإسبان والانجليز (Zaragoza).
و عند الفرنسين (Sarjossa).
٥ مدينة قرطبة اسمها عند الإسبان والانجليز والألمان (Cordaba).
و عند الفرنسين (Cordoua).
٦ مدينة قرطبة اسمها عند الإسبان والانجليز والألمان.
(م(java Meainaceli) بـ (Grazalam) بمدينة ابن السليم، و (Bargos).
وكتدرائية بورجوس (Serille) صوابها برغش.
وكتدرائية (Serille) صوابها أشبيلية.
ويقول: «وأذ كنت عليماً بذين الأثريين الجيلين لزياتي
ياها سنة ١٨٩٣ زيارة تدقيق وتحقيق، ولبقاء صورتهما منقوشة
على صفحات الصدر، رأيت من واجب تعرف قومي بكلمة عن
كل منها.» الخ.
٧ - وقد حقق أحمد زكي في خلال خمسين عاما عدداً كبيراً
من الأعلام الأندلسية هذا نموذج منها:
أرز أشيل = هو الزرقالة الفلكي الأندلسي المشهور
افريس وافناسا = هما ابن رشد وابن باباء
افترور = هو ابن زهر الأشبيلي
البنوكرك = هو أبو كرش الملاح البرتغالي
سرتم وجوادلوب = وهما اسما نهرين أصلهما سرتم ووادي العب

وهكذا جرى أحمد زكي على تصحيح أسماء أعلام الأندلس:
التي تناولها الأفرنج بالتصحيف الخفيف أو بالتحرير الشديد،
وكذلك الأسماء التي عربها العرب وأدخلوها في كنوز آدابهم،
ثم تناولها الأفرنج عنهم، فأعادوا بعضها إلى أصلها أو أبقوا على
أكثرها بالصيغة التي أخذوها عن العرب، أو أدخلوا التحرير
والتصحيف على طائفة منها.

وقد جمع هذا كله في جذاذات تحت يده، مرتبة على الأبجدية
الأفرنجية كانت تسعفه في المراجعة العاجلة.

176
تحقيقات اللغة

وفي مجال التحقيقات اللغوية كان ناشئه دائما - واسع الباع، وإن لم يكن متخصصا على النحو الذي يجعله مبرزا فيها، فقد كان هناك من أمثال أحمد تيمور والأب اسناط الكرملي وكرد على والغربي من يفوقونه، ولكنه كان لا يلبث حين وحين أن يعرض لعبارة أو كلمة أو اصطلاح، فيجري فيه تحقيقا أو أكثر.

وقد كان أحمد زكي معيقا منذ أوائل عهده عمله في مجلس النظر بهذه التحقيقات وله دوره الواضح في تغيير الكلمات التركية والفرنسيجة على حد سواء، بإدخالها في القوانين والتشريعات والآداب الإدارية، مما ساعد على انتشارها، وجريها على الألسنة والأفلام.

وهل لأهم ما أحدثه في هذا المجال إدخاله كلمة (براءة) محل كلمة (البراءة) بالنسبة للأمر المؤذن بالانفصال بالربت.

وقد أثارت هذه العبارة ضجة كبيرة، وهاجها العلماء والكتاب. واضطر أحمد زكي أن يدافع عنها.

كانت هذه العبارة مستعملة منذ ثلاثة قرون، وبلغ من تفاؤلها أنها انتقلت الى (الأزهر)، فأطلقها أهلها على ما كان آسلافهم يسمونه (الاجازة).

177 - 16 أعلام العرب
وقد نشر أحمد زكي تقريراً (1) كاملاً في تبرير استعمال كلمة البراءة في الانقاع والنشاات جاء فيه:

«كانت خططتي التي درجت عليها منذ دخلت الدواوين (أي قرية من ثلاثين سنة) أن أعمل بكل ما في مقدوري على محو ما أبطعت من الكلمات الدخيلة العربية، وأن أحمل ملحما في العبارات الدوائية والاصطلاحات الرسمية ما أرتضيه من الألفاظ العربية. بعد التحرير والتنقيب، ولم يكن في مجهود طباماً ولا في مجهود سوياً، أن يمحى الألفاظ العربية دفعة واحدة، بعد أن طال استعمالها القديم حتى رسخت في أذهان العامة والخاصة، وجرت بها أفلام الكتاب والمشتقات وكتبة الدواوين».

وقد أشار أحمد زكي إلى عدد من المصادر التي أوردت هذه الكلمة، منها: التأوي القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن شهد أمام جامع قطربة، وجدد ابن رشد الشهير (محفوظة في مكتبة باريس تحت رقم 1072 في ورقة 176) يتكلم فيها عن الإدارة العسكرية في الأندلس (فيذكر فيها البراءات) بمعنى (النذكر)، التي يقدمها الحاكم أو الأمير إلى جنوده، لكي ينزلوا على الناس، ومنع اعترب على استعمال كلمة (براءة) أحمد تيمور باشا.

وقال إنه يفضل استعمال كلمة (تقليد).

وقال أحمد زكي في مجال التفاخر بأعماله في هذا المجال: «أنا المجد لكلمة (مرسووم)، والواضع لكلمة (رصيعة) بدلاً منها».

(1) نشرت التقرير جريدة المؤيد 17 نوفمبر 1915.
والواضح الآن أن كلمة (مرسوم) تغلبت أخيرا على كلمة (رصيعة).

2 - وهو يواصل تقادته للاصطلاحات الديوانية، فيرد على (نيجيب برادة) الذي ذكر في أünde جلسات مجلس الشيوخ، كلمة (رفت) بأن هذه العبارة غير صحيحة وأنه يجب استعمال كلمة (عزل)، وأن كلمة (رفت) التي قال نجيب برادة أنها قرأها في لسان العرب قد وردت حقيقة فيه وفي سائر دواوين اللغة، ولكن بمعنى الذق والكسر والتلف والتفتيت، دون أن يكون من مدلولاتها بطرق التصريح أو التلخيص ما يفيد المعنى المتفاهم في الاصطلاح الديواني بمصر - أي إخراج العامل من عمله. ومن جهة أخرى فليس يجوز لنا أن نستعمل كلمة (عزل) بدلاً. لأن العزل عقوبة فرضها قانون العقوبات، ولوائح التنفيذ، أما (الرفت) فليس فيه ولا من ورائه رائحة العقوبة، وإنما يقال. ويستعمل للدلالة على مجرد الاستثناء عن العامل لسبب ما (1).

3 - ويعاتب إبراهيم فهمي كريم (وزير الاتصالات إذ ذلك) لأنه أطلق على (القاهرة) اسم (مصر) وأنه جارى التيار الجارف فاستعمل كلمة (أقرير) للدلالة على الرصيف الجانبي، وقال أحمد زكي ان هذا اللفظ فارسي أخذه العرب للدلالة على الطنف (فتحتين) في أعمال البناء، وهو (الطابان) المصطلح عليه الآن عند أرباب الكبار من طائفة المعمار وقال: أن الأقرير أخذوا هذا

اللَّفظ الفارسي عن العرب بمعناه الصحيح قلوا أفريز بتكسير
الفاء

ويقول: أستأذننا في اعفائي ( من هذا الجمع ) ولعله يجد لنا
من واسع علمه تخريجا يرضيه ويسمح لنا باستعمال الجمع على
( غيرين ) ولو اعتبار الانتقال من الوصفية إلى الاسمية .

4 - وعلل من أهم الكلمات التي عرض لها وآثارت ضجة
وسخرية كلمة ( على الحركاك ) التي ظلت مع كلمة ( بربر برابر
بريرة ) موضوع تكهنات الصحف .

وعندئذ أن هذه الكلمة دخيلة ومصرية الأصل ، ولنفعه هو
يشرح وجهة نظره بأسلوبه الذي عرف به :

« (1) أما لم أر ولم أسمع ولم أعلم أنها مستعملة بهذا المعنى
الأ في ديار مصر ، فإن ذا ليست بعربية ولا مولدة ولا دخيلة .
ثم أن اختصاص وادى النيل بها يحملة على القول بأنها مصرفية ،
ومعية عن الفرنسية . أنا أذهب إلى أن ذلك حدث في أيام
الحملة الفرنسية على مصر بقيادة الجنرال بونابرت ، لا جرم أن
المساكرون قد استعملوها فأشاعوها ، وأن رجال الاحتلال
الفرنسي أكثروا من تداولها حتى أذاعوها فطننت وطننت في
آذان أبناء النيل ، فأضافوا إليها حرف الحاء في أولها وقال
حركاك ، أم تلك الكلمة الأفراحية في تفترب كل الاقتراب من
لفظنا العامي وهي ( ركراك - ركراك ) وهم يقولون فلان ( يدفع

(1) الأهرام - 17 فبراير 1929 .

180
ما عليه ركوب) أي بالتمام والكمال. مع الدقة المتناهية.

بالضبط.
والدليل على هذه النظرية أتيت لم أر لهذه اللفظة أثرا مكتوبا قبل أيام محمد علي، وهي لم ترد في غير كتاب واحد هو قاموس الياس ب قطر المصري من الفرنسي إلى العربي (1).

وقد رد عليه الشيخ عبد الوهاب النجار فقال أن هذه اللفظة جاءت من لفظ (الحارك) وهو منبت أدنى المرف إلى الظر الذي يأخذ به الفارس إذا ركب، ثم غير المصريون على طريقتهم في التصرف بالكلمات إلى حررك و مناسبة الحراك لمعنى (على الآخر) ان موضع الركوب والحيل من الدابة ظهرها الذي في نهائى الحراك، فإذا ركب الراكب على آخر الظر قبل أنه راكب على الحراك أو الحركات على سبيل (الظروف) ، وهو الموضع الذي إذا تحرك منه الراكب إلى الأمام لم يستقيم له الركوب ولم يستقيم للدابة السير (2).

هـ - وعرض أحمد زكي لكلمة (يا الله) فقال أن عادة المشارقة قد جرت على أن يستعينوا باسم الله في قضاء الحاجات وأن يندعوا إلى الأعمال العادية ونحو ذلك بقول بعضهم: باسم الله ثم صاروا يذكرون (الله) بطريقة المناادة، ثم صاروا يخففون همزة القطع ف يقولون ( يا اللهم) وينطقوها كما لو كانت (باء).

(1) الأهرام - 17/2/1929
(2) الأهرام - 21/2/1929
الماندي مبتوعة بلام مشددة مفتوحة (يا الله) ثم كثر التداول فصارت هذه الصيغة مثابة الدعوة إلى العمل في أي أمر من أمور المعاش أو المعاد، بمعنى هلم، هيت، هيا...
وفي مجال الأسماء أشار إلى أن أسماء (جريج، ولاوي، وشلمان، وقسطنطين) من أسماء المسلمين:
وقال ابن جريج (ابن جريج) من الأئمة الذين يأخذ منهم المسلمون تلاوة القرآن وتفسيره، وكان جنده القريب الأقرب نصاريا يونانيا، أعنه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (تصوير: جريج، جورجي، جريج).

6 - ولأحمد زكي كلمات يصر عليها ويردها دائماً منها كلمة البرتغال عن الدولة المعروفة بالبرتغال و (جنيرة) عن عاصمة سويسرا (جينيف) ولله عشرات الكلمات العربية التي أطلقتها على الكلمات الأقرنية، ومن ذلك كلمة (الناخوذة) ترجمة لكلمة (Lanalislique) ومعناها المشتغل بتجهيز النفن.

7 - ويدعى لأن أحداً لم يجاوب المندوب البريطاني على مائدة الملك فيصل في العراق عندما طالب الأمراء والأعلام - ومن بينهم أبن الريحاني الذي روى هذه القصة في كتابه ملوك العرب - أن يدلوه على اللفظ العربي الذي يطلق على الحيوان المعروف في اللغة الإنجليزية باسم: (Badger) يقول الريحاني: فساح السؤال حول المائدة شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً وعاد إلى المندوب خائباً الامل.

ويعلق أحمد زكي: «وأما أقول: لو أتى كنت حاضراً كنت»
هديتهم إلى الصواب، فهذا الحيوان قد أكثر كتاب العرب من ذكره، ومن التعريف به وهو (عنق الأرض) واسمه عند الفرنسيين (Blaireau).

وَجَمَّلَ الْقِولَ فِي هَذَا أَنْ أَحْمَدَ زَكَى كَانَ فِي مَجالِ الْلُغَةِ

وَتَطُوِّرَهَا مَرَّةً وَمَحِيقًا فِي تَنَاسِقِ الْحَوَقِ. وَهُوَ مِنَ المُؤَمِّنِينَ (بِحَيَا

الْمُفْرَدَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ لِهَا أَدْنَى مَلَاسِهَا وَأَعْلَاءَ بَيْنَهَا تَدُلُّ

عَلَى الْمَخْتَرَعاتِ الْجَدِيْدَةِ فَإِذَا لَمْ يَوجَدَ مَا يَقْبُلُ بِالْحَوَقِ وَضَمْنَا

لِهَا إِسْمَا يَقْبُلُ الْحَوَقِ، وَتَتَقَنُّ عَلَى الْأَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا جُنُاحُ عَلَيْنَا

مِنْ أَنْ نَسْتَعْمَلَ الآلَةَ الْجَدِيْدَةَ بَلْ فَهَذَا الآلَةُ بَعْدَ صُقْلِهَا بَيْنَا

يَتَقَنُّ عَلَى قَوَاعِدِ الْلُغَةِ وَطُرُقِ النَّاطِقِينَ بِهَا وَقَدْ فَعَلَ المُرَبَّ ذَلِикَ

وَفَعَّلَ جَمِيعُ الْأَمَمِ (٢).

وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْحَدِّ مِنَ الْتُوْرَبَةِ فِي عِبَادَةِ الْقَدِيمَ، فَقَمْ لِكُلِ

زَمَانٍ حَاجَاتَهُ عَلَى دِيَانَةِ قَلْبِهِ. وَلَحَنَّ بِحَمِيدٍ اللَّهُ فِي غِيْرِ حَاجَةٍ إِلَى هَذِهِ

الْبَهْرَةِ الْلِّغُوَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَيُرِدُّ دَائِمًا قَوْلُهُ، "إِنَّا فِي حَاجَةٍ إِلَى

لُغَةٍ تَعْبِرُ بِهَا بَعْضًا سَليماً مِنْ غِيْرِ اسْهَابٍ وَلَا تَنْمِيقٍ.

(١) الْإِهْرَامٍ ٢/٢٢/١٩٦٩

(٢) مِصْرِ الْحِدِيدَةِ الْمُصِوْرَةِ ٢٤/٤/١٩٦٠
آراءه في صور الفلاسفة العلمي

وبعد فما قيمة هذه الآراء والأبحاث على ضوء التحقيق العلمي؟

الواقع أن آراء أحمد زكي في مجموعة قائمة على التحقيق العلمي، لولا أنه يمزجها بحواش وداخل وعبارات يجمع فيها بين السخرية والفكاهة الاستمالة بأوليته وعلمه وسبيقه، وهو يواصل تحقيقاته ليستوفها أحيانا في سنوات وهذه تجري قوية مدعمة وأحيانا تضطره الجملة إلى أن يقول أشياء سريعة، فيتعثر ويجد من خصومه من يجابه بالإرادة المخالفة ويصف تبلاطولا.

« أنا أكتب مقالاتي بعد أن أنسى فيها جسمي، وأسهير عليها ليلى، وارتكب فيها أكبر جريمة تستحق السحق والأعدام لدى الكاشقين والمستهزئين والمستهترين، نعم، أنا لا أكتب إلا عن علم ويتمنى وبعد أعمال الرأى الخير، وبعد ارتكاب أكبر جريمة تستحق التشديد في التكرير، فانتي والله أقتل مباحثي قتلا مضاعفا مكررا فلا أخرج للناس إلا ما صح عندي أنه (علم اليقين) وطالما أقتل مقالاتي صبرا يطول مداد حتى تبلغ العشرين ف أكثر، وما ذلك إلا لتوقفي في كلمة واحدة وفي الخزانة الزكية (أحرقيها الله بنيران الأوقاف وفيها) مقالات كثيرة جدا كلاها تنتظر حل.

184
المفرق عن كلمة واحدة، وأنا أخرج من اخراجها للناس قبل أن أتم قتلها ..» (1). ويردد دائما هذكه الذي يطلع اليه من عمله «أنا لا أريد بكتاباتي سوى تحرير هذه النفس إلى معرفة فضل العرب وإظهار علوم العرب» وهو بالرغم من احاطته بالعربية والفرنسية احاطة شاملة فهو يأسف على أنه لم يتعلم اللغة الألمانية من أجل هذا الهدف الشريف.

نصحت اخواني وأولادى وأحبائي والمريدين بأن يقبلوا على تعلم هذه اللغة حتى يقفوا على ما حققه الألمان من علوم العرب وحضارة الإسلام.

وقد صور لمحة من جهده في سبيل التحقيق العلمي:

«حدث أن رغبت في الوقوف على أصل كلمة (زفتي) هل هو عربي أم مصري قديم، فذهبت ذات يوم إلى دار الكتب وصرفت أبحاث وأتفق طويل الوقت على أن أثر على أصول هذه الكلمة فلم أوفق، فعاودت البحث والتنقيب في اليوم الثاني والثالث ومكثت أقلب القواميس وأتصفح الموسوعات، ولكنني على الرغم من اضعاتي لجميع الوقت لم أظفر برغبتي، وأخيرا بينما كنت أجلس النظر في كتاب ياقوت الحموي وقعت فيه على أن (زفتي) اسم قبطي لهذه البلدة المشهورة، و لما جاء العرب أطلقوا عليها (منية زفتي) ويقول: تعترني في كثير من الأحيان»

(1) الأهرام 10 سبتمبر 1934 .

180
وهو عند طه حسين زكي مبارك وغيرهما أول مصري عرف بالبحث العلمي والتحقيق الجامعي. ويرى (1) زكي مبارك أنه أول مصري استطاع أن يرفع رأسه بجانب المستشرقين في الجامعة، وأن يملا الدنيا بأبحاثه، وقال محمد مصطفى (2): إنه كثيراً ما أمضى الليل لا تكتحل عيناه في نوم ووصل به النهار لا ينتقي له جفن بجفن بل كثيراً ما وصل الأسابيع بالأسابيع، وأمام الأشهر في الأشهر مكباً على تحقيق «اسم واحد»، وكان من خصائص همته أنه إذا التوقي القصد عليه وقصرت أدوات التحقيق في أسئلته بحاجته أن يشخص إلى مدينة غير التي يكون فيها، أما لسؤال أهل الذكر عما استعجم عليه أو يبحث عن مراجع لم تكن متوفرة. وقال محمد كرد على أنه كان يحقق «الأسماء الأندلسية» بالروية وع民政局 النظر والدقيقة والثيرة.

ويقو لاحمد زكي: جرت عادتي أن أحتاط في البحث، فأسأل من أئمة العلم بما أحتجه، وأريد كلامهم ثم أسأل غيره، فإن تطابقاً صح الأمر عندي والآلا رجعت إلى غيرهما، وهكذا دوالاً، حتى اقتبى على الحقيقة أشارها بين الناس.

وقد عرف عنه أنه حمائل مسذدة (مسائل الأقباط) لأبي فضل الله إلى فلسطين فكان يقرؤها على بعض علماء القدس.

(1) و (2) مراثي أحمد زكي – الأهرام والبلاغ (يناير 1935).
الأثريين ويقارن بين ما ورد فيها من وصف آثار القدس وما هو موجود اليوم.

وكانت له حملات على من أسماهم "علماء الانحطاط".

وقال أن هؤلاء العلماء ليسوا مقصورين على الأمة العربية وحدها. وليس أفضًا على أمة من علماء الانحطاط فأنهم يتغيلون العالم كل العلم مقصوراً عليهم، وأن الفضل كل الفضل منشؤوه فيهم ومرجعه اليهم "هؤلاء الذين" لا يرون إلا أقفا واحداً في بصورة على المرشدات المنحصرة في دائرة هذا الأفق العمق« والذين لا يتوثقون في الجواب على أي سؤال، ولا يتحاون الانحياز في أي موضوع» وضرب مثالاً لآرائهم:

١ - رأوا أن جبالة مصر تسمى (القرافة) ، وأن هذا الاسم لا يطلق على جبالة أخرى ، لأنه مأخوذ عن اسم بني "قرافة" الذين توطنوا تلك الجهة فعرفت باسمهم. ويقولون انما سببت بالقرافة لأن الرائد إذا أقبل عليها يلقى رأفة (راجع كتاب تجارة الإبل للسخاوي المطبوع على هامش الجزء الرابع من نفح الطيب بالمطبعة الأزهرية المصرية 1302).

٢ - سمعوا اسم «تونس» وهو اسم يوناني قديم لحاضرة إفريقية ، أي (الإيالة التونسية) الآن، فرجعوا إلى تمبيلهم واستخرجوا لها اسمًا عريباً، واختلفوا من أجله أسطورة تسوغه وتسمية فقالوا : إن هذه القلعة (تونس) ثم خففوا فقالوا (تونس) ثم أطلقوا الفعل المضارع المتعلق علماً على المدينة وعلى ذلك قال شاعرهم:

١٨٧
لعمرو ما أثبت تونس كاسمها
ولكن ألفيفها وهي توحش
3 - سمعوا بقولة المقوسة التي حاصرها عدو بن العاص
وهي (بابليون) ولم يعلموا أن أصل الباني لها في قديم الزمان
وأو الذي أمر بيانيها هو ملك بابل، حينما أرسل جنوده وفتحوا
مصر، فاختروا له هذه المدينة وسموها بابليون (أي بابل
الصغرى).
وقالوا: باب اليون أو باب اليوم، وزعموا أنهم كانوا
يقولون: من يقاتل اليوم، حتى جاء اليوم الأكبر أعني يوم الفتح
راجع المقرزى ج 1 ص 87).
4 - كانوا يكتبون (عدي سببه) على خريطة رسمية مصلحة
المساحة بدلاً من (أليس أبابا) ومعنا الزهرة، لأن ناطقها الأول
سموها كذلك 1 ح.

ومن أبرز معالم تحقيقاته أنه يعترف بالخطأ ويعود إلى الحق
محت كشف له، وفي مرتين رأيناه يكشف عن ذلك، ويمكن:
 تصحيح لأخطائي أو تصحيح لنفسى بنفسى ».
يقول « أقدم القدوة الحسنة في الرجوع عن الخطأ الذي
وقع منه عندما ظللت ببقاء رفات الشهيد السنوري في سنة 15
البرك، انتى أرجع إلى الحق الذي أرشدني إليه (جريس
فلتاووس عوض) حينما كشف لي الصواب، وأثبت لي بالبرهان
الذات انتقال رفات هذا المشهد الكرم إلى ضاحية شبرا الخيمة
(لا النخلة) ».

188
ويقول في مبحث آخر: قلت في كلامي عن الناصرية أن فريقاً منهم يعيش في مدينة ( عنة ) وهي عناة أو عائت في الجغرافية القديمة فجاءت الدلائل الصادقة من أهل العلم وأرباب البصر بهذا الشأن « إن النصيرية لا أثر لهم في تلك الناحية ، ولا في أي جهة أخرى من أرجاء العراق ».

وما أبى، نفى بأنه أخذ هذا عن كتاب الجغرافية الجارية تدريسها في مدارس العراق، أخذته قضية مسلمة بلا تمحص ولا مساءلة، وهل إذا قد اغتمت الفرصة لتقرير الواقع نزولاً على حكم الحق، وإرضاء لمصير.» وهكذا تتمثل في آراء أحمد زكي قاعدتان هما من قواعد البحث العلمي والتحقيق التاريخي:

أولاً: مراجعة المصادر، وسؤال العلماء، والانتقال الي الأماكن التي يمكن أن توجد فيها وثائق جديدة وأساسية أكثر دلالة.

ثانياً: الرجوع إلى الحق متى يكشف واعلان ذلك في صراحة.
معارك ومساجلاته

خاض أحمد زكي معارك عديدة ومساجلات متعددة، فقد شغف منذ مطالع شبابه بالرأي الجديد، وجرى على أن يخرج من بطون الكتب القديمة تصوسا يحقق بها الآراء المتناولة، فأحيانا يصل إلى الجديد وكل جديد مثير، فإذا كشفه للناس وعارض به الرأي القديم، كانت ضجة وممارسة، وعلل أحمد زكي كان حريصا على إحداث هذه الضجة بين أهله وأهله، كما يثبت وجوده، وقد زادت حدة هذه التحقيقات والمساجلات والمعارك بعد أن أصيب إلى المعاش عام 1932 وتفرغ للبحث، وأفسحت له جريدة الأهرام صدرها، ولا شك أن أحمد زكي حقق كثيرا، وساق كثيرا، وكشف عن حقائق كثيرة أغنى بها التاريخ والجغرافيا واللغة.

ولكنه كان في مساجلاته غاية في العنف، فهو عالم بحاثه، ولكنه لا ينسى مطلبًا « نفسه »، ولا فضله، ولا أوليته في البحث، وكل الذين كانوا في مجال البحث أزواء هم في الأغلب من أبنائه وطلابه أو أتراكه، لذلك كان دائما يحدثهم على أساس أنه ( معلم ) و ( قائد ) و ( سابق ) في مضارع البحث.

وقد كان الناس يقرأون مساجلاته العنيفة مع محمد مسعود، وهي أضخم معاركه فربما تصوروا أنهما ندان، ولكن مسعوداً...
يعرف في رئائه لأحمد زكي بأنه كان مصححا لكتابه ( السفر إلى الموت ) .. وأنه كان في بداء حياته الصحفية عندما كان أحمد زكي كاتبا له اسمه الرنان .. من هذه النقطة يجيء ذلك الطابع العنيف المتعالي الذي يعرف به ، والذي يرجع أساسا إلى مصادر نسبية وواضحة في شخصية زكي باشا ، وهي غرامه بالدروي والاتفاكات اليه ، والتربيز عن طريق التحقيق العلمي والسجل.
ولا شك أن المناقشة هي الفن الذي يرع فيه أحمد زكي : إشهادة كل معارضيه وعارفية فهو يخلط الجد بالفكاهة ، ويمزج الحقائق بالسخريات ، وهو عنين ما إذا جوبه ؛ لا يسلم بهسولة ، بل لعله يعائد كثيرا ; ويضفي في البحث لكشف حقائق جديدة يؤيد بها رأيه ، وربما أمضى ليله ساهرا للاطراف النوم جنه حتى يصل إلى مستند يواجه به خصميه في الصباح ، وربما دق التليفون على أصدقائه في الفجر ليقول لهم أنه وجد شيئا .. يقول عنه طه حسين إنه « كان آلد الخصام ، قوى العارضة ، يحذف محاولاته أحيانا فيضطرهم إلى السخف ، ويجرح مجادله أحيانا فيضطره إلى الأغراص » وهو مع تحقيقه العلمي ومراعاته لا يخفى عصبية مواجهه ؛ ولعله كان بذلك رائدا للفن المسرح في الأدب العربي المعاصر . وقد أثر في معاصرته وتبعد ملامح عنه وسماسا وقسوة عبارةته ، واضحة كثرا في مساجلات طه حسين والعقاد وزكي مبارك بالذات ، الذي أرى في عباراته ( عبارات أحمد زكي واشتكائه ) .

191
2 - وأبرز ملامح مساجلاته ومعاركه:
* أتسفت معاركه بالعنف، والاندفاع إلى أقصى حد.
* عباراته أحياناً جارحة.
* اعتداده بنفسه واضح.
* اصراره على أن يعلن دائماً أنه هو الذي كشف وبدأ العمل قبل غيره.
* غلبة السخرية اللاذعة على نفوذه.
* تأخذ المعارك عند طابع التحدي والثقة بأنه أصبر الناس
قولا:
* كان أحيانا يصل به النقد إلى درجة كبيرة في الاستنف.
1 - الاعتداد بالنفس: يبالغ دائماً أحمد زكي باشا في الاعتداد بالنفس، في مساوسة خصومه، فيقول في معاركه مع محمد مسعود:
«عنى وعنى وحدي، خذوا الباب الصادق، فعندي وعندى
وحدي الجهة الصحيحة والبرهان الناطق.
ودع كل صوت غير صوتي فاتى
- أنا الطائر المحكي وغيره هو الصدى
2 - السخرية في عبارات السجال: يقول للاستاذ مسعود:
اتنى أتوسل إليه باسم الرشاقة واللباقة واللياقة، وبحق اللفافة
والطرافة والطرافة: أن يرحمنا من الألفاظ العويصة المتغيرة
الجوهاً فينيل نفسه إلى السلاسة في التعبير وهو عليها قدير،
والي الكياسة في نظم الكلام، فأرحمنا يرحمك الله من براءة
الافتتاح التي صدرت بها كلمتك عنطرثوقي : ( ناشاغيل طرانية ) يا ستار يا ستار، لعل الله تلك الأشياغيل التي ضغقتك مشاغلها، فأوقعنا في صحراء الجيرة، وأرجعنا رغم أنفنا الي قمر القاموس، يا ستار يا ستار من تلك الطورانية التي طرأت عليك، فثارت أسماعنا بالمرزبة المفردة، وكل مقامع الحديد بالجمع ..).

ويقول له في صد آخر: لو انطلق البحر مرة أخرى وهو لن ينقل، فقد مات موسى وضاعت عصاه، أقول لو أنه انقل لما جاراك أحد في استعمال كلمة فقيل بالتأثيث.

ولمن سخرياته أنه يساجل زكي مبارك في بعض ما نسبه إليه من خطأ في وجهه في الكلام على هذا النحو: أيها الطفل الميمون نجل الدكتور زكي مبارك: أنت تكتب باسم أيك، فتارة تخطي وتارة تصيب، وأيوك ساكت على هذا التدريج والترويض ..

- الإدعاء دائما بأنه السابق، في كشف الحقائق، يقول في مناقشته مع الأستاذ مسعود: أحسن يا مصعود فيما كتبه عن جردوفر، وأحسن كل الأحسان في اعترافك لقلمي العاجز به أنه كان السابق إلى تنهيه قومي إلى وجوه الروج بذا الاسم الأشهر إلى صبغته الشرقية، وإلى رسمه على المصورة والبوتفقة التي تواضع عليها أو بابها، وتعارفوا العرب، وتناقشها من قدم الزمان، أحسن يا مصعود كل الأحسان في الجري على طريقتي في الرجوع إلى أعلامنا فيما يختص بالأعلاما ..

1935 - 13 أعلام العرب
عباراته دائماً خادمة في العنف والاندفاع: يقول في مساعدة مع جرجس قلناً يُفسر عوضاً: ولكن النطق ضعيف، manhidaً،
لا يعرف عن أصغر تلميذ في أصغر مدرسة بآصفر (قلابة).
وهنا في عاناه يقارن هذا العنف فمنا قوله: حاسب
يا مسعود حاسب، أصرار على التزوير يا مناع؟ أو يقول موجهاً
كلمه إلى جرجس قلناً يُفسر عوض يا جرجسا يا جرجسا
لا أشكر الله لك حسا ولا جرساً...
* تبلغ عباراته أحياناً أشد العنف فتكون جارحة: يقول
لزكي مبارك: أما الدلال يا دكتور، أما التحنيئ يا مبارك، فإن
كان ( يوسف) الجديد المتخبَّن في ثياب الدكتور زكي مبارك
ابن قرة ستيرس قد سحر بهما بنات باريس، هذا السحر خيال
بطل في نظرة SOFTWARE المقتفي بشارع عماد الدين وانه ظل زائل أمام
الحور الكواعد في الأزبكية وفي زين العابدين.
ثم يواصل هجومه على زكي مبارك بعنف: كنت أطه أديتا
فذا به لا يريد إلا أن يكون أديتا وكان من تعليمي الياء أن
يكون محققاً فذا به يبقى مغرقاً.
ويقول لرقص سبيكة في خلال تقه: وقعت يا شاهر...
فلو أنك استنجدت بابليس وبكل كذاب في العصر القديم وفي
العصر الحديث، ما أمكنك أن تتخلص من هذه الورطة إلا إذا
أديت أنا ياك بحل النجاة يا مسكين.
1 - بينه وبين علي بهجت:

من أولى معاركه التي أحدثت دويا وضجة، معركة طاس
صلاح الدين التي اندلعت بينه وبين العلامة (علي بهجت) الأمين
العام لدار الآثار العربية والذي يصفه أحمد زكي باشا بأنه أستاذه
وصديقه.

وقد حدثت هذه المعركة في أبريل 1916، ورصدتها جريدة
الأهرام، ودار فيها السجال أيامًا متتالية، على طريقه زكي باشا،
وهي إيراد الشواهد، ثم إيراد مزيد من الشواهد.
وحصة (طاس صلاح الدين) عرضا أحمد زكي في محاضرة
له، فلما أتم الموضوع وقف (علي بهجت) وأذكر أن الطاس
لصلاح الدين وقال:
أنى أشك في صحة نسبه هذا الطاس لصلاح الدين لأسباب
ثلاثة:

١ - فني وهو نوع الكتابة.
٢ - أن التعبير بلطف (عزر الوالدة السلطان) كثر استعماله
في عصر الدولة المماليك.
٣ - اعتمد زكي باشا في صحة نسبة الطاس إلى صلاح الدين
على الاسم وهو يوسف والكنية وهو أبو للظهر.
ويروى زكي باشا القصة يقول:
عندما عثرت على كأس صلاح الدين أخذت أبحث فيه وعنه
حتى اهتديت إلى حقيته، وقد أردت التوسع في البحث من
الآثار المماثلة مما يوجد في دار الآثار العربية مهملًا غفلاً بغير سابقة.

تعريف.

وزكي باشا يعلم أن الكأس كان في الكنيسة، وكان يسعى لنقله إلى المتحف العربي، فيقول: "عُرفي سميكة باشا فتوجهت معه إلى كنيسة المعلقة لزيارة المتحف القبطي، فاضته في شأن الطاس، فقال لي أمام القنسس، إنه لما رأى هذا الكأس الشبه، وأن صاحبه يطلب فيه ثمنًا غالباً رأى ووجوب الاحتفاظ به.

وأما: إن مساقرتي عن الطاس في 3 مايو كانت مشائحة: إلا أن صديقي الذي كاشته مقدماً انتصب واقفاً وأخذ يتلو رداً مكتوباً بالحبر من ورقة عريضة وان صديقي القديم قد استفاد من مكاسفته له ونافذه ودهراني، واستفاد من استناثة إلى ما أظهره من الموافقة التامة لاستنتاجي، فجهز قبل يوم المسامرة مكتوباً على خطبة ملقة بدون كتابة.

وأما: أنه أُتكر في كنامله أن صلاح الدين لقب بأبي المظهر، فكان من سوء حاله أنى أظهرت له نهرست متحف الآثار، وفيه يعرف بإمضاءه بأن المتحف متضمن حجراً مكتوباً فيه هذا اللقب وأظهرت له صورة النقس الذي على باب القلمة يتضمن هذا اللقب.

وأما: أنه أتكر في كلماته أيضًا: اختفت مع صديقي أحمد زكي باشا على بعض المسائل التاريخية، وما كنا مختلفين، ولم يكن قد أذاع خبر اكتشافه، ولكنني مع ذلك ما كنت لأتوقع أن يذهب به.

196
هذا الخلاف العلمي إلى حد أن يتجاوز الصديق حدود المناقشة العلمية المحضة إلى الطعم الصرف.
وقال: دعا زكي بإعاقة كبيرة لسمع خطابه في موضوع "الطاس الفخم" الذي يشبه لذلك الرجل العظيم صلاح الدين، وخطب صديقى خطبه في ذلك الجم الفخيم بذلاته المعروفة وضمنها الكثير من الحركات والأشكال، والطيف من النكات والحكايات، مما أضحك الحضور وقضى له بالعجب لدى الجمهور.

2- كتاب النبي إلى الملوك:

ودخل أحمد زكي بإعاقة في مناقشات متعددة بشأن كتاب النبي إلى الملوك ومرتين في عام واحد ظهرت هذه المسألة: فبراير وسبتمبر 1931.

* * *

المرة الأولى: عندما كتب أحمد عرفة مناع الخبير الشرعي بالاسكندرية في الأهرام يقول إنه أرسل سنة 1905 بطريق البوستة إلى السلطان عبد الحميد صندوق صغير من الخشب، يملوء القطن، ويملوء القطن حرير أطلس أخضر من الداخل ومن الخارج. ويداخل هذا الصندوق مصحف، وبه رق عبارة عن خطاب النبي إلى النجاشى والمهدية من مخلفات والده آلت إليه من أجداده الذين كانوا قباء الإشراف بالاسكندرية.

* * *

197
ورد عليه أحمد زكي على طريقة:

ان الورقة التي آلت إلى دولة الأمير سليم نجل السلطان
عبد الحميد، وصارت اليوم في حوزته، لا يمكن أن تكون هي
التي صدرت إلى (أصححة) ملك ملوك الحبشة عن سيد الألياء.

هذه الورقة التي تداولتها في هذه الأيام صحافة بيروت،
وجاءنا خبرًا عن جريدة فلسطين في يافا، ثم جريدة الأهرام في
القاهرة.

ان هذه الورقة أسلوب جديد من أساليب الأكاذيب،
وقد تقدم نظر من اليهود إلى الخليفة العباسي في بغداد بورقة
نسبها لخير الأنيابا فتجرد الحافظ الخطيب البغدادي وأظهر
ما فيها من التمويه والتشيل وجاء من بعدهم رهبان الطور بكتاب
كله زور في زور، واغتنموا فرصة التقلقل والاضطراب التي
حدثت في وادي النيل عند سقوط دولة المماليك، فخضعوا به
السلطان سليم العشائى. وقد تولى كشف هذا التدليس كثيرون
من علماء الأفريج المتخصصين، وفضلهم المستشرق الفرنسي
(بلين).

ثم تقدم كتاب هذه السطور فكشف القناع، وآبان وجود
للإسطناع أمام مؤتمر المستشرقين في مدينة جنيف سنة 1894.
واليوم جاءنا الجرائد الثلاثة الأثاث عن بني عثمان،
والأهدى أن يناعهم بنو مناع في شخص فقيدهم السيد أحمد
عرفة مناع، ذلك بأن هذه الرسالة حاول صاحبها أن يستقبل
السلطان عبد الحميد.

198
* وأشار أحمد زكي إلى أخطاء الرسالة:

1 - إن وضع التاريخ على رأس الرسالة قد أخذناه في مصر عن الأفرنج في عصرنا هذا، وأعمال الله فوضع عباره (السنة السابعة للهجرة) قبل البسمة، وجميع الكتب الصادرة عن سيد الخلق إلى الملك وغير الملك بصفة دعاية أو عهد أو عطاء، قد جاءتنا كلها غير تاريخ ولم تجر عادة العرب والمسلمين منذ الهجرة النبوية إلى ما قبل اليوم بأربعين سنة أن يضيفوا التاريخ على رأس مكاتبهم، بل موضع التاريخ عنهم إنما يكون في آخر الكتاب.

2 - زعموا أن الكتاب مؤرخ في السنة السابعة وأهل التاريخ الصحيح ورجال الحديث مجمعون على أن النبي (ص) أرسل كتابه إلى النجاشي في السنة السادسة للهجرة.

3 - أن التاريخ بالهجرة النبوية لم يوضع إلا في السنة السابعة عشرة بعد الهجرة في أيام الفاروق عمر.

4 - إن رسالة النبي إلى ملك ملوك الحبشة مدوحة في كتاب الحديث (للبخاري) وغيره، وفي السير النبوية، وفي كثير من كتب التاريخ. وصورتها فيها تباين من نشرتها الجرائد عن الورقة الموجودة في حيازة الأمير الجليل سليم بن عبد الحميد.

5 - في الرواية الكاذبة: أم عيسى البتول (الظاهرة المطهرة)، الطيبة الحصينة، وفي الأصل (البتول الطيبة الحصينة).

6 - هناك عبارة أخرى «فان تابعتي وتؤمن بالذي جاءني قائل رسول الله» هذا كلام ركيك مضطرب.

7 - هذه الورقة تروي وليس لها قيمة عند العارفين سوى
ثم جاءت أكذوبة جديدة عن رسالة النبي إلى كسرى ..

وتصدى لها أحمد زكي فقال:

منذ شهور، كانت بيروت قد استأثرت بظهور أوراق مزورة ملفقة زعم أصحابها وهم كاذبون - أنها صادرة عن سيد الأنياب - فمن كتاب إلى النجاشى ثم زعموه عهدا لهجوم المسلمين، إلى كتاب لكرسي .. إلى عهد مصنوع في دير الحميراء بالقرب من اللاذقية (وهم كاذبون أيضا) وقد كشفت القناع عن وجوه الكذب الدنيء الخبيس الذي أريد به الاستفلاج عن طريق الاستغفال.

واليوم جاءت التلفارات بأن باريس تريد أن تزيد على بيروت في مضمار الخداع، فقد جاءت أميرة هندية توانات مع رجل أتراكي (لا علم لنا بجسمنه ولا ملته) وهي تقول، إن تريد أن يصدقها، بل من تريد أن تستغله إنها حازة لثواب قديم هو قميص النبي، أو البردة النبوية.

إن ذلك مكذوب كل الكذب على النبي العربي الهاشمي.

وأغرب من ذلك زعمهم أن مستشرقا يلتم نفسه يرضى بأن
يقول إن هذا القميص هو الذي أهداه المقوس إلى النبي، وهديته المقوس معلومة لنا ولكل آدم.

أيها المزرون، أيا الكذابون، ابحثوا عن شيء يكون مطابقا للعقل أو مواقة للعقل، فربما ينقل لكم باب الاستغفار بطرق الاستغفار، وفي انتظار تفحيظكم لا أبعث لكم التحية ولا السلام.

٣- معركة المعز لزيد الله:

ودخل أحمد زكي معركة حامية مع مرسوم سميكة من أجل المعز لزيد الله الفاطمي، فقد وردت كلمة في تقوم الحكومة المصرية التي تتوالى نشره جميع المصالح الرسمية جاء فيها أن الخليفة المعز لزيد الله مؤسس الأزهر الشريف قد تسر وتناول ماء المنعوبة، في كنيسة صغيرة بدير أبي سيفين بمصر القديمة، وقد احتاط مرقص سميكة في إرباد هذه القصة فقال: «يقال أن المعز كذا».

وقال أحمد زكي:

«عذرا يا صديقى القديم العزيز، فلأحق وقتى وقتك، وليس في وسع المسكت عن تكذيبك وهدائك إلى الحق، بارضائك إلى الذي أوقعك في الضلال، إن كنت أتت وقعت فيه اعتباطاً.

أئت تعلم والناس يعلمون أنت في كل أمور أتونى تكذيب أنت، الذين افترى الكذب على النبي المسلمين، تتفقي كتابات مزورة استخدموها للتغريب بالحكومات الإسلامية».

٢٠١
انت علم والناس يعلمون أنى في كل أموري أتولى تكذيب .. وترفع كما أعرف أنهم ارتكروا التزوير على نبي المسلمين لمصلحة دينية يريدون بها توفير المال .
أما أنت ، وأنت من رجال الدنيا ، فقد جربت على أسلوبهم ، من أجل ذلك كان وزرك عندى أكبر ، ولا سيما وأنت من أهل المعرفة الصحيحة ، وعندك علم الحق وأنت لا تخفيه ، فإنك يا أخرى قد انخدعت بما طرق سمعته قدما من تلك الأسطورة السخيفة الحليفة ، ولطول العهد — ولا أقول لسوء التصد — تبدلت الأسماء في ذاكرتك ، وانكست عليك الآية فخلت زيدا بعمرو ، من حيث تدري ولا تدرى .
وإن شيئا من الحياة ، أو قليلا من الصدق ، أو حسابا للواقع ، أو خوف الحق .. كل أولئك يحاول دون دس هذه الخديعة . أنت أردت الحاكم بأمر الله وأنت مخطيء ، وبيك كتب المنز لدين الله وهي خاطئة .
ويقول أحمد زكي : ذهبت إلى الدير مرتين للتحقق من ( القبر المكذوب ) وزرت المتحف القبلي ومكتبتة والبحر كخانة ، ومجمع العلم وخرائط الكتب ، وراجعت كل الوثائق ، واستوعبت كل الدلائل على المصادر الأولية ، دون أن أعتمد على كاتب مسلم ، بل كل حجتي مأخوذة من الأقباط المسيحيين ، ومن السريان المسيحيين ، وراجعت كل ما كتبه علماء الأفرنج من الكل آ لوفرنسوين وألمان وغيرهم ، ولم أترك بابا في مصلحة الأسطورة 202
أو تأقينا لها الا طرحته ، كما تقضي بذلك شريعة الانصاف لأنى
إبقي توصف الحك من كل شائعة من شوائب الأرثاب .
ثم يقول: ورآيت بعد ذلك أن الأسطورة تهم نفسها بنفسها ،
ويناقض بعضها البعض الآخر عن الرواية الواحدة ، فضلا عن
مخالفة هذه الرواية للرواية الثانية ، ومناقضتها للثالثة ..

2 - وقد رد مرسوم سميكه فقال: ليس صحيح ما قاله ،
وهو أن الرواية لم ترد في كتاب ولم يرددها أحد قبلي ، بل الصحيح
أنها وردت أولا في كتاب « وصف الكتباء القبطية الأثرية
للدكتور الفرقد بطلار » ولا يستطيع منصف أن يجد في كلامي
tصريحا أو تلميحًا وادعا على آثر مسالم بصحة الرواية ،
وما أقدنا وزنا لرواية كهذه أو جملها موضوع تصديق ، لأنها
ظاهرة البطلان ، وما ذكرت هذه الرواية إلا كدليل على تاريخ
أثر قديم في الكنيسة .

3 - وعند أحمد زكي يتفق على رد مرسوم سميكه ، ويتحدث
على طريقة المعروفة في التطاول وال عالية قال :
أما وقد رجعت يا أخى مرسى إلى الحق ، فصارحتنا
بلا غموض ومن غير ابهام أنك لا تعتقد بصحة الرواية الكاذبة
الكدوية .

أما وقد وعدت بحذف الجملة المجرمة التي أضفتها أنت
بلا ضرورة ومن غير داع إلى كتبك السليمة البريئة ، فاتى
أثولم لك بزعم الأكثر الشكر .
وكانت هذه الهدية تكون كاملة لو أنك عدلت عدولا

203
تاماً وصريحاً عن الرواية المكذوبة من أصلها وفصلها، دون أن تتسكع في الملمحة والإصرار على قولك، «ما ذكرت هذه الرواية إلا كدليل على تاريخ أثر قديم في الكنيسة» فافهم هذا، ولا تعد لمثل هذا الكلام، فمقامك العلمي أكبر من أن يصدر عنه هذا القول الباطل، على نار أذكراك في التثبت بهذا القش الهافى، أو هذا المنكبون الواهى، فقد كان لا محيسن لك من اتقاذ الموقف والخلاص من الورطة، بمثل هذه الكلمة الجوفاء (1).

٤ - مع زكي مبارك:

وكانت معركة أحمد زكي مع زكي مبارك حول كتاب أصدره الشيخ سليم البشيري. قال مبارك أنه لم يكتبها، وأن الذي كتبها هو ابنه عبد العزيز البشيري بإشراف والده ثم لم يثبت أحمد زكي أن عرض لأييات من الشعر وقال: أنت جدع وشاطر فرعتي وعرف الناس باسم قائل هذه الآيات، وأورد عدداً من الآيات استهلكها هكذا: يا رب ان شفيعي من ذنوبى في يوم القيامة خير الخلق والنسم.

ورد زكي مبارك عليه قائلا: هل يلق بالعالم أن ينقل الجدل من ميدان إلى ميدان ليفر من الجواب، أن هذا النوع من السؤال - عن الشعر - لا يتفق

(1) الأهرام من ٧ أغسطس إلى ١١ أغسطس ١٩٣١.
مع الذوق الحاضر، فإن كان يصلح لمطارحة المبتدئين في مدرسة ثانوية، ولو استبختنا لأنفسنا أن نسأل هذا السؤال لأعجبنا
وأعجبنا به ألوانا من القراء... ورد زكي باشا مهجما تحت عنوان (خم النوم - صح النوم).

وأما كلهكم الجارحة إلى أستاذ الذي رباك وأحسن
تأديب أيام كنت متوجا بالعمامة البيضاء، في رحمة الله على تلك
العمامة، وما كان تحتها من أدب ورفقة وطاقة.
وأشار زكي باشا إلى موقفه من أستاذ له في المدرسة
التجهيزية كان دميا وكان يتحدث عن اعجاب حسان باريس به
يقول (بما كان من التلميذ، الحبيب) أحمد زكي، إلا أن قال
له ذات يوم: يا دكتور (معاندكش مراية).
فانهال عليه بالسب والشتم.

وقال أحمد زكي: قره في تلاميذ اليوم نخوة على تأديب
أستاذهم ز. م ابن سنترس المنوية؟ كما فعلنا نحن بالأمس.
وعاد زكي مبارك فهاجم أحمد زكي وتفقا وقال له:
كنا نظن أن الأدب البارع الذي يظهر في مقالات الشيخ العروبة
من جديد رمته به أيام الشيوخة، ولكن يظهر أن هذا الأدب
كان من صفاته لعهد الطفولة، فقد حدثنا حافظ الله أنه استباح
أن يقول لأستاذه في المدرسة التجهيزية (معاندكش مراية).
وعده الرجل الذي يكتب بقلبه هذه التعبير، هو نفسه الرجل
الذي قضى وقتا طويلا يدعوني إلى أدب القول.

205
وقد عملت بنصحته وتأدبته معه، فاستأنس وكثير عن
ناتبه، وكان في مقدورى أن أعمله مثل ما عمله به الأستاذ
محمد مسعود. ولكن رفقت بشيخوخته وقدرت له ما ضى في
خدمة اللغة العربية.

* * * وانتقل زكي مبارك إلى شيء آخر فقال أن أحمد زكي
مَّعَّرَم بالسجع في عناوين كتبه وأورد ما أسماه مؤلفاته الجديدة
التي أخرجها للناس:

1 - السفر إلى المؤتمير.
2 - القول الكاشف، في القول الناشف.
3 - ذهب الأبريز في محاسن باريز.
4 - التحفة البهية، في الكبدة المشوية.
5 - النفحة الذكية في المدادة النبوية.
6 - الروض المشرق في أخبار الشرق.
7 - اتحاف الخلقت بأخبار باب الخرق.
8 - القول المبين في مقام سيدي الأربعين.
9 - المرقص في الرد على مرقص (وهو كتاب نشره في
العام الماضي) ردا على مرقص سميكة).
10 - البرح والجوع في بناه الهوى.

وتابع أن هذه المؤلفات مختلفة من أساسها ما عدا الكتاب
الأول.

وقد رد أحمد زكي على زكي مبارك فقال:
ما بالك تجد فضل أستاذتي عليك؟ وتعاون فحص القول

٢٠٦
وجفاء الطبع وماذا تضيف وجهك بعد أن استعمرت في دار مجلة
المعرفة قبل ركذ الأخير؟ أقتنت حينما تواجهي يتغلب عليك الأدب
ويغليك الحياة، فماذا ما خلوت إلى نفسك جمع بك القلم؟
ثم قال عن مسعود: والحق أنه بزى في الخطاب، وانه فاز
على في ميدان الشتم والسباب، وها أناذا أطرف له بذلك، وأشهد
أنك لحقت غباره في هذا الضمار بل سبته بإشواط. وقد صارت
قلة الأدب يا مبارك منتشرة أيضا انتشر.
انتى تتفقت عن منازلة الأستاذ مسعود في التراشق بالقول
الهراء وهو لا يجهل أن عجري فيه لا يوازي سوى قسوة قلبي
في تشديد التكير على أهل الدراية إذا ارتكبوا خطأ، وأذاعوا
ضلالاً، لأنى أمهى على الحكمة التي تقول: الفعل إذا تدورك
ببدد، وإذا ترك تعدد.
ثم عاد إلى مناقشة مبارك فيما أورد له من كتب مختلفة:
قالت: إنه يزعم أنى صنفت كتاباً في القول الناصف. يركة
يا مبارك تموت في هذا القول، ولا يصدق عنه صدود، وتنسب
إلى (التحفة البهية في الكبدة المشوية) يا كدبى عليك يا مبارك
حينما كنت تجري ليلًا في درب المس وراء (يا جابر) الذي يبيع
الكبدة، أنت لا تزال تعلم بها، وتصور أنها أكل الملوك.

5 - ملك سليمان ووادي النيل:
عرض أحمد زكي (1) لما ورد عن ملك سليمان من أنه ملك

(1) الأهرام 0/08/1932

217
 الدنيا كلها ، وهاجم كعب الأخبار : ذلك اليهودي اليمني ، واتهمه بأنه هو الذي حمل هذا الرأى إلى المسلمين ، وقال أن بعض علماء الأزهر - وهم سياج الدين - لا يجرؤون على الجهر باكتار آرائه ، فهم يخفون مخافة العامة ، وقد تساءل : هل ملك سليمان الدنيا كلها ؟

وأجاب : كلا .. بل الحق الذي لا جدال فيه ولا معدل عنه ، أن سليمان ( عليه السلام ) كان أكبر ملوك إسرائيل ، وأعظمهم مجدًا ، ثروة ، وأبدهم صيتها وشهرة ، على أن ملكه – مع ذلك وبرغم ذلك – لم يتجاوز في الشمال مدينة حماة المحبوبة الزاهرة ، وكان يعتمد جنوبا إلى تجوم مصر عند رفح ، إلى العقبة ، أما من جهة الشرق فقد اشتمل الصحراء ( بادية الشام – الحمام ) حتى ضفة النهر دون أن يتساءل .

فأتى ترى أن مملكة سليمان ما كانت تتجاوز أرض الشام ، فما ملك سليمان الدنيا على ما تقاوأه المخرون المخرون ، عن الإسرائيليات التي دمرها كعب ووهب .

ثم تساءل : إذن كيف تقرر ما جاء في القرآن من اجابة دعوة سليمان أن يرزقه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ؟

وأجاب : يرجع في طلب الجواب الى التاريخ ، ففي النبي الصادق وعنده الخير القيوم . لقد كذب الذين قالوا ان سليمان ملك الدنيا بحذافيرها ، وصدق الله العظيم .

٢٠٨
وقد هاجمه الشيخ صادق عرجون قائلاً: لا يا شيخ العروبة (1).

القرآن، القرآن. أن الأعلام الثقات من حماة الدين.
لا يرضون شيخ العروبة على عهده وفضله وتاريخه - مفسراً للكيات البينات، ولو كان هذا التفسير الذي يجيئنا به شيخ العروبة من (ال),$ أذى التوجيهات القدسية) (2).

ليس من الناس من شيخ العروبة تحققات أندلسية، وتدقيقات جغرافية، وتصحيحات تاريخية، واستكشافات عروبة، فهم في حل من ذلك، ولكن القرآن، كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يعودون علامتنا حول حماه، على أسلوبه وطريقة وفتوناته.

أما شيخ العروبة فمعاذ الله ولياهذ أن تكون تلك التحفصة الجمالية منه في تفسير وادي النيل المذكور في القرآن وفي تحديد ملك سليمان، إن هذا التمتع من شيخ العروبة ليس إلا كوبة جواد تقول لصاحبه (لعا)...

وقد خص عالمين عظميين: وامامين من أجل تابعي الامة بالسب الفاحش، ثم رمى علماء الأزهر بالجبن عن الجهر بالتكار ما بث في الدين من الأسرائيليات، زاعماً أن الذي بثها هو الإمام كعب الأحبار...

وصمت شيخ العروبة وترك العاصمة تمر...

(1) الأهرام 11/8/1943.
(2) العنوان الذي اختاره أحمد زيكي لتحقيقه عن ملك سليمان.
6 - معارك مع مسعود:

cولت المعارك بين أحمد زكي ومحمد مسعود، واتصلت منذ عام 1930 حتى عام 1933 خلال أربع سنوات كاملة.

وكان محمد مسعود قد كتب عن «الأخوة المغرونين» على أثر ما أذيع عن جريدة الهدى الأمريكية عن وجود قبيلة عربية في المكسيك وقال إنه لا يعتقد أن تكون هذه القبيلة من سلالة أعضاء بعض البطينات العربية الألفنة التي خرجت تابعة من ساحل أندلس والبرتغال وماراكش لاستكشاف يابسة في غرب بحر الظلمات، وأنهم آثروا بعد وصولهم إلى جزر (الأيتيل) التي منها جزيرة الفنى ذات اللحم المر الحامض على قول الشريف الادريسي - الاستقرار والعيش فيها...

وقد رد عليه أحمد زكي مباهيا على طريقة بأن عنة وحده الخبر الصادق والحجة الصحيحة، وقال أن زعم مسعود محال و«ألف محال» وقال:

«إن الكاتب الفاضل أداه اجتهاده إلى الرمي بهذا القول جذاباً، دون أن يعتمد على برهم أو شبه برهم، وليس هناك سوى استنتاج لا يقوم على دليل، بل هو محض ظن منه ينقضه الواقع». 

.. أنه اعتمد فقط على المصدر الذي كان له فضل السبق على كل عربي وعلى كل شرقي، حينما نبهت العرب إليه في عام 1892.

(1) الاهرام - 16/11/1930.

218
ولكن الكاتب الفاضل اكتفى بهذا المورد الذي لم يدل على شيء سوى محاولة العرب، ثم محاولتهم الوصول إلى أمريكا، ولكنه يقول ويؤكد برجوعهم خائين على ذلك المصدر نفسه بعنصه وحروفه، ولو أخطأ عليه براءشي في هذا الموضوع لما سمح له فضلله أن يقول بأن العرب الموجودين في أمريكا هم من بقية أبناء الصمومة الأندلسيين.

2- رد مسعود يقول:

نظرة إلى مقاله يكفي لإقناع من يراجعها بأنه فيما سقت من تلك البيانات لم أقطع قط بانحدار تلك القبيلة من العرب الذين أوغلوا في بحر الظلمات، بل أعطت استنتاجي في هذا الموضوع بسياج من ضروب الاحتمال والتحفظ. غير أن سيدى العلامة أبي بعد ذلك - كرما منه وتواضعا - آلا أن يمن بأنه مصدر العلم والعرفان، وحائز قصب السبق في كل ميدان، فكتب يقول: إن لم أعتمد إلا على المصدر الذي كان له فضل السبق.

وهنا أقول: هل من غضابة أو شريب إذا أنا لندت بكتب قراءته في الاستزادة من المعرفة؟ أو نقلت من ينبوذ علمه، أو استقللت بوارف فضله، وهو القائل "على وعى وحيد خذوا...".

وق تواضع التلميذ وطاعته لاستذاته يثق كل الوثوق أن مقاله الذي تصفه: تثبيته وتجريده لم أعتمد على مصدر من مصادره، أما المصدر الذي اعتمدته عليه فهو جريدة العاصمة التونسية عن مقال نشرته عن استكشف العرب لأمريكا في أوائل عام 1892، أي قبل رحلته والعثور على كتاب "ترة المشتاق للإدريسي".
على أنني أقرر أن كتاب «زهرة المشتاق» لم يكن قبل أن نحتدى إلى مخبئه في بعض خزانات البلاد العربية كمية مهملة نبت عليها العشب، ونسج العنكاوة، وانما كان من الصفات الذائعة الصيت المرموقة منذ أجيال وان في المنتصف عام 1888، فصولاً عدة من هذا الموضوع بقلم دمتري خلاط.

**

كتب محمد مسعود بعض المقالات في تحقيق الأعلام الأندلسية ومنها كلمته عن «جردفون» بدلاً من غارفوي ومالقة، الغد فعل عليها أحمد زكي يقوله (1): أحسنت كل الاحسان فيما كتبه عن «جردفون» في اعترافك لقلبي العاجز بأنه كان السابق إلى تنبه قومي إلى وجب الرجوع بهذا الاسم الأشهر إلى صبته الشرقية، وأي رسمه على الصورة وبالحروف التي تواضع عليها أربابه ومعارضوا العرب، وتناولوها من قديم الزمان، أحسنت يا مسعود كل الاحسان في الجرى على طريقتي في الرجوع إلى أعلامنا فيما يختص بأعلامنا، واعلم أن احساسك في هذا الباب لا يضارع إلا اساءة وزارة المعارف المصرية في استمرارها فينشر الاسم بالفلط الذي تندفعه هي في تدريس الجغرافيا بالعربي ولا سيما في خرائطها الكبرى التي تكرر طبعها مع الإصرار على ارتكاب ذي الختال وغيره.

(1) الاهرامـ ـ ٦ ـ ٢ : ١٩٣٢ .
واحستت في تصحيح ما فرت من مترجم الصحف العربية حينما مسخوا (مقالة) ولكن الواجب عليك أن تشير إلى أن قلمي العاجز هو الذي كان له السبق في الأعراب عن هذا الصواب على صفحات المؤيد والمقطم والأهرام، وغيرهما من جرائد سورية والعراق.

ولكن كان يجب عليك يا أخت أن تحاسب في خوض هذه الموضوعات، وأن تثبت كثيرا فيما يصدر عن قلمك البليغ، لثلا تكون مثل وزارة المعارف سببا في شيوع الخطأ وفي ذيو الخلل.

أنت قلت أن مقالة من ثور الأندلس، وفيه قصور قديمة منها القصبة وأرشدونة، وهو سهو منك، أن (أرشدونة) مدينة قائمة بنفسها، ولا دخل لها في مقالة ولا في قصور مقالة.

* * *

٣ - عاود أحمد زكي الرد على مسعود في مقال له جديد عن (شلمانية) وهي إحدى بلاد الأندلس فقال:

بعد هروبى لطلب الراحة في الإسكندرية، بلدى وبلدك، ما راعى الأطروح الأهرام على الناس بمقابل عن (شلمانية).

يا مسعود: اتق الله في الأمانة التي في عنفك، فأنت أخذت تتحفل وتتحذّر وتتلاعب بهذا الاسم، وبالناس الذين تصورت أنت أنهم قد يخطؤونه بالاسم المقارب له وهو (طلمانكة) فكان عجبًا شديدًا، حينما قرأت هذه الحقائق الصائبة التي ليس فيها سوى عيب واحد هو الإغتصاب الأدبي. ولكني أتخيل أنك
وقت أمام المرأة فرأيت شخصا أخذت تسخر منه، ثم وجهت السخرية إلى الناس بغير حق...
أنت أخذت مني وعندي كل هذه المعلومات الصحيحة التي دوتها في الأهرام مع صياغتها بتلك الرشاقة البديعة، وبذلك الأسلوب الجذاب الذي يرعت فيه، فلماذا خالفت واجب الأمانة ولم تسب الفضل لأهله؟
لملك نسيت يا مسعود.
لملك تقول أن الإنسان معدن النسيان.
اتق الله يا مسعود، فلك مركز وطيب بين أهل الأدب والتحقيق، و (الشطاره) يا أخي أن يكون الإنسان مستعدا لاثبات ما ذهب إليه، وأن يبادر بالرجوع للحق حتى نهظه عليه ...
3 - ورد مسعود على شيخ العربية وأخرج كل ما في جيبه بعد الصبر طويل: قائل: (1)
يدعوني شيخ العربية إلى تقوى الله ليهيب لي من أمرى وشداً، فأكرر بهذه النصيحة الغالبة، ولكن أراني الاستاذ تjahه في مأزق، حتى يراهن بحالي، فيدعوني إلى التزود برد التقوى لأكيل عشرتي؟ وهو الذي في مناظراته عدو مناظره أن يكون أمرهم معه يسرا لا عسرا.
ووصف تحقيق بعض أسماء الأعلام بأنها ألقان مقررة وحفلة وجلية وتحذق وتفاصح .. وما علم الناس طرا في الحقائق ،

1) الأهرام - 4 يوليو 1972 .

٢١٤
وما زالوا يعرفون أنه شنفتة مولاي الأستاذ وفطرته التي فطر عليها في مباحثاته، وسلاحه الذي يخطر به خطراً في غطرسة
وهو كلما أقبل على ميدان، أو تحفر للضرب والطعان.
ليس من ديدني أن أقنع هذا السلاح بمثله، أو آية لتلك
النعوت، وأمر بها مر الكرام، وأضعها دير أذلي...»
وأشار مسعود إلى قصة كتاب الأدريسي وقال: أنا البرينا
تقصي الدعوى وأثبتت بالدليل القائل أن الكتاب طبع قبل عثورك
عليه بثلاثة سنة، وقال: لما أثبتت كل ذلك رأيت قلمك الندي
قد ذهب حوده، وقطع سيله وعدت لا تعتبر جواباً في هذا الموضوع
الذي لم يكن فيه من سبيل لغاي الجهة المذبة والدليل المؤدب.
ولست أدرى لماذا لا يرى شيخ العروبة الخير والصواب
لا في ملاحظة كل كاتب باحث بدعوى التفوق، وتعقبه بصنوف
المن والتهنير والتكدير والتحذير، بل لا أدرى لماذا لا يلذ له أن
يلقى بغيره من هو به أقصى فهل جيل أن تجاهل أن من أمارات
العلم الصحيح أن يكون ذكي النفس قبل أن يكون عالماً، وأن
يقتضي بعلمه هدفاً غيره في تواضع وانكار للذات إذ التواعم
مساع إلى رفع القدر، وانكار الذات سبيل إلى كسب محبة
الناس.
إيها النفس... ان ربى وربك أمرا بأحسن في الجدل.
أتم تحسين أسولك الجدل بهجر القول، ومسط الكلام،
وحواسى اللذن، مثل الجليطة وما إليها من العمارات المملولة
المجروحة، التي أصبح من غير اللائق أن تضح في براعتكم في مثل
هذا العصر، عصر القول بالمعرف الذي يدخل الآذان بغير استذان.

ليس لتمثيل أن يزجي النصيحة لمثلك، وأن تنت من العلم والفضل في الدرجة العليا، ولكن أهيب بك أن تكون تحية أول صديق من الكرام الكاتبين قابلته في صيحة اليوم.

قولى له: تأله لو كنت طالب علم، ولم يكن غير زكي بابا أستاذًا على وجه الأرض، لأنثت البقاء جاهلاً خالماً طول عمرى، على أن آكون عالماً نبيها إذا كان أسلوبه في التعليم كأسلوبه في الجدل والمناقشة.

***

وعاد السجال مرة أخرى بين مسعود وزكي:

فصد كتب مسعود مقالاً في البلاغ عن (1) «الطرطوشي» استهل على هذا النحو:

«أشار إلي طرائني صرفتي، عن مطالعة الصحف...» وكانوا كأن مسعود على موعد جديد مع أحمد زكي:

(2) أتقدم إلى الأستاذ مسعود برجاء مربع، وقد أطمّ في كرمه أن ينعم على وعلى نفسه بحالة خامسة، ولعله يتفضل ببناء هذه الأركان الخمسة لملحة الأدب والفادحة العلم، يحقق أملى

(1) البلاغ - 1 : 202 : 1933.
(2) البلاغ - 4 : 202 : 1933.
القديم فيه، بأن يعود (كما كان) وعمد زكي باشا إلى عبارة
(لأشاغيل طرانية) فهاجمها من ناحية الدوق وان اعترف بها
لخواص فكلاً: أنا لا أقول قط أنها خطأ، بل هي عن الصواب،
وكل الصواب. ولكن الدوق شيء غير الذي في الكتب.

3 - ورد مسعود على الشيخ العروبة هذه المرة عنيفا وأشد
عنفا من المرة السابقة فقال:

ليس من الهئيات الهينات، ولا من توقف الأشاغيل أن
يسوق الحظ العائر يومًا إلى الزيت مع الشيخ العروبة في ميدان
مناظرة، ذلك لأنك إذا خضت مع ذلك الفمار استهدفت لعموات
شيئ من سنان قلمه الجارح، فمن من عليك، وتمير لك بأنك
انما من بحر علمه اغترفت، إلى تشيير بك وانحاء باللوم والعتب
عليك، لأنك لم تعود له صاغراً اتاحة الشكر لقاء ما غمرك به من
فيوض إحساناته العلمية، ومن تفاخر بأنه القاضي وحده على
مفاتيح التحقيقات العلمية واللغوية، والممالك لنفسية البحوث
الإندلسية، والملهم في دياجير الأخطاء بالتوقيع لدور الصواب
والحق، إلى اتهام لك بالجهل وانتقال علم ما لا تعلم...

فهو يرى إذن أن العلم وما يتعلق به من تحقيق وتحقيق
تراث أوصت له بحذمة الأزلية، وميراث خلس له من غضون
الأجيال السالفة، ليس لأحد أن يرميه بعين، أو أن يشربه إليه
بعتقه.

(1) البلاغ - 11 فبراير 1937

217
وهذه هي النهاية لا تتجاوز بعدها للصفف، وتصغير الـ .. 

وحب الأثرة .. واذ أنتم في مناقشتنا إياها أخذته بالهوادة القائمة
على أساس وطيد من أدبك العالي وخلقت الرضى الكريم قللت
له مثلا: أنت سيدى وأستاذذي ، وأنت نسيج وحدك في العلم ،
ومنقطع القرن في الفضل ، وأنت ظاهرة الزمان وبكر الملك ،
وأنت وأنت .. وبذلك في هذا السبيل فوق ما كان يبذل للصاحب
ابن عباد من ألقان التقدير ، وعبارات المديح فسارع ما يجي
هارجا ، وما هو إلا لمح البصر حتى يتناوله كله بالتحقيق،
cوالتصغير والتكريت والتبكيت ، ثم يدعى عليك في آلة تتسه
بألك أهنته بعد أن سرتله ، وسبتها بعد أن سبتها .. ».

٢١٨
عملا في مجال الآثار

لم تكن (الآثار) عند أحمد زكي بأقل أهمية من الأبحاث التاريخية والجغرافية واللغوية أو أسماء الأعلام، فقد أولاها اهتماماً واضحاً، وسارت مع أعماله الأخرى في ركب واحد كجزء من خطته الفكرية العامة، فقد اقترن بحثه عن المخطوطات والكتب النادرة بحثه عن القبور والمساجد والمسكوكات والمحاريب والأواني والزخارف، وهو لم يدع بلداً من البلاد التي زارها في العالم العربي أو في أوروبا دون أن يدخل مساجدها وكنائسها وقصورها، دارساً فاحشاً، وذلك إلى جوار بحثه عن خزائن الكتب والمخطوطات.

وقد بدأ حياته الفكرية متصلاً بالجمعية الجغرافية وعضواً بها، مواصولاً العمل من أجل الكشف عن الحفريات والاحجار والعناصر.

وقد ألقى محاضرات متعددة عن آثار العرب الخالدة في أوروبا (1)، وحقق عشرات من المسائل المتعلقة بالقبور المنشورة هنا وهناك كغير العريض الذي قال الشرفاء أن به قبر نبي من الأنبياء، وعديد من القبور والمزارات.

(1) المقتطف - أكتوبر 1912. 0

219
وكان أحمد زكي من أصحاب الرأي القائل بأن الحسين والسيدة زينب غير مدفونين في مصر، وأن جوهر الصقلي والجبرتي ليسا مدفونين في الأزهر. وقد وافق أحمد زكي بحثه عن القبور في كل مكان، يقول:

«انك حينما قلت وجهك في ربوع الشام، وأينما تقلت قدمرك في الأرض المقدسة فلم يرضي منبر باب الحرف أو بالزور لبني معلوم أو مجهول، لولي موهوم أو مزعوم، كذلك كل من العديسين الأظهر وعن الأولياء الإبرار». كما كتب أحمد زكي ما ورد من وجود قدم للنبي في صخرة القدس أو مسجد السيد البدوي (طنطا) أو مسجد قايتباى (القاهرة) أو مسجد أثر النبي (السفسطاط)، كما راجع الباحثين في الأثر المنسوب إلى النبي في دير القلمون.

2 - اشترك أحمد زكي في جميع مؤتمرات الآثار العالمية في روما ولندن، وفي المؤتمر الأثري الذي عقد بيروت (أبريل 1926) التي محاضرة عن أطلالات جغرافية في إنجيل متي. كما ألقى عدداً من المحاضرات في القدس ودمشق وحلب عن الآثار العربية وبحثاً عن المسكونات العربية وجرت بينه وبين يوسف الين سركيس مناقشات عن استعمال الزجاج كنقوذ للتداول (1).

(1) بحثه عن المسكونات: مجلة الجمع العلمي العربي م 6 مارس 1926. 270
ومن تنويراته الأثرية ما أدلى به عام 1935 في دمشق من أنه
يطالب بالكشف عن الهرم الرابع والخامس في الجزيرة العربية.
3 - عرف بالغيرة البالغة على الآثار العربية، وهاجم
c الفرنسيين والإنجليز من أجل احتفاظ بعض محارب المساجد في
بغداد والقدس.

وقد حقق أحمد زكي كثيرا من قضايا السرقات للآثار
والكتب. ورافق الصوت عاليًا عندما اكتشف سرقة محراب
مسجد نور الدين في حلب: «فقد احتفظ هذا المحراب البديع
الصنع فيما بين عشية وضحاها، سرقته فرنسا المحتلة لسوريا
عام 1938».

وتأتي الآنوب وسرقة محراب آخر، سرقة الإنجليز في العراق
من جامع الخاصكي القائم بمحلة رأس القرية في بغداد.
غير أن الإنجليز لم يلبوا أن ردوا هذا المحراب على أثر
الصيحات التي ثارت ضدهم.

4 - وأشار زكي باشا إلى أن الإنجليز سلبوا من جامع
قايتباي بالقاهرة: (أبديع منبر من الرخام) ونقلوه إلى متحفهم.
يلوحه، يقول: «وقد رأيته آنا (أحمد زكي) في متحف سوث كامسنجون
بمدينة لندن عام 1905، سنة 1215هـ. وقد أرسلت إليه سهماء
بل سموماً من نواطيره، كانت تكفي لسحقه، لولا أنه من أفخر
المحراب، فلم يتأثر ذلك الحجر بذيال النظر». 5

وواصل البحث عن الصحف المروعة من المسجد

221
الأقصي «ذلك المصحف الذي كتبه سلطان (1) للغريب الأقصي من بين مرين بخط يده من أوله إلى آخره على الرقعة النافيةغالبة ثم أشرف بنفسه على زخرفته وتشوهها وتزديده وترتيبه وتجلده وتعليمه بالحرير، ووضعه في صيان من نفس الخشب المؤخر بالفضة، المزركش بالذهب.

يقول: وقد قرأت كثيراً من هذا المصحف وعن أخريه (أحدهما بالكعبة، والثاني بالمدينة) وكنت كأشر الشوق إلى استماع النظر بجلال مجاسين هذه الثلاثة أو واحد منها على الأقل، حتى أسلمت ربي بشر الرجال بل بركوب القطار في صيف 1340 هـ سنة 1922 م إلى المسجد الأقصى، وتولت بعد ذلك رحلاتي إلى تلك الربيع المقدسة لخدمتها بقلب وروح، ودع ذكر المال فهو غاذ ورائح...

وهاجم أحمد زكي بريطانيا وعدها مسئولة عن ضياعه.

6 - وطالما هتف بالمصريين والعرب إلى حلبة آثارهم من السرقة والبحث عن المفروض منها (هذى آثار مفخاتنا مملة بل مجهولة، عندنا عند هؤلاء الفرنجة، يتهافتون على المناية؛ يتصدّق بقياها، ونحن أحق بها منهم والله). وطالما طالب العرب بالتعرف على آثار بلالهم، والتقبيب عن آثار أجدادهم ودرسها الدروس اللائقة بها، وقال أن من العار أن شركوا للأجانب يدرسونها ويجرون عنها بناء دقيقاً وحن غافلون...

(1) هو السلطان الناصر بالله أبو الحسن على بن عثمان بن

يعقوب بن عبد الحق.
في ميدان العمل السياسي

هذا الجانب من حياة (أحمد زكي باشا) دقيق ومختلط فيه الخير والشر، وربما كانت بعض جوانبه بحسب مقياسنا الآن ضعيفة أو مضطربة، ولكننا لو نظرنا إلى الأمر في ظل الظروف التي كانت تعيشها مصر بعد الاحتلال البريطاني لمذرناه في بعض مواقته، ولقد نرى في نفس الوقت ذلك البوع والذكاء الذي استطاع به أحمد زكي الشاب الفقير الذي ربا شقيقه، ودرج في أجواء الحياة المتوسطة، أن يجالد ويجاهد في هذا الخضم العنيق الوضيع المضطرب، حتى يصل إلى مكان الصدارة، فيكون سكرتيرا عاما لمجلس النظار في ظل ثلاثة من الأمراء، عباس وحسن وفؤاد... وأن يلقي منصب سكرتير الجامعة، وأن ينوب عن مصر في مختلف المؤتمرات العالمية، وأن يكون من أبرز المترجمين المتخصصين في اللغة الفرنسية الفائتتين للمواد القانونية والدبلوماسية في هذا المجال، وأن يقطع هذه الأشواط كلها وهو الكاتب المؤرخ المحقق، الخطيب، الباحث عن المخطوطات والآثار، الرحالة... 

ولعل عمله في هذا المجال خلال ثلاثين عاما هو الذي دفنه لأن يجري مع التيار، وأن يخالف عن الركب الوطني الثائر.
المتحرر من القيود، وربما اعتذر عن ذلك بقيود المنصب ومستوياته.

3- وحية أحمد زكي باشا السياسية في هذه الفترة ضرورة أشهد الاضطراب فهو صديق للخديو عباس الذي حاول أن يستفيد من التيار الوطني، ويشجع مصطفى كامل، ليعقوب به الإنجليز، ويرد به ضربات كروم، ويضع كبرياءه حتى إذا وقع حادث دنشوازي وسحب الإنجليز كروم (أبريل 1907) وواجه بخلقه (الدون غورست) صاحب سياسة الوفاق، تخلى الخديو عن الحركة الوطنية وأعطاه ظهره، ووقع الخلاف بينه وبين مصطفى كامل في أيامه الأخيرة، ومحمد فريد من بعد ذلك، وقد وقف (اللواء) والحزب الوطني أمام الخصومة موقفا صادما، بينما تحول (المؤيد) والشيخ على يوسف مع الخديو إلى مصادقة الإنجليز.

هنا نصل إلى موقف أحمد زكي من الحركة الوطنية في هذه الفترة. فقد كان أحمد زكي وأحمد شوقي وأحمد شفيق وعلى يوسف وحافظ عوض جمعا من رجال الخديو وألقاهم وألسته. فما كاد الخديو يظهر بالسياسة الودية التي حملها له "الدون غورست" من قبل بريطانيا، حتى حول وجهه عن الحركة الوطنية التي كان يضدها من قبل، فليس شاك أن مصطفى كامل والحزب الوطني قد عاشا فترة طويلة في ظل مؤازرة الخديو عباس لهما وذلك طوال حكم كروم، وهو من ألد أعدائه. ولعل الخديو كان يظن أن سلوك هذا الاتجاه في مقاومة بريطانيا يحقق له بعض

224
هطلبه ، وله لم يكن مخلصاً فيه لمصر ، وآية ذلك أنه ما كاد
الإنجليز يلوحون له بسياسة الوفاق ويطلقون يده حتى تخلى
عن تأييده للحركة الوطنية وبدأ رجاله يهاجمون الحزب الوطني
وينشرون الأحاديث والتصريحات المختلفة في الصحف في هذا
الاتجاه الجديد.

وكان أحمد زكي قد جرى في هذا الخط الجديده مع الخديو
الذي أحسن له المجال إلى تمشيل مصر في المؤتمرات الدولية وحقق
له رغبيته في العمل الفكرى الذي أحبه ، فضلاً عن أن مقاومة
أحمد زكي لتيار الوطنية الذي كان يقوده مصطفى كامل ومحمد
فريد لم تكن في ذلك الوقت تمثل بالتحديد ذلك المعنى الذي زاه
إلي اليوم. فقد كان هناك أكثر من تيار يخاض مصطفى كامل
ويعارضه. ومن بين تيار الشيخ محمد عزده وأتباعه وتيار
الجريدة ولطفي السيد ومن لف لهم. وتيار الشيخ علي يوسف
المؤيد. وكان بعض هذه التيارات يتصال بالإنجليز وبعضها يتص
بالقير. وكان لهؤلاء مفاهيم ربما عبروا عنها بقولهم: ان
الإحتلال البريطاني في مصر لن تخرجه صيحات مصطفى كامل وان
من الخير مهادته والتفاهم معه والاستفادة منه. مع العمل
المتصل في مجال التعليم والتطور الباطني حتى تتحقق الحرية على
مراحل.

ولا شك أن هذا الاتجاه لم يكن يمثل مشاعر الأمة ولا يعبر
عن آمالها وأحلامها ، ولذلك فإنه لم يعد استجابة شعبية واضحة
وإذا كان الدعاة له والقائمون عليه من أنصار الخديو أو السائرين

225
م - 15 إعلام العرب
في ركب بريطانيا. وقد وصفت هذه الدعوة بالتمثيل في مقابلة وصف دعوة مصطفى كامل بالتهيج السياسي. غير أن أحمد زكي بالرغم من جيشه في هذا الاتجاه كان له موقفه من توحيد جناحي الأمة فقد ألقي محاضرة جعل عنوانها (مصريون قبل كل شيء) في إحدى الجمعيات المسيحية صور فيها مدى ترابط المسلمين والسيّحنين ودعا إلى الوحدة بين عنصري الأمة وذلك عندما بدأت مؤامرات الاستعمار تفرق صفوفهم وتثبت بينهم الخلاف.
ولا شك أن أحمد زكي قد حمل لواء الحملة على الحزب الوطني وهاجم محمد فريد وأعوانه بعد وفاة مصطفى كامل في فبراير 1908 وكان الهدف هو تأكيد مركز الخديو واعتماده الحركة الوطنية التي تطالب بالجلاء والدستور.
وكان من نتائج هذه السياسة ما شعر أحمد شوقي (الشاعر) وحافظ عوض صاحب جريدة المنبر - إذ ذاك - وأحمد زكي وغيرهم من أعوان الخديو من كلمات في الصحف ينديدون فيها بساحة الحزب الوطني ويسعونهم (دعاء الهوس والجهل) وما نشره المنبر منسوبا إلى الخديو من قوله إنه لا دستور بغير موافقة الإنجليز وكان هؤلاء يدعون إلى الإصلاح الداخلية ونشر التعليم كبديل للمطالبة بالدستور. ونشرت جريدة المنبر كلمات متعددة لأحمد زكي منها كلمة في 16 سبتمبر 1908 موجهة إلى محمد فريد متمثلة فيها بقول القائل:

247
ان الرازيين لما قام قائمهم، تصورت انها صارت شواهينا
وقد حملت جرائد الحزب الوطني على أحمد زكي حملة شعواء
وانشرت المثير شعراً موجهاً الى أحمد زكي جاء في مستهله
نشر البلاء ان يكون زعيمًا من لا يسلم في الرجال كرما
عابوك إذ وجدوا صنيعك بارعاً تشكوا صوادع جمة وكلوما
كثرت سهام الرائتين وانما أرسلت سهامها نافذاً مسمومًا
هو ما علمت فلما تقم "للوهائهم" وزنا ولو ملала البلاد هزليا
وقد حاول أحمد زكي أن يواجه الحركة الوطنية في الجامعة
العربية في أول نشأتها وكان سكرتيرها العام، وروح الوصيلة
متصلة متقدة، والانجليز الذين عملوا على ايقاف مشروعها
الذى دفته الأمة والحزب الوطني الى الأمام بقوة، يحاولون أن
يعدوها عن السياسة ما استطاعوا، وكذلك كان يرغب الخديو
عباس.
وكان أحمد زكي قد اتى في فرصة توديع أول فوج من الطلبة
المستقلين الى أوروبا أو (الгласية الأولى) كما كانوا يسمونها
اذ ذلك في 11 سبتمبر 1908، فاتقي فيهم خطاباً طويلاً في
الاسكندرية عن تاريخ هذه المدينة وفضل العرب على الحضارة،
ودوروهم في العمل لا استدراد مجد مصر، لا بالكلام والصياح,
بل بالعمل المؤيد بالجزم» ودعى الى مساعدة الجامعة، وأشاد
بالتعليم العالي، وأنهى باللائمة على الجهل وعدم الاعلام الكاف
بالقراءة، وما قاله في خطابه:
"كثرت الأحزاب في مصر وكلها يكول بوجود التعليم قولاً
بالنسان، وكلها تصدر بروجراماتها بأنها تسعى لنشر التعليم، وفي كل يوم يولد حزب جديد، وناما هو خزي جديد.
وعلى أثر ذلك قامت الضجة في صحف الحزب الوطني الذي اعتبر هذا الكلام موجها إليه، وقالوا ان عبارة « في كل يوم يولد حزب جديد أي خزي جديد » انها يراد بها الحزب الوطني.

واصدر أحمد زكي بياناً ضافياً، أطلق عليه عنوان « الى محكمة الرأي العام » ذكر فيه موقفه مما اتهم به، وأنكر أنه مسخر من الاحتلال للعمل على الأضرار بالجامعة والقضاء عليها قضاء مبرماً، وقال فيما يتعلق بالهجوم على الحزب الوطني: حاشى أن أصف الحزب الوطني أو غيره من الأحزاب الكبرى بهذه العبارة.

3 - أما الأزمة السياسية الكبرى التي واجهها زكي باشا فهي تولى فؤاد بن اسماعيل الملك 1917 فبذلك كان الخلاف بينهما قد يدأ منذ انشاء الجامعة سنة 1908 وكان فؤاد اذ ذاك أميراً فقيراً متناقضا ولم يكن ينتظر أبداً أو يستوعب أن يلقي الملك له، وكانت بينه وبين أحمد زكي باشا خلافات لعل مصدرها ما عرف عن أحمد زكي من اعتداد، وما كانت له من صلات وطيدة بالخديو عباس ثم بالسلطان حسين.
فلما ولي فؤاد السلطة، كان هذا أمرًا مزعجاً بالنسبة لأحمد زكي السكرتير العام لمجلس النظر، مما دعاه إلى تقديم استقالته أكثر من مرة سنوات 17 و18 و19، لولا أن حسين رشدي باشا...
رئيس الوزراء اذ ذاك كان يرده عن ذلك، غير أن الأمور سارت إلى غايتها الطبيعية، ووقع عام 1931 ما كان ينتظر فتقدم (محمد افندى خاطر) من موظفي مجلس الوزراء باتهامه بالاختلاس والتزوير في مبلغ يربو على 70 ألف جنيه، فأوقف عن العمل، وأجرى التحقيق معه، ثم ثبت براءته من كل مانسب اليه.

وهل ذلك تقدم بعضاً، الذي نشرها الأهرام في 11 مايو سنة 1931 والتي جاء فيها: اليوم قد ثبت للخصام والعمام، وبطريقة حاسمة لا تدع للحكومة مجالاً لالرتب، أن أنت كنت وما زلت بحمد الله حليف النزاهة والاستقامة، فانت لا يمكنك بعد خدمتي الطويلة سوى التفكير في الراحة وطلب الإحالة على العلاج حتى ترتقي للأمنية التي سبق لي الاعتناء بها رسمياً أربع مرات في سنين 1917 و1918 و1919 والتي حلت نظام القانون دون فوزي بها حينئذ، أما الآن فقد وصلت إلى السن التي تنو في نيل هذا الحق بطرق قانونية فقد أصبح أملي وطيباً، 

وكان أحمد زكي قد توفي (سكرتير أول) لمجلس الناظر في 5 مارس 1911 براتب قدره ألف جنيه في العام، وذلك بدلاً من قسطينطين قطة باشا وكان أول مصرى يلي هذا المنصب، بعد أن استأثر به الأرمن طويلاً.

4 - ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حاربه الملك فؤاد في مكتبته الرئاسية التي كانوا قد أعطوه مكانها لها في الباب الشمالي 229
لدار الكتب المصرية (مكان الطباعة الآن) فاتته فرصة إيقافه في 9 يناير سنة 1932 وبعث إليه مدير دار الكتب (السلطانية) اذ ذاك خطاباً في 11 فبراير 1931 يطلب إليه نقل مكتبةه إلى مكان آخر، لوضع المطبعة التي اشترتها دار الكتب في هذا المكان، وأن نقل المطبعة يتوقف على إخلاء مكانها المشغول بالمكتبة الركية، وجاء في الخطاب الذي كان أشبه بالانذار «إذا لم يكن من المستطاع إيجاد مكان فله من الممكن نقل خزانة كتبكم بعد جردها وعمل كشف بzeichnetياتها إلى أخرين» وقد حصلت على خطاب مطول رد به أحمد زكي على (انذار) دار الكتب بداية في العنف وعما جاء فيه قوله:

"توفرت علي بذل كل ما في وسعى لتكبيرها — أي المكتبة — وضحت في هذا السبيل النفس والنفيس، وصرفت كل ما استخرته لنفسى ولبنتى من بعدي وبعث كل ما أملك، وهو خمسون فدانًا بناحية تلال مركز طوخ قليوبية فبعد أن كانت المجموعة لا تزيد في بداية الوقوف على ألفي مجلد (منها 300 مخطوطة)، أصبحت اليوم تضم (12 ألف مجلد) منها (ألفان ومائة مخطوطة) والباقي تحت التدوين والفهرسة والفذكة، مما لا يقل عن 1500 كتاب مطبوع، 700 إلى ألف مخطوطة، وكان تأميلى تترك أثر لي في بلدي.

وقال أن أكبر جناية هي اعدام مثل هذا الكنز النفيس، وما كنت أظن أن الأم الرهوم (دار الكتب السلطانية) تعامل
ابنها الصغرى الوحيدة في القاهرة (المكتبة الركية) هذه العاملة القاسية، ولا سيما وقد استفادت الأم من جواهر تلك البنت في طبع كتاب (صبح الأعشي) فقد استمرت الأم منها النسخة الثمينة المنقولة بالقوتارفيا، وأكملت منها ما كان ناقصًا في نسختها هي.

وقال: ابني لا أرضى، لأنه جلس مالي عند غيري بلا مسوع.

وحرماني من الاستقدام من كتبى، وأنا لا أعيش بدونها مطلقا.

وتساءل: لماذا يحصل ذلك؟ الأنتى أردت خدمة بلدى فحسبت عليها كتبى؟ فترى دون أن تجيروا كتبى على وعن الناس، ذلك خارج عن حكمكم، وعن حق كل إنسان وكل هيئة.

وقال ان في مكتبه ما لا يوجد في دار الكتب، فانها ثلاث مكاسب كبرى ثمن الواحدة لا يقل عن 60 جنيها، وليس في دار الكتب واحدة ...

وغضب لأن مدير دار الكتب خاطبه باسمه بدون ذكر وظيفته: سكرتير مجلس الوزراء، أو صاحب الخزانة الركية.

وقال: عليكم أن تفهموا أنتى (أحمد زكي باشا) سواء كنت في الوظيفة أو خارجها، وأن خدمتى في المسارق والسارب لأنتى وللغتي ولآدابها وعلومها ومعرفتها لا يخفى على أحد وليس لأحد أن يخفىها، فإذا اقتصر أحد بوظيفته فانتى أقتصر بعملي الذي هو النتاج الباقى لاسي.
في مجال العمل السياسي الحر

وما أن استقال أحمد زكي من وظيفته حتى انطلق إلى مجال العمل السياسي حرًا طليقاً، وظهر بوضوح اتجاهه العربي، فقد بدأ على أثر ذلك رحلاته إلى الشام، وزيارة ليبت المقدس، وكتاباته في الأهرام، وكشف عن دعوته إلى تجديد معج الأمة العربية، وحاول أن يتصدر في مجال الزعامة العربية السياسية إلى جوار زعامته الفكرية، فوثق صلاته بزعماء العرب والإسلام في كل مكان، فما من زائر منهم جاء القاهرة إلا وكانت قبلته (دار العروبة) في الجيزة على النيل يقيم فيها احتفالاته وما أدبه، ويلقي فيها الخطبة الرنانة والقصائد، ويدعى إليها كل الوافدين على مصر من أعلام سوريا والعراق والحجاز والهند والترك والفرس.

ومن هذه الندوت بدأت دعوته إلى "الرابطة الشرقية". وكان أحمد زكي معروفاً في أوائل حياته السياسية بالدعوة إلى "مصريون قبل كل شيء" حيث دعا في عام 1908 إلى ترابط المسلمين والسياسيين في مجال الوطنية، وله في ذلك رسالة كان ألقاها محاضرة في جمعية الرابطة المسيحية ونشرتها المطبعة في 27 مارس 1908، وطبعت في كتاب، ولكننا لم نشعر عليها في دار الكتب.

ثم دعا بعد ذلك إلى "العروبة"، ودعا إلى "الرابطة".
الشرقية »، وكان مع ذلك عضوا في المحفل الباشوني، ونفي جمعيات وهيئة متعددة.
وفي الداخل - ومن أجل محاولة الملك فؤاد - كان متصلا بالوفد، وكان عدوا للدعوة الخلافة التي كان فؤاد يحتضنها، ومن أجل هذا كانت سقطت المطروحة بمبادرة الشريف حسين بالخلافة في 10 مارس 1936 ببرقيته المشهورة «أهنيء العرب والشرق برجوع قريش إلى الحياة العملية لإعادة الإسلام سيرته الأولى على يدي سيدي ومولاي الخليفة الأعظم الحسين بن علي أبده الله، ووفقه لاحياء هذا المجد العظيم».
وقد أعلن رأيه في الخلافة (14 أيار 1936) في جريدة فلسطين قال: «إن الخلافة كانت صالحة يوم كان العرب كتلة واحدة وقد انقسموا فأصبحت عدسة الجدوى لسيا وان معظم الملكاء الإسلامية تسيطر عليها دول أجنبية حرمتها من استقلالها ولا يوجد من تصح مباعته بالخلافة اليوم، وانني أعتقد بأن مندوب المؤتمر سوف لا ينادون بالملك فؤاد خليفة للمسلمين، وأنهم إذا انتخبوا كان عملهم بعيدا عن الحكمة، وقرارهم غير علمي، لأن الخلافة منذ القرن التاسع أصبحت رمزًا أكثر منه حقيقة».
2 - ولقد كان سعي «أحمد زكي» في سبيل التبريز والشهرة دافعاً إياه إلى إدعاوات سريعة عاطفية وعصبية متعددة شمالا ومستانا، ارضاً لرغباته وتطلعاته إلى الحديث عنه.
وقد شغل أحمد زكي نفسه بالعمل السياسي خلال الفترة
الأخيرة من حياته (1931 إلى 1934) ، ولو قصرها على عمله الفكري وحده لأعطاه ذلك فوق ما يطلب من الشهرة والتكريز . ولكنه كان طموحا متطلعا إلى الزعامة ، وقد تحقق له ذلك على نحو بلغ به القمة ، عندما أسفر بين الإمام يحيى والمملكة عبد العزيز في خلافهما عام 1926 ، فقد نجحت الوساطة وكان ذلك نصرًا كبيرا ، وقد أتيح له خلال هذه الزيارة أن يلبس المقال والمسلح وتؤخذ له صورة فوتوغرافية على هذا النحو ، ويخلق عليه لقب "شيخ العرب" فتسكن بها حتى آخر حياته ، وأصبح اسم "شيخ العروبة" مرادفا لاسمه ، وتصادره ربه المقالات التي كتبها ، فتشارك الأهرام تحت عنوان مقاله "بقلم Sheikh العروبة " بعد أن كانت تنشر "بقلم العلامة " ويوفر هو مقالاته (عن دار العروبة ) بعد أن كان يوقعها (عن جزيرة النسطور ) وكانت قضية فلسطين أيضاً مجالاً ضخماً للتبريز ، فقد شغل نفسه بها شغلاً جماً ، وأتيح له أيضاً عن طريق "الرابطة الشرقية " أن ينتدب لتحقيق تنازع العرب واليهود على حائط المبكى وهو ما أطلق عليه يوماً منذ (قضية العراق ) فجأء واجبه وبحث المسألة بحثاً تاريخيا ، وكتب تحقيقًا شاملًا باللغة الفرنسية ، به بأعضاء اللجنة التي أرسلتها عصبة الأمم للتحقيق : 

وتمد قضية اليمن وقضية فلسطين أبرز أعماله في مجال العمل السياسي العربي .

٢٣٤
3ـ الرابطة الشرقية:

وما أن خلفت أحمد زكي أعباء الوزارة حتى بدأ عمله في سبيل الدعوة إلى الرابطة الشرقية العربية، فأعلن في حفل خاص في دار ميرزا مهدي مشكي (في 26/11/21) في أري في حفلنا هـ هذا العربي والفارسي، والتركي والهندى والأندونسي، وأستمع إلى البحوث المختلفة من مصرية وسورية ومغربية من أبناء العربية إلى جانب الفارسية والتركية والهندية، تتجاوز أصداها بالتحنان إلى جمع الشمل، والكل يعيش في جنبات هذا الوطن، وتحت سماه هذه العاصمة الفاتنة، ولا تربطكم آصالة التعارف، مع أن الجميع من صفوه أبناء الشرق، وحملة ألوية تفسحه.

لم لا تؤسس رابطة شرقية تجمع بيننا أولاً؟ ثم هي غدا تصبح جامعة بين أمنا الشقيقات، إذ لا نزاع أن الشرق سيظل شرقاً بئسما وبركته وصهوره.

اتى أرى أنه من الغير ل مصر أن تكون رأساً لشقيقاتها وجاراتها من بلاد الشرق وأمم العروبة من أن تكون ذنباً لبلاد الغرب وأمته.

وما ان بدأ العمل لتكوين «الرابطة الشرقية» حتى كان أحمد زكي على حد تعبير الشيخ النقياني روح الرابطة وقد تم تأسيسها بدأه في 17/1/32/19 من أجل هذا انتقل للوساطة بين اليمن والبحار وتصدر قضية العراق، وهما قيمة مجد في ميدان العروبة.

245
وقد كان زكي باشا مؤمناً بارتباط الأمم الثلاثة: الفرس والترك والعرب، وقد دعا الى توثيق الاتصال التام.

يقول: أنا أرى أن الثقافة التركية قد دخلت في طور جريء جديد، وأنا أرى الفارسون يتحفون، بل قد تواكبوا بالعمل لاسترداد مجدهم الشميم القديم.

أما أبناء العرب فهم عاملون على تطبيق أوصال الأغلال التي قديهم بها الاستعمار في كل الجهات إلا جهة واحدة...

وأنا أرى أنه لا مدرحة من فوز العرب بالرماز إذا نبذوا الشقاق وعادوا الى الوحدة والاتحاد.

وعقيدة أن كل آمة من الأمم الثلاث ينبغي لها أن تصل لنفسها ولحاسابها الخاص، دون أن تربطها آمة أخرى، أو أن تشل حركتها، أو أن تتشبث بها فتعوقها وتهومن نفسها عن السير الى الأمام.

وهكذا تتجاذب الرابطة الشرقية الى ما فيه الفعل المؤكد، لأفرادها ومجموعاتها. ولهذا التجاذب الذي لا مناص منه يتألف في الشرق الأدنى كتلة جميرة يمكنها أن تقف في وجه الاستعمار الأوربي، بحيث يرى من مصلحتها الحيوية أن يعامل الشرق معاملة النظير، وهذه الثوابة تعد الثقافة الثلاثة (العربية - الفارسية - التركية) إلى ما كان لها من رجحان وتجدد لتلك الطبقة الراقية من أكابر الرجال المارفين بالثلاث لفات (1).

(1) الأهرام - 1925/5/20 1976

236
وفي نفس الوقت كان زكي باشا ينادي العرب إلى اليقظة

والوحدة:

« إن العرب قد صدمتهم الحوادث في هذا العهد الأخير صدمة
شديدة تبهوا لها، وتفزعوا من هولها، صدمة لا يضارعها
فما لمعلس فل.pair فلطلعت، ولعلنا يا معاهير العرب ثابر في
هذه النهضة الحديثة حتى نسرد قليلاً ما كان لأسلامتنا من
السيطرة والرجحان، ونستعيد مقامنا المحمود في مجموعة الأمم
والشعوب، فليسنا ورب الكعبة أدنى كبا من الشعوب، ولا أقل
في المواهب من ذراً عمان الذين تدلوا مثناً الى الحضيض،
ولكنهم يفضل ضرائب الزمان قد استفقوها، ثم تفضوا غبار الجهل
والعبادية...»

هذا العجز الذي أخذ على نفسه تبنيه العرب إلى مفاخرهم
وتذكيرهم بما كان لأجدادهم، مما يزيد في أحداث هذا الأثر
الحبي، وما يقرب الأولان لاجتياح شرارة الشهية.

ولا يقف زكي باشا عند قراءة الشرقين والعرب،
بل يحترف بالباحثين والمستشرقين الأجانب، ويدعو للتعارف بهم
أعلام مصر والعرب، ويجعل له أن يجمع من
المستشرقين: مرجيلوث وسكورث، يهود ولتمان ونيلو، وجوردي...
ودعا معهم شفيق باشا، ورشيد رضا، وعبد الرحمن شهيندر،
أحمد شوقي ومطران ومرزا رفيق، حافظ رمضان، والتحتاني,
والزنجاني، وفريد رفيعي، وسيد كامل، وسيم العمروسي،
وتوفيق اسكاروس، ومجوب ثابت، وأبراهيم جلال، وداود
بركات، وهدى شعراوي، ومي زيادة، وسوزا نراقاوي، واحسان
أحمد، وألقى فيهم خطاباً ضافكاً صور فيه هدفه من هذّم
الاجتماعات المشتركة بين أعلام الشرق والغرب قال:
أتمنى تعلمنا أن نأثمن كل فرصة سانحة للاكتون واسطة
للتعارف بين آخبار الأفرنج وأفاضل العرب، ولي في ذلك مطمأ
عبيد المدى، هو أن يكون هذا التفاهم سبباً في خلق جو جديد
من الصفاء والوفاء بين الشرق والغرب.
هذه الغيوم التي تنسوب من تواجها، لا بد لها من الاقتراح,
وثلك الازهارات التي نعلماها من سياسة البطش والاستعمار,
لا مناصير لها من التبدد والزوال.
أما الامتيازات الأجنبية التي تجعل أكبر عزى في بلادنا هباتا
في عقر داره، ومهموم الحق بإزاء الأفلاق الطارية عليه، فقد
انقضى زمانها، هذه الامتيازات هي العقبة الكبرى في سبيل
التفاهم بيننا وبين أوروبا لأنها أكبر مسبة لكرامتنا القومية وماضينا
المجيد.
ولا دواء لهذه الاعتداء الفاشية إلا عن طريق أهل الرأي
المجردين عن الهوى، وهم أفضيل الأفرنج ذو الأخلاق الظاهره،
والشماري العزة، أولئك الذين لا تميزهم مصالحهم الشخصية.
هؤلاء المستشروحون والمستعرون هم القادرون على بث الدعوة بين قومهم ليحلوهم أخيرا وبعد تمادي الزمان على الاعتراف بأن العرب جديرون بأن يبزوأوا مركزهم تحت الشمس، لأنهم على الأقل مساوون بعض الأمم العائشة في النصف الشرقي من أوربا.

مفوض عليه أن تضافروا في تحقيق الأماني الكبيرة التي يطلع إليها أبناء الشرق على العروء، ويعن إليها العرب بنوع خاص.

مفوض عليه أن تضافروا لتحقيق هذه الغاية بقلوب يسرها الأ Emmanuel حقوق الإنسان على الإنسان.

مفوض عليه أن تكونوا هنا وفي ما وراء البحار على ثياب الروأ العام لإدراك هذه الحقيقة التي نصحناه في أيام الحرب، والتي سيحتاجون إليها بلا شك كلما تجدد الخطاب وتشدد الكرب.

مفوض عليه أن تواصلوا بالفعل والعمل إلى المجاهدة في ديار أوربا وأمريكا حتى يعرف أهلها بأن العرب جديرون بالإرادة والاحترام، جديرون بالحسرة الصحيحة، جديرون بالاستقلال التام.

ول كله يوم موقف ومقابلة عنداد ليوث العرب ويعكمهم هوا

239
5 - دار العروبة:

وأضافت دار العروبة قبلة لعلماء العرب والإسلام من كل مكان "ترى في داره البدوى والحضرى، والهندى والصينى، والترکستاني والتکروى، يأتون إليه من كل فج يستطعون أحوال المسلمين خاصة".

يقول الدكتور أحمد عيسى، وهو من شهد هذه الندوة "صادفت في بيت يوما من الأيام جماعة من الأعراب من جوف الصحراء الكبرى، الذين ينقلون التجارة على ظهور الأبل بالقوافل ما بين مصر وواحة الأجرار وشئنيق حتى يبلغوا بلاد السنغال. وسمعت من هؤلاء أن اسم أحمد زكي يعرفه جيدا أهل الصحراء، وسكان الواحات المشتركة فيها، ولا ينسون دفاعهم عنهم في كل ما تسنى له الفرصة، وكيف دافع عنهم عندما كتب السائح الإفريقي مزاعمهم عنهم.

وقال الدكتور أحمد عيسى عن بيت زكي باشا أنه منتدى، في كل ليلة يجتمع حفلاً عظياً من الزائرين، من العلماء والمستفيدين الذين يستنشدونه في المسائل العلمية، وانه كان يمد سمعه العربي الجامع المضرع به المثل، وما سمعت يوماً أنه تناول غذاءه أو عشاءه إلا إذا كان مريضاً في فراشة وولائه يصل فيها المدعوون غالباً فوق المائة.

وقد شغل أحمد زكي نفسه في خلال هذه المرحلة من حياته بقضايا الأمة العربية، وكتب كثيراً عنها، وعندما جرى الحدث عن جزائر البحرين، وهل هي تابعة لآبجان أو لبريطانيا، غضب
وثار وكتب يقول: (1) غريب. غريب أن يحتد الجدل، وأن يحتدم الخصام بين لندن وطهران: على .. على شيء هو عربي صغير.

ما بال هؤلاء الأفاضل في الشرق، وأوائل الأمثال فيما وراء البحر يختلفان في أمر ليس فيه لأحدهما قليل، ولا لآخر قطير؟ إنهم يختصمون على حطام من الوقايا التي تركها لنا جدنا الأكبر «يعرف»; هذه مجموعة من الجزائر واقعة على الضفة الغربية للخليج الفارسي، وداخلة في أحضا الأراضي العربية المحضة، هي إذن عربية في موقعها، واصالتها، عربية بجلالها في الماضي والحاالي، ومع ذلك تتعاطى (2) لندن بسبها مع طهران، وهي لا فارسية ولا إنجليزية، بل عوان بينهما.

إنا لا يسوع لنا في مصر أن ننسى اتخواتنا البحراني، وهم ...

ويهاجم فرنسا في مواقعها مع سوريا:

(3) يا فرنسا يا فرنسا: هل تعلمين بما يقتربه أذنابك في بلاد الشام؟

بعينى رأيت، أذنى سمعت، بقلبي حمست، أما الحرية فهي محظورة على الناس، أما المساواة فحديث

(1) الاهرام - 22/2/1929
(2) تتعاطى: يعني تختلف أو تتعارك.
(3) الشوري - 29/10/1925
خراقة، وبقى الإخاء كلمة جوفاء، لا معنى لها الا التفريق، ويدر سموم الأحقاد.
ويكتب مرة أخرى فيقول (١): بين فرنسا وإنجلترا تنافس في السلب والنهب، ويشور من أجل ما يلقي أهل السوداء فيصرخ: يا ساكني السودان وأتم في السودان قلبي (٢).

(١) الشوري 18/2/1936
(٢) الشوري - ١/٤/١٩٣٧
رحلة 알ين

سافر زكي باشا إلى اليمن مع صديقه نبيه العظمة عام 1936
من أجل التوسط في الخلاف بين الإمام يحيى وابن سعود
فقصد إلى اليمن أولاً. ثم قصد إلى الحجاز واستطاع أن يأخذ
موثقًا على الإمام يحيى إلا بدأ ابن سعود بشر.
وفي مكة أخذ موثقًا مماثلًا من ابن سعود.
وقد صور رحلته في أكثر من مقال وبحث وجريدة، وأثار
ضجة كبيرة برسائله وبرقياته ومقالاته: يقول:
"تآهت (1) للسفر إلى اليمن، منذنا قسي من قبل قسي,
لا عن هيئة ولا عن جماعة، ولا عن حكومة، وقد بدأت بلاد
اليمن قبل الحجاز، ليقيني بأن الترضية واجبة كل الوجوب
لأهل اليمن من ( الزيد ) (2) على الوهامين، وذلك بسبب
ما نزل بوقفة الحجاج اليمنيين من قبل التجنين لهم، قصدًا
أو غير قصد.

ولكي أحتفظ أنا وصديقي بكرامتتنا الشخصية وكرامة
بلادنا، أخذنا معنا هدايا وفيرة لجلالة الإمام يحيى ولكل أعيانه،

(1) الهلال أول يوليو 1939
(2) نسبة إلى الأئمة الزيدية.
لأننا تأكدنا أنه ليس في صناعة فندق ولا خان ولا وكالة، وهم يسمونها "مسيرة" مما يكن لغريب أن ينزل فيه، ووجدنا أنه لا بد من النزول على ساحة الإمام، فأردنا بهذه البداية أن تكون خفيفة النظ، وأن يكون لنا مجال واسع في أن نقول للإمام كل ما تلبه علينا العروبة ..اً."

وقد أسرع أحمد زكي بتوجيه خطاب لإصلاح ذات البين بين الملكين بمجرد ركوبه الباخرة نشرته الصحافة.

إلى الأعراب، في المشارق والمغارب."

عن ظهر الباخرة جنوب 21 يوليو 1937، في هذه الساعة تقترب البحر الأحمر الذي كان مصدر المجاعة لأمّتنا، ومنبع السعادة لأجدادنا، حينما كانت الكلمة متحدة والغابة واحدة، كذلك البحر الذي أصبح اليوم وليس لنا فوته راية، ولا في مصيره رأى، منذ تخاذل العرب، واتقمنا على أنفسهم، في هذه الساعة العصيبة تستقبل أرض اليمن، معتمدين على الله دون سواء، ومدفوعين باطالة العربية وجدها، لاندثر قومنا بالخطر الداهم، فدلنا بتوفيق الله وحسن نيتنا الخالصة لوجه الله دون سواء، لتمكن من حسم أسباب النزاع بين القطيعين الشقيقين.

أن روح العروبة تناجينا عند دخولنا في بحر العرب."

يقول الدكتور أحمد عيسى، أنه في أثناء مقامه بصنعاء أخذ له رسم فوتوغرافي وهو في ملبس شيوخ الأعراب، فأراه لسيف الإسلام على نجل الإمام يحيى وقال له من هذا؟ فقال سيف الإسلام: هذا الشيخ العرب، فقال زكي باشا: بل شيخ العرب.
العمج، والترك والدم، وجاء وهو متسك بلقب شيخ العروبة...

ويقول أحمد زكي: لقد كانت لي في كل مكان نزلت فيه كرامة خاصة، لأنني من الأشراف فأنا كما تعرف (حسيني) وقد ساعدني هذا الشرف على دخول المساجد، والتنقيب في الأثار، حتى ولو كانت في محراب الجامع (1).

(1) الهلال - مارس 1947.
قضية فلسطين

كانت فلسطين أبرز القضايا السياسية التي عانها زكي باشا يقبله واحساسه وعواطفه. ربما كان للصلات والروابط الروحية بالمسجد الأقصى أثرها في نفسه وربما كان من أجل قربته، فهو من بيت النجار من عكا، وكان يخني ذلك ولا يقوله لأقرب الناس إليه.

وقد جعل من فلسطين شغله الشاغل، وشارك في العمل فيها، وكان أول أسفاره بعد اعتزاله خدمة الحكومة إلى بيت المقدس حيث أمضى بها شهورا. ثم عاودها في زياراته المتصلة للشام، وكانت له صلات وثيقة بزعمائها.

وقد كشف عن عاطفته نحوها في عديد من كتباته المبكرة، مثلا، فلسطين عندي إلا فرع ذكي من تلك الدوحة الشقيقة الشام وما الشام في نظرى سوى تلك البقعة المباركة الممتدة من جبال الألالياء (طوروس) شمالا إلى شجرتي البحر جنوبا، ومن ضفاف الفرات إلى شطوط البحر الأبيض المتوسط. أما ما فعلته أحداث السياسة المصرية من تقطيع أوصالها.

(1) ذكر خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام في ترجمة لأحمد زكي قوله: سألته عن أصله فقال عربى من بيت النجار من عكا، وما كان يريد أن يذكر هذا عنه وهو حي.

442
تشريح جثمانها وتقسيم كيانها إلى دولات ودولات كثيرة العدد، قليلة المعنى، فذلك أمره إلى الزوال قريب، لأنه مناقض للطبيعة.

لقد مرق الغرب أوصال هذه الأمة المجيدة التاريخ، النقية الصفحة، ثم تغلغل في صميمها، وضد عليها طرقها، فأصبح أفرادها في جميع الباقع، وهم مستعدين في بلادهم. غير أن الهرة العنيفة التي صدمها بها أهل أوروبا قد وصلت إلى منتهاها ونحن نحمد الله عليها فإنها أعادت لنا الشعور بما ثوارناه عن أجدادنا من التضامن لدفاع عادية الغرب (1). وبهذا واسحل كتاباته لغوث والمادية، وفي سنة 1929 كتب مقاله:

التاريخ:

اسمع يا مصر أسمعى، فالمسجد الأقصى يستغيث (2).

وفي عام 1930 قام بعمله الكبير في هذا المجال، حيث اتتدته الرابطة الشرقية — التي هو مؤسسها — لتحقيق مسألة العراق، والدفاع عنه أمام اللجنة التي اتتدتها (عصبة الأمم) للتحقيق، والثبت من حقوق المسلمين في جدار المكي، وهو أحد جدران المسجد الأقصى.

وكان من نصيبه القسم التاريخي من الدفاع، يقول الأستاذ:

التفتاذي:

(1) جريدة الشوري: 22 أكتوبر 1924
(2) الأهرام: 17/11/1929

247
«كانت أظنه ميقرد دفاعه على ما تضمه الوثائق التي يستند إليها المسلمون في آثار حق للازغ فيه، ولكنه أخرج للناس سفوا ضخما في لغة فرنسية بلغة، حيث رجع بكل فصل من فصول بحثه إلى أمهات كتب التاريخ الأوروبية.
وكان يقضى أكثر ساعات الليل والنهار في المكتبة، ثم يدفع بما يكتب إليه من ندبه لتحرير مذكراته على الآلة الكاتبة، ثم هو يواصل الكتابة بهذه الطريقة دون أن يرجع إلى ما انتهى إليه من قبل.

ولم يحدث مطلقا أنه فقد ارتباط العبارات، وتوازن الكلمات، بل يقول لكاتبه: اشغله ولا تعب نفسك بالراجع.
فلكل حرف تخطيه يمينى هو مصور بارز في ذاكرتي.
وقد أصابه ضغط الدم في أدق ساعات اشتغاله بإعداد دفاعه، وارتفع إلى درجة كبيرة، فألزموه بالانقطاع حتى عن رد النحية.
وقينا حول سريره إلى ما بعد منتصف الليل حتى هجع واستغرق في النوم، ونهض قبل الشمس ودوي صوته القوي، وهو يضرب بيده أبواب غرفنا قابلا:
«ألا أيا النوم ويجهم هؤلاء،
انه يوقظنا نحن الذين سهرا علينا، أيقظنا لتشتغل معه،
أو على الأقل ليقوم أحدنا مقام الكاتب حتى يحضر».
فلما حدثناه عن ضغط الدم ضحك وأغرق في الضحك وقال:

248
ان ضغط الدم يرفع عندي إذا تأثرت من أعمال فؤادى.
ثم وهو ينخفض إذا خففت وطأة التأثر، وزال الانتفاض.
وقد تأثرت حين وصلت في دفاعي إلى نقطة تسامح المسلمين
ابن قوهم وازدهار أيامهم، واعتدادهم بعظمتهم، بيتا هم الآن
تجسد حقوقهم، ويتلون لأنهم ضعاف متغاضلون.

ثم مثل أحمد زكي أمام اللجنة، وألقى بعده الطويل الدقيق
باللغة الفرنسية وبطريرقه الخطابية البارعة، واستهل بهذه
العبارات التي تكشف عن إيمانه بالعربية وحق فلسطين في
البقاء:

باسم الحق الذي يشدد أهل العدل المنهجيين عن الأفاضل
أبداً، أحبى هذه اللجنة بتحية الإسلام فأقول لها: سلام سلام،
وأمام هذه اللجنة التي نرجو أن تكون من بواعث إيجاد السلام
في هذه المدينة "مدينة القدس" مدينة السلام، أبدأ قبل كل
شيء، وأخرج بعد كل شيء يأتي باسم المسلمين الذين تفضلوا
وشرفوني بالنيابة عنهم، من ضفاف المحيط الهادئ إلى شطوط
المحيط الأطلسي، ومن أقصى الشمال إلى نهاية الممور في
الجنوب، وحينئذ قبى الشرف الذي ليس بعده شرف أن أتكلم
باسم الأربيعفنة مليون مسلم، المتشرين في كل بقاع الأرض،
فباسم هذه الكثرة الكبيرة المتضامنة على الاحتفاظ بحقوقها
الأبدية الثانية، ويمثلاتها المقدسة، أتقدم إلى اللجنة بتصريح

249
ابتدائي أساسي هو أنني مع الزملاء أقول قبل كل شيء وبعد كل شيء ووفقاً لكل شيء:

إن الأمة الفلسطينية أعلنت رسمياً عدم اعترافها بالانتداب البريطاني، وهي لذلك لا تريد أن تنفيذ بأي نظام مستمر من ذلك الانتداب أو الاقتراب بأي نتيجة ترجع إلى ما يسمى بوطن قومي يهودي.

ويقرر المسلمين أن النزاع على ملكية أماكن العبادة، أو على حقوق مدعى بها على هذه الأماكن، يجب أن يرجع إلى الهيئة المختصة دون غيرها في الفصل في أمر الوقت والأماكن المقدسة، وما عداها فهو غير مختص أصلاً، لعدم وجود حق له في ولاية الحكم على هذه الأماكن.

ومع التمسك بهذين التحفظين أشرف بعض ما يلي على مساندتهما:

وبعض زكي باشا يدلي بقرره التاريخي العلمي الرصين.

وقد أمضى في فلسطين شهرين ونصف الشهر، ومن يومها توالت صيحات أحمد زكي، فهو يخطب في صيدا في نساء العرب فيقول لهن: علمين أطفالكم احتمال المكاره والمتشاق والرمية ليكونوا أبطالاً.

ويعود إلى القاهرة فيواصل اتصالاته بزعماء العرب والإسلام، مدافعاً عن فلسطين. ويعقد احدي ندوته الضخمة.

٢٥٠
في دار العروبة، ويعبرها أعلام من كل دين وطائفة وجنس وشعب على حد تعبير الأهرام (28/9/1930) ويخطب فيهم. ثم يواصل مماركه فإذا جاء عيد الفطر كتب يقول "عيد وأي عيد، بل حزن متجدد ومستدوم، ويلي عليك يا فلسطين" ثم يواصل نوحاته في صحف مصر وسوريا وفلسطين ولبنان والحجاز في كل مناسبة.
مع المستشرقين

تطلع أحمد زكي منذ شبابه البارز إلى التعرف بالمستشرقين، وأخذ من أساليبهم ووثق اتصاله بهم دوما. فكانوا على صلة دائمة به، وكان يطلعهم على كشفهم التوافقة في مجال المخطوطات والتحقيق العلمي.

ولكنه كان معهم تمهيدا وندا في آن، فهو يقدر بعضهم ويدرهم بالخير، ويبعدهم عن المنصين من أمثال كرآبسك ومولر وجولد زير وكوينزفلد...

ولكنه لا يجالهم في الرأي بل يقف منهم موقف الصراحة، ولقد أفاد منهم زكي باشا نقطة البدء، فأشعلوا فيه جذوة الفهرة على التراث، وأمجدوا فيه دفع البحث والتحقيق العلمي، فكان يرد دائما كلمة مشهورة: هل ننتظر حتى يدخلنا المستشرقون على تاريخنا؟ هل ننتظر حتى يطبعوا كل تراثنا ويعقوه..؟

هكذا كان يضعهم أمام نظره، ويحاول أن يبقهم فيحصل على ما حققوه ثم يحقق هو جانب آخر يطلبهم عليه في ازدهاء، وكذلك كان يفعل في مؤتمراتهم وهو لا يتوقف عن حث المسلمين والعرب على العمل من أجل ذلك التراث، وإعادة هذه الذكرى التي نبته.

يقول: «نحن إذا نظروا إلى أهل الشرق والغرب..»
المشرقيين، نراه جميعا يهتفون على الوقوف على كل ما له ارتباط بالحضارة الإسلامية، ولا شك عندي في أن الحظ الأوفر في هذه النهضة المباركة ينبغي أن يكون لمصر أن تكن هي القائدة لحركتها، المديرة لمشوارها، وذلك نظرًا لمزخرفها العلمي ونها كن لها من الأيدي البيضاء على العلوم والآداب.

ولا غرو أن المشرقيين الذين تفخر بهم المدارس الجامعة في بريطانيا وسائر أوروبا وأمريكا لا يألون جهدا في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهادهم العرب، وبحثوا فيها عن شتى الخواطر والأوهام.

هؤلاء المستشرقون لا يزالون يذهبون على العمل في التحصيل والدرس، والبراعة في التنقيب والبحث، وبذلك يتسر لهم أن ينشروا طائفة كبيرة من أهمات الكتب العربية الفنية، وقد ترجموها في بعض الأحيان إلى لغاتهم، وأن يتخذوها موضوعا لباحثتهم. كما يشاركهم قومهم في الاستفادة منها، وهم في هذا المسعى يثورون فينا روح الأمل باسترجاع كنوز آدابنا الشرقية رويدا رويدا.

ومن المؤكد أن هذا الأمل لايدأ أن يدخل في حيز الامكان، ويتحقق في عالم الوجود، إذا ما أبدته مصر بالقسط الواجب عليها من المساعدة على احياء العلوم والآداب العربية.

وهكذا يربط أحمد زكي صيته بالمستشارين بالعمل الكبير الذي يتطلع إليه، والذي عاش له: البحث عن المخطوطات النادرة.
واعدتها الي مصر ، والتحقيق التاريخي والجغرافى واللغوى لكل
ما تحتويه هذه النخائى .. وأذاعتها .

ولطالما أنى أحمد زكي بكل مستشرق يرد القاهرة أو الشرق،
قيدعوه ويعتطل به ، فذا تجمع عدد منهم في مناسبة من المناسبات
خبيبة ودعامة إلى أن يحولوا لبلادهم صورة منصفة ، وأن
يقعنوا قومهم بعظمة مصر والعرب ، وحقها الكامل في الحياة
الحرة ..

ولا يمنع هذا من أن يهاجم المستشرقين الذين يحررون
تاريخنا، غالما دائما على كشف حقيقة موقع العرب وفضلهم
على الحضارة ، وأسبقيتهم في ميادين كثيرة ..

وهو ليس من الطبقة التي جاءت بعده من الباحثين الذين
تابعوا المستشرقين مستسلمين في كل آرائهم دون تحقيقها ، وفيها
الخاطئ، والمتصبب ، فذا جاء ببحث وحاول أن يغض من عمله
أو يصفه بأنه متعصب للعرب ، دافع عن حقه وانبرى يقول :

" هل يراد بنا أن نسكن عن مفاخر أجدادنا وترك الميدان
لغربي مثل العلماء ميدو ، الذي أثبت اكتشاف « أبو الوفا
البوزنافي » فيما يتعلق بإختلافات القمر؟ وثبت أن العلماء
( تيغوبراهي ) الدانيمركي اثنا تقل أرقامه وحساباته بالنص
والحرف، واعترف علماء الأفريقي لذلك الفلكي الإسلامي بالسبق
الي هذا الاكتشاف البديع فضلًا عن اكتشافاته الأخرى التي
أثبتها العلماء ( دلامبر ) الفلكي الفرنسي، وقل مثلى عن جابر

254
ابن حيان، وعن ابن الهيثم وغيرهما من علماء العرب، أم يريدون أن ترك لغيرنا اظهار مفاخر أجدادنا.
قل لي بريك ماذا أفعل غدا وقد وجدت بعض علماء العرب قد سبقونا إلى التفكير في جاذبية الأرض وتكلموا عنها؟ أسألت أم أكلتم، فإن إذا سكت كان سكرتني خيانة للأمانة العلمية، وإذا تكلمت عرضت نفسى مثل هذه النهيم السخيفة.
ثم ماذا أعمل بما أرشدني إليه يحيى حديثا وهو أن الكندي الإسلامي قد اكتشف ورصد ناجا من ذوات الأذناب؟ هل تترك تحقيق هذه المسألة لأنفرنج؟ إنك عالى عليهم في بيان مفاخرنا؟ أفتق تتشننا عن أثار أجدادنا، واهتدينا إلى الأفل القليل منها أفيكون جزاًنا مثل هذه التهمة الشهيمة؟
 الحق أبلج والعلم آمنة.
من الرسائل الزكية

ان الرسائل أحمد زكي إلى أصدقائه وعازفيه من باحثين وعلماء
ومستشرقين في مختلف أنحاء الأرض، من أوروبا والعالم العربي
وآسيا وأفريقيا هي ثروة ضخمة لا شك تكشف جوانب عديدة
في تاريخنا الفكرى والسياسي والاجتماعي... 
ولكن أي من هذه الرسائل؟ لقد بحثنا عنها في المكتبة
الزكية فلم نجد إلا رسائل قليلة اكتشفنا بها في صلب هذا البحث.
والطبقة يتعلق بالكتبة أو مسائل عامة أو خلافات مرسلة منه الي
بعض المسئولين عن مكتبة الإسكندريه أو تقارير في هذا الشأن.
أما الرسائل المنطلقة من قيود الرسوميات، الادارة على
السجية، التي تختلط فيها المشاعر بالأبحاث، والمواضيع بالقضايا
السياسية فهذه لم نجد منها الا هذا الجانب القليل الذي نوردته
هنا.
ونحن نعتقد أن هناك ثروة ضخمة من هذه الرسائل في
مختلف منزل زكي باشا (دار العروبة) وقد حاولنا ذلك مع بعض
المتصلين بالأسرة، غير أننا عجزنا في الحصول على شيء منها.
وترى رسائل زكي باشا في مجموعة صورة تسمى الطلبة
الحراء، وطابعه الجريء، وزواحاته المتفققة، وذكرياته الحلوة
واعيته بالعروبة والإسلام وصداقاته العميقة...
الي رواد النادي الأدبي في حماة:
حياكم الله ويض بكم وجه العرب، وأحيي على أيديكم ما كان للآب من دولة في حلب، وجعلكم خير خلف لذلك السلف.
فلقد تلقيت كلمتك الشائقة فكانت بلسانا لفؤادي العلي.
وتجلى له في خليالها ومن ورائها أفق بعيد المدى ميمون الطالع.
لذلك كان من حقكم عندي، وكان من واجب لكم أن أبادر بأعمالكم على انجاز مشروعكم، لأنه فرض عليكم، وأعني به إحياء ذلك العصر الذهبي، عصر مسقط الدولة والمنتب.
رجعت إلى قباطري وأبايري، إلى دفنتري وطلامير،
فوجدت فيها كتابا شرعت في جمعه وتأليفه وتمييزه منذ زمن طوال، لا تقل عن العشرين من السنين، ودانت فيه كل ما وقعت إليه، واحتقت إليه من الشوارد التاريخية والفرائد الأدبية.
ليكون في زعيم كتبت (الإغاني) منذ عهد أبي الفرج الأصباني إلى أيامنا هذه، واستدركت فيه مالم يذكره أبو الفرج عن نفسه وعما حدث في نفس عصره.
وأشرت فيه بشيء من التفصيل إلى ما كان من عناية العرب وغير العرب بكتابه الحاصل.

257

6 - 17 أعلام العرب
رأيت في مذكراتي مجلساً من مجالس (جعداء) تلك الأدبية الكاملة والغنية البارعة، وهي التي تزاحم على اقتتالها والاستثمار بها رجلان من أكبر رجالات التاريخ، ومن أعظم زعماء الأمية العربية، هما الوزير المهلي في بغداد وسيف الدولة في حلب، فكان الفوز من نصيب ابن حمدان.

فأنا أعلمكم بإعدادي لكتابة هذا الفصل لإدماجه في روايتكم (إذا شئتتم) أو لموافئكم بتفاصيله لتتصروا فيه.

أما إذا أردتم بيانات أخرى عن الحركة العلمية والأدبية والسياسية، وعمى جرى من الأحداث الخطيرة في العلاقات الدولية مع امبراطورية الروم فأنا رهن الإشارة.

جزية القسططاء 4 نوفمبر 1924

2

سيدى رئيس النادي الأدبي (حماة)
يا حسرتاه على الشرق وأشباله
أفنكما تحول نظري إلى مصر من أمصاره، ارتدى طرف وهو حصير وعاد قلبي الكسير بسهم جديد يتكسر على ما سبقه من النضال.

أم هل آنذاك حديث حماد، التي كانت محامية في عهد الغطايف من بني يعرب أولئك الذين جعلوها ميقاتاً لحضارة الإسلام ومنبعا

258
لعلوم العرب، ووعاء للكتب في كل فن مطلب، فيها هي أيضا قد تناولها ما اعتى اخواتها الكثيرات، فأقترعت معهن أو بعدهن من تلك الكنوز التي كانت تفضح على المارك والمغرب بنشأت الصدر وثمرات المعارف.

والآفاين، أين تلك الخزانات العاملة التي كانت مفخرة المفاخر في حماة، وبهجة لحماة حماة والتي كانت تتعر بتبلاوتها الأقواف وترن بذكرها الرواة.

بل أين تلك الخزانات الثمينة التي توفر على جميعها السلطان أبو الفدا، فخلد اسمه الكرم لا عن طريق النسب الحربي والسلطان العظيم بل بتصانيه البارعة في التاريخ والجغرافيا، والملك والرياضيات، ولقد اتفتح بها الأفرنج قبل أن يصل اليها بعضها عنهم.

فهذا كتابه في الجغرافيا قد طبعه في باريس، ثم ترجموه وشرحوه بلغة الفرنسية وعن طريقهم — دون سواهم — تناهت النيا هذه التحفة الغالية من تراث أجدادنا الأكرمين.

ليت شعرى أكل هذا ذهب أيضا مع أمم الدابر وأصبحنا نبكيه كما نحن تندب جدنا العائر، بما تلتهاه بين كل عشية وضحاها من غوائل أوريا في كنوزنا ومراقبنا ثم قلوبنا ورقنا، ولكن.. ما أضيق العيش لولا فضحة الأم، وما أجمل الأمل إذا كان مقرنا بشيء من العمل.. فلن كان قومي في حماة قد تسربت من مدينتهم تلك الكنوز الباهة بما انسبت عليهم من عادية الزمان و بغى الأغراض، فان

٢٥٩
أكبر ظنى أن هاتين القلوب الخفافة بين جنوبهم قد تحدر إليها أثر من تلك الشهامة التي سجلها التاريخ لأجدادهم ولا أقول لآبائهم.
فساقيا ورعايا لاهل هذا النادي، ولهؤم... وللهؤم يتضامرون على تجديد ما كان لمدينتهم من مقام كريم وصيت مجيد.

---

عن جيزة القططان 13 نوفمبر 1964
من جيزة القططان إلى حماة الشام
في يوم الثلاثاء 19 جمادى الأولى سنة 1343 (16 ديسمبر 1963)

سيد المفضل رئيس النادي الإدبي
سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته
وكيف لا أشكوكم إلى أنفسكم وآتي أنتم فيكم بقية من الانتصار الذي جعل لأجدادنا خير أحدثها تفاخر بها من فاخرنا،
وان كانت همتنا قد قعدت بما حتى صرنا الي ما صرنا، وكيف لا أشكوكم إلى أنفسكم وآتي أعتقد أن في ثلاثا قلوبكم قد ازوت عاطفة العدل التي كانت شعار أجدادكم، ولا سيما ابن بكران الحموى الذي تولى قضاء القضاة في بغداد ودرج رحمه الله فيها أور بدمشق الفيحة سنة 488 هـ (1095 م) فقد كان معروفًا عند الخاص والعام بأنه (لا يخشى في الله لومة لائم).
ان كنت أتمنى نسيمهم وان كنت تزعمون أن قضاءه لا يسري

۲۶۰
على مصري ، لخروجي من دائرة اختصاصه (أو صلاحيته على
اصطلاح أهل الشام ) فانتي لست أبني أن حماة كانت داخلة في
حومة مصر على عهد ابن طولون وصلاح الدين وقائصة الغورى
ثم على أيام محمد علي .
وما دامت مصر كانت هي الأمم فانتي أذكر لكم قدرة حسنة
عن قاضيها الأكبر أعني ( خير بن نعيم الحضرمي ) وهو قد حكم
بنفسه على نفسه لمصلحة خصمه تدما إلية في سنة 1076 هـ
( 768 م ) بمدينة الفسطاط...
ولعل ناديكم الكريم يفتح هذا السبيل بانصاف من أنفسكم
في دعواتي ، قد كنت أشكر حفي الزمان على العرب ، وأشكر
من جور الأعراب على العرب وعلى آثار العرب ،
ومن جملة ذلك خزانة « أبي الفداء ». 
وإذا بجواكم وافاني اليوم على لسان رئيسكم سيدي
الدكتور توفيق بك قد أصاب مقتلا أخيرا .
أقولكم عليا يزيد طبيبكم جراح ، فقد ظن أنه يواسيكم
ويخفف لوعتى حينما تفضل فأخبرني بأن كتابي الأول قد حرك
الكمان من عزيماتكم فأجتمعتم أمركم على .. « إصلاح مرقد الملك
الكبير أبي الفداء ». 
يا الله
هل عدت العوادى أيضا على هذا الحرم المقدس ، حرم العلم
والفضل ، حرم المجادة والنبل ، حرم الحجى والنهي والعقل ..
أم بلغ الأهمال في حماه متهما .

261
ذلك مالم يكن لي علي بالله ..
وأوجه الكلام إلى ملوك العرب وسادات القبائل ورؤساء العشائر وأرباب البيوتات والي كل ناطق بالضاد ليضعوا أيديهم الكريمة في يد النادي الأدبي اقامة ضريح لأبي الفداء يكون جديرا بذلك السلطان، بل بذلك الإنسان الذي هو "رجل ولا كالرجال".
راجيا أن تبتلا مبلغًا زهيدًا ضئيلا من المال علي هذه النية المباركه وهذا وحقهم جهد المقل وكل ما في الاستطاعة..
31 ديسمبر 1924

عن جيزة النفط
سيد المفضل ..
لقد كان الواجب أن أبدأ جوابي اليكم بالسلام عليكم، وها أنا قد قمت بهذه الفريضة التي يرتاح لها الفوائد وتجيش بها عاطفة التضامن بين القطران الشقيقين مصر والشام.
على أنني أراني مضطرا إلى مزاولة هذا السلام بشيء من العتاب والتابع بعض الملام.
فلا تجعلين يا ابن عمى، إذا كنت أكذبك، أنت ونصبتكم الأخيار بما خالط قلبي من الاحتياج إلى الاحتياج، حينما تناولت في هذا اليوم دعوتكم الكريم إلى الاشتراك في تكريم الشيخ (ليس شيخو) أمعنا الله بحياته.
262
انكم ضررا للهلهفة موعدا قصير للمدى جدا، لا يريد
على أسبوعين من أسعد الحظ بالقيام في بيوت، ورضرا بعر
الحائز بمواعد المسافة التي قررها قانون المراقبات (أو الارجاءات
في عرفكم) لاعلان الشهود أو بالحضور من وراء القفر والبحر
ورفضها رسوم المجملات بين المتوفرين على خدمة العلوم
والآداب.
فما هو السر
هل اتبعت الاستثناء بهذا الفخار أم بقيت بغير الحق في
الاحتكار.
والا فلماذا جعلتم فضيلة هذا التكريم وقا على أنفسكم
ومقصورة على من يولد بحومتكم دون سائر الأنصار ثم توجيتم
تصحيح مركزكم وتبرير موقفكم بما توصلتم به من شبهة براءة
الذمة (أو برو العتب في اصطلاح المصريين أو غسل اليدين كما
فعل بيلانس النبطي) تتمادتم قطع الطريق على الجيران وعلى
الإخوان بنتلك الجهة اليوپية أو - على الأصح - بنتلك
اللغوية الإندونسية.
وإذا كان رب السماء قد اختار أرض بوروندية مقوما
لهذا الشيخ (المرفق اسمه في كل حالات الأعراب والمعرف
قدره بين الأعراب وغير الأعراب) فليس معنى ذلك أنه أصبح
ملكا خاصا للسلاسلة الآلهية كانت مدينتهم أكبر مهدي لحفظ
الحقوق) واشتراك (القانون) في أيام الرومان، وهي في هذه
263
الأيام منهى عذب كثير الزحام يتوافد عليه رؤاد الأدب ويتقاير إليه طلاب العرفان.

39 يناير 1935

5

إلى السيد مكي آل أورفه لي حاكم الصلح في بغداد
سلامي اللك وثنائي عليك . وأنت الذي جددت لي آية من مظاهر التواصل بين أجدادنا الكرام أيام كان الهواء ناشرا روافقة فيما بين النيل والفرات . كانوا يتعاطفون برسائل التحية والسلام ، على جناح الحمام ، وكانوا يتعاطون أعمال الدولة وسياسة الأمة بواسطة هذا الطائر الذي هو رسول السلام والرحمة .
لذا رأيناهم وقد تعاوضوا على ألقاهم استهدفوا لهذا العرض وجرى العرف هنا وهنا على مصطلحات تناهي بعضها الينا .. مثل ( بطق ) و ( طير الخيرة ) و مثل ( سرح الطائر ) و ( سقط الطائر ) .
حتى جاءت أمم الفرنجة فترقت فيما بدأ به المشاركة بل زادت عليهم وبرتهم ونحن ننام نفط غطيطا فما تبهرنا من غفوتنا ولا استقنا من غشيتنا الا وقد كان بعض هذه الأمم آخذا بزمانا قابضا على نواصينا ومحبكا في رقابنا وفي مستقبلنا .
نعم .. كان من حسن حظى في هذا اليوم أن طائر الفرات أتي يروف باليمن والأقبال على جزيرة الفسطاط وفي طيات أجنحته

264
المثنية الشديدة، رسالة منيقة رشيدة كلاها برد وسلام، وفيها تعريف بل تحضير للكبر الذي يضم رفات أرجل القيس حامل لواء الشعراء إلى اليوم والى يوم الدين.
والكنال الطريق لم يكن وافيا بالرمال، بلذلك جائت أساتذة المزيد في بيان لأثبت أريد استيفاء البحث عن أريء القيس، وأمره يهم كل ناظر بالضاد.
ولملك تفضل بتعريف عن الذي أخذ صورة الكبر، وفي أي وقت، وأين كان نشر هذه الصورة، ومن الذي قال القصيدة المنظومة فيه إلى غير ذلك مما يكون قد أصل بعلما أو مما قد توصل إليه حتى يجرب بحث عن صاحب المثلقة الكبرى وافيا بأمر ما في الإمكان.
وأما على يقين أنني طرقت باب كريم، وكيف لا، وهو ينتسب إلى بلدة الكرم أبي الكرم أبي الكرم جدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة وسلم.
فمسى ألا ترى في طلبي هذا شيئا من الالحاح والالحاف، فإن التصد كل القصد هو أحياء مشاعر قطعان والاشادة بذكرى أماجد عدوان...
18 يوليو 1935

- 6 -

ولدى أحمد بك حافظ عوض وردا الفرارت، ووقت على أطلال معبد للجيشين في
«كركيش» على مقربة من طرابلس، التي خرجت من الأككان أو كادت، ثم تجولت في ميدان (نصبيين) فذكرت في الأول ما بلغه الأدب العربي من مكانة جليلة، وذكرت مجد المصريين في الثاني على عهد رمسيس، وفي الثالث أيام إبراهيم حيث كتبت بدماء آبائنا صحيحة خالدة من الفخار، وذكرت جهادك في ارسال أنوار (كوكب) إلى كل آفاق الشرق، فبعثت إياك إلى قراءك بالتحية والسلام.

«أحمد زكي باشا»

٧

سيدي العلامة المفضل والباحة المدرakin.
الشيخ أحمد الصبيحي ناظر الأبحاث بمكناس، حرس الله مهجته.

٢٣ مايو ١٩٤٠.

نعم أشرقت على دار العربية أنوار كتاب كريم، صادر من مكناس الزينون بالمغرب الأقصى، وفيه ما فيه من براءة وبلاغة، إلى جانب ما اضوى عليه من دلالات الاطلاع الواسع. قرأت المحاضرة التي ازدانت بها مجلة المغرب، قرأت يا سيدي أنك قد جعلتها نبراسا للمعجم الذي جمعت أنت مواده والذي أخذت نفسك بالرحلة إلى ديار الشرق لتهذيبه واستكماله، تجديدا للسنة التي جرى عليها الأجداد الأمجاد أيام ازدهار العلم في ربوة الفردوس.

٢٦٦
الإسلام المفقود، وأيام كانت دولة المغرب الأقصى فعّذها الشامخ وسلطانها العقلي الوطيد الأركان.
فلعل التوفيق مساعدتك أنت وأمثالك من الأمير زيدان إلى الجد الكتاني إلى أخوانكم القائمين برفع الرأية في المغرب الأقصى في فاس ومكناس، وفي مراكش ورباط الفتح، إلى ما حول ذلك من المرافص إلى طنجة وتطوان.
ونحن في القاهرة نزدهر كما أطلع علينا شماع نوراني من برقة إلى القيروان، إلى تلمسان، إلى فاس البيضاء. كما أتمنى أن نحتفظ بأي كوكب يجيئنا من سماء الشرق حتى مطلع الشمس.
نحن نرقب طلوع الشمس من المغرب لتجديد الحياة الفكرية من الشرق والغرب ولتوثيق دعائم الارتباط بين مكناس الزيتون وجزيرة القسططل.
تنكشف نفسية «أحمد زكي» في ظل وقائع واضحة من حياته:

نَشأ في بيئة فقيرة نوعا، ورباه وكفله شقيقه محمود رشاد.

بدت عليه علامات النبوغ المبكر في مجال الترجمة من الفرنسية إلى العربية بالإضافة إلى تمكنه في اللغة العربية.

أتيحت له فرصة العمل في مجال القصور ومع الأمراء والخديويين والنظراء وكانت قدرته وذكاؤه عاملا من عوامل حاجتهم إليه، فقلما كان منهم من يعرف العربية أو يجيدها حديثًا أو كتابة.

أصيب بالصمم في عام 1900 تقريبًا، فأثر ذلك في نفسه تأثيراً كبيراً.

لم ينج ولم يترك ذرية.

تجمعت فيه عناصر الوراثة من مغربية وفلسطينية ومصرية. قدم أهله من المغرب وأقاموا في يافا (بيت التجار).

ثم انتقل والده إلى مصر فتزوج فيها والدته.

التقى في مطلع حياته بعلماء المجمع العلمي الفرنسي.
والجمعية الجغرافية والتنفت إلى المخطوطات العربية وتحقيقها ، وأتبح له أن يشهد عددا من مؤتمرات المستشرقين ، وأن يزور الأندلس.

هذه أهم العوامل التي أثرت في تسمية أحمد زكي وكيفيتها على النحو الذي يعرف به ، من عنف وجرأة ووحدة واندفاع ، ومن اتفاق للمال بسرف ، ومن رغبة في احداث الدوي العاصف ، وتطلع إلى الزعامة ، ورغبة في ترك أثر كبير على ما عبر عنه يقوله : « تأملت بترك أثر لي في بلدي » وهذا مصدر تطلعه من بعض قيود التقاليد ، ومجاراته للزمن .

ومن هنا يأتي طابع السخرية الواضح في عباراته ، والفكاهة المنطلقه ، والدقة المتناهية في البحث والمراجعة ، وتسوته في الحالة على مساجليه وخصومه ، واعترافه بالخطأ ورجعته إلى الحق متى استبان له ، واحساسه بالفراغ النفسي والعمل على شغله بالأعمال المتصلة .

3 — وكان أحمد زكي — كما هو مزيج من مختلف الوراثات — صورة للإنسان العربي في خلقه وخلقه . فهو ربعة القامة ، متميّز الجسم ، صبّح الوجه ، براق الملقبتين . يرى الناظر إليه لأول وهلة أنه شعبة ذكاء ، وهو مع ذلك عصبى المزاج ، سريع الغضب ، سريع الرضا ، قلق لا يستر ، يصل دائما غاية الشوط ولا يتوقف فيما هو مرح يتبسط حتى يظل به السذاجة ، إذ به عنيف مداحر حتى يوصف بالمكن ، وهو كريم سخي مسطح اليد ، ينفق إتفاق الأغنياء ، ولا يخشى من
ذى العرش اقلاعًا، ما في قلبه يبدو على لسانه، إذا أحب مال
عنف، ووصل إلى آخر المدى، وكذلك إذا أبغض خاصم بلدد
عنيف، لا وسط عنده، فيه تلك الطبيعة القلقة المتمسة المتعجلاة
تتلمس إلى العلا، وتتائيس وسائل الشهرة والظهور، مع
كفاءة علمية راسخة، وقدرة على التحقيق العلمي، وإبان صادق
بجذب العرب، كونته الأيام والرحلات، والتجارب والقراءات،
وتلك رسالتها التي عاش لها في مجال العمل الفكري والعمل
السياسي،.

۳— كان في مطالع حياته معبجا بنفسه، ذلك أنه أحبر
الدرجة الأولى في كل مسابقة تقدم إليها، أو وظيفة سعي لها.
فظن أنه فوق الناس جميعاً «حتى لم يكن يخطر بالبال أن في
رؤسائي ومن أنا دونهم في الوظيفة شخصاً جديراً بالأكبار
والاعتبار، فكنت أعمل الرؤساء كأنهم مرغوسون».

ومن هنا عثرَت عنه رغبته في الاستثمار بكل شيء في
العمل، وجرأتة في خوض كل عباب، ومن هنا وصفه الواصفون
له بأنه محيط بكل شيء في مجال الثقافة، ولكنه غير راسخ
في شيء.

يذهب في السذاجة إلى حد العجب، ويخرج من تقرير
جهوده في العلم إلى التفاخر به، تشكيكه استطرادي لا يعني
بالوحدة ولا يحمل كثيراً بالتناسق (1).

(1) أحمد حسن الأزيات: وحي الرسالة م (1).

۲۷۰
ومن آيات عجبه أنه كان يصدر مقالاته بعبارة رفاحة:
"عنى وعنى وحيدا خذوا الباب الصادق" ..
"ودع كل صوت غير صوتي فانتي
أنا الطائر المحبك وغيري هو الصديق"

وقد وصفه بعض عارفيه بأنه يجمع بين البساطة والسماحة وخبة الروح، وأنه لا سلطة له على قلبه، وأن حماسة الإيمان فيه أكثر من دقة العلماء.

؟- كان حريصا على تسجيل سبقه في كل ظاهرة من ظواهر الفكر والحياة، فهو أول من جمع المخطوطات من أنحاء العالم، وهو أول من دعا إلى احياء الآداب العربية وعمل له، وهو أول من حقق دعاوى المستشرقين وأول من دعا إلى احياء مجد العرب، وأول من ابتكر نقل المخطوطات بالفوتوغرافيا من العرب، بل هو أول من ركب الدراجة من كبار موظفي الحكومة، ووضع اسمها.

وكان غيورا إلى أبعد حد تجاه تراثنا العربي الإسلامي، ونوادر المؤلفات العربية، فما أن استكشف هذه الحقيقة حتى جعل بينه وبين ذلك ثارا ظل يقاتل من أجله طول حياته ولم يلق السلاح، فهو قد آمن بأن ذخائر الأدب العربي والتراث العربي قد أغار عليها الميروان، وسرقوها ونهبها حتى خلت منها بلادنا، وهي موجودة الآن في مكتبات الغرب، فهو حي اليوم يدفع أي مبلغ في سبيل استرداد هذه النواادر، ويفطر بأن لديه نسخة من كتاب لا يوجد في العالم كله منه غير نسختين، وهو حيي بأن ينقل

271
بالفوتوغرافيا ما يجز عن شرائه، وهو مندفع أيضا إلى شراء ما جده المستشرقون وما طبعوه من الآثار والتخريج العربية.

هـ كانت مكتبة الزكية نافذة من نواخذ التنفيس عن نفسه، والتبرز في مجال الفكر، وشعل الفراح، فهو الذي لم يصنع ولادأ أو بنتاً، أراد أن يصنع مكتبة ضخمة تقف إلى جوار دار الكتب، فجمع ألوه المجلات النادرة، وسفر، وأثق ونسخ وصور، وقدم ذلك كله للدولة ومعه قطعة أرض في المنيرة تبلغ 1500 متر لبناء دار كتب تنمي فيها تكون الثانية وتحمل اسمه، وقد ربط بين هذامعنى وبين مكتبة في كلام على لسانه أشارت إليه اللواء عام 1908 جاء فيه: أن أقاربه الأثريين والأعرقين اقترحوا، وإن لا أمل له في أن ينسل... غلما عجز عن ذلك بوز في مجال آخر هو الوعامة السياسية العربية: فكان لديه بيت العروبة وهو شيخها، وما من زعيم عربي يرد مصر إلا ويجذب زكي باشا في انتظاره، وما من كاتب عربي أو مستشرق إلا ويقصد دار العروبة.

وـ وكانت اصابته بالصمم عاملاً جديداً من العوامل التي دفعته إلى التبرز والتأكيد الشخصية، ولقد كان تأثره بالصمم بالغاً حتى وصفه بأنه قله إلى سن الثمانين، وربما تعزى عنه بأنه حال بينه وبين اللغو.

وقد صور مشاعره ازمة الصمم بعد أكثر من ثلاثين عاماً:

«أنا أعتقد أن الله أراد أن يظهر لي محبته بطرق التمحيص والابتلاء حينما أحوجني منذ عام 1900 م إلى ترجمة خبيث...»
خسيس ، إلى ترجمان ينافاني كأنه «القرد الشارد» إلى ترجمان
اذا وافائي فلا يسعني في أوقات الضرورة».
"أنا أظن أن الله قدّر لي الخير كل الخير، حينما نزه سمعي
عن وصول اللفو إليه، وما أكثر اللفو في الناس وبين الناس ..».
ولم يقف الصم أمام عزيمة أحمد زكي وقوته الذاتية القوية،
بل مضى وبرز حتى قال عنه محمود إبراهيم صاحب الأكسيريس
أنه كان يقف في حلقة بين أعاظم المستشرقين في مؤتمر أثينا فيضع
ساعاته على أذنها ويجيب براعة على أسئلتهم.

- وكان أحمد زكي غاية في الجيوية يملا وقته كله بالعمل،
لا يكل ولا يحتاج إلى الراحة، يخرج من الديوان إلى مكتبه
الركنة في قلبه فيها سحابة يومه، ومعه طعامه وشرابه وقهوته,
حتى ينتمى الليل أو يزيد، فيذهب إلى بيته ليهيم بضع
ساعات، ثم يبدأ يومه من جديد وهو ممتلئ نشاط وحيوية.
وكان يؤثر القراءة واقعا - كما يقول عنه طه حسين عن
معرفة به واتصال - فلا يكد بدأ القراءة حتى يندفع فيها ويسى
نفسه، ولا يتعب من البحث والتنقيب عن كلمة واحدة الساعات
الطول، أيامها وأسابيعها في كل مظهنة من مجلد أو كتاب، ساعتا
بين دار الكتاب والمكتبة الركنة، لا يمل، فإذا ظفر بها كان فرحه
لا يبالي.

- عرف أحمد زكي بالروح والفكاهة والسخرية في أحاديثه
وخطبه ومقالاته وكان يضيف هذا اللون على كتاباته، فيبحث
مثلًا عن (طاءة الخضة) أو (كشمش بك) .

273
م-18 أعلام العرب
وفي عباراته هذه الفكاهة حتى أنه يتساءل عن رجل من الناس

فيقول:
هل هو معمم أو مأخوذاً أم مبوش؟ (بك أو باشا).
ولما ورد اليمين وقطع الصحراء والجبال حتى بلغ صنعاء
واستقبله الإمام يحيى محياً: أهلا وسهلاً.
قال له زكي باشا: عفوا يا مولاي: أهلا وجبلاً، فائتا ما رأينا
سهلاً.

وعندما نقل مكتبه إلى قبة الغوري، كان إذا عرض لبحث
عن السلطان الغوري قال: «صديقي الغوري». وكان يصف نفسه فيقول: أبلست ذكياً بغير (ذال) ولطالما
تناولته الصحف والسخرية: تقول مجلة الفكاهة إنه رجل كالبحر
في علمنه وكالريح في أطلاله، ولكنه بحر، ولكنه محيط،
لا يجز مياهه جسور أو شواطئه، وإنه محتاج إلى شركة مساهمة
تتولى تنظيمه وترتيبه ليستفيد منه الناس.

وقد ترددت الفكاهات عن كلمتين عن الكلمات التي حققها:
(بربر بربر بربرة) و (على الحركوك).

تقول أحدى المجلات: رأى بعضهم زكي باشا وكان ضيفه
يجلسون على كراسي وهو جالس (على الحركوك).
وقد أصيب بزكام شديد وبربر بربر بربرة، وان بطاقة
مكتوب عليها:
راجئ عفو ربه الموتى أحمد زكي ابن قطحان

274
وسمرت منه مجلة الكشكول فقالت أنه (كتساروس علم).

تشبه بتاجر الأثاث القديم (كتساردوس).

وقد كانت أرتفاعاته عاماً من عوامل الكفاح والسخرة،
وفي إبان معاركه مع زكي مبارك أرسل برقية إلى مفتي القدس
فأخفأ ووقعها (زكي مبارك) بدلاً من زكي باشا.
فلما عرف ذلك حمل حملة منكرة على مصلحة التلفرات.

و قال:

قد يكون حصل لي ذهول تكتب مبارك بدلاً من باشا في
أن الفرق بين باشا وبيغ مبارك مثل البو أن يفصل بين
الجروح والعامة، كنت أعلم عامل التلفرات لو أنه كتب
الابراشي بدلاً من باشا.

وأنهى كلامه بقوله:

(إلى حكيم العيون، إلى مستشفى الرماد يا تألق التلفرات).

ولكن زكي مبارك عقب عليه فقال: أرجح أن الخطا جاء من
جانب الباشا فهو الذي كتب بيد الكريمة (زكي مبارك) بدلاً
من زكي باشا) ذلك أن زكي مبارك تعود مدواية الباشا في
مقالاته، ومن المحتمل أن تكون تلك البرقية أرسلت بعد أن
قرأ البasha كلمة من تلك المداحات فبقى اسم زكي مبارك في رأس
ساقن الجبة الفيحاء.

9 - عرف بالجراحة والمخاطر وجه الاستطلاع، فقد صعد
كل ميارة، ودخل كل مسجد، وأعتلى كل قلعة، وانطلق فوق
قبة المسجد الأقصى حتى لمس (الهلال) وصطاد الأهرام.

275
وكان في أول شبابه على حد قوله (يرتح في برية الإساءالية على ظهر الهر، إلى حجر البردويل في العريش) فضلاً عن ركوبه الدراجة لأول مرة.

10 - كان أحمد زكي يجازى أخلاق العصر: يقول صديقه (محمد كرد على) أنه «كان يتجاوز فيما لا يتجاوز فيه أرباب التقوى، فكان يخلق أخلاقاً من عارضهم وعاشرهم، وما رأى حرجاً في ذلك، وقد يضطره العبث واللعب إلى الأسرار، ولذلك أتفق كل ما دخل في يده من مال قريته أولاً، ثم من مال شقيقه ثانياً، وأتفق جميع ما خلفه له أخوه من ثروة، وهو مبلغ لا يستهان به (ولقيل أحد عشر ألفاً من جنيهات) وبئس أفرط في ذلك، وله افرطه لكونه لم يعقب ولداً».

وكان محب للشرابات (الترجيلة) ولعب (طاولة الأرد) ولله مهما سهرات.

ولطالما وصف أحمد زكي نفسه بعبارة "الخبيث" تحدياً لما كان يوصف به من السذاجة، وتحدث في أكثر من مناسبة عن "الشيطنة" في حياته وكيف أنه التقى في باريس بفتاة من الفتيات فقرأ لها الكف وأنباهن عن الغيب ومازحتهن طويللاً. ومن عباراته "أين الأعرايب الرعايب، مشتهى الروح ومنية النفس".

ويكشف أحمد زكي جانباً من معالم نسبيته (2).

---

(1) كان قد أطلق عليها أولاً اسم (الأركيلة) ثم تحول عنبه إلى (الترجيلة).

(2) المرة - يناير 1933.

776
قد كنت أفترض دائماً أن الدنيا مرحلة هائمة، فيانة سرحاء، وارزة الظل، فلا أنظر إليها نظر أولئك الذين عجزوا عن ادراك كونها، والتعرف إلى مكانتها، بل كنت أغلق عقلي بعقله، فأتنزع البركان عن نفسه لاقامة نفسه بأن الدنيا تساوي الآخرة، فكانت أنتهت الوقت وأهلته الفرصة وأمتلك الزمن قبل أن يملكني بجاداته وصروفه، بل قبل أن تعصري أعاصير الحياة عصراً...

لقد انتهت الفرصة خلال زيارتي لأوروبا لامتع النفس والقلب والقود ما في لندن وبيرس من متع ومسرات، وظلت أبهر الناس بين العاصميين الكبيرتين إحدى عشر مرة دون أن يصبحوا دوار البحر، أو ينالوا منه سوء ولم يكن جل همه من تلك الرحلات إلا الاستفادة من العلم والتوسع في البحث.

وند ذكى باشا محتفظا بنشاطه وحيويته إلى أواخر أيام حياته، وهو يعزز هذا النشاط إلى أنه لا يتح طريقة خاصة في الآكل أو الراحة أو الرياضة يقول: اني رجل أميل إلى الحركة والبحث منذ كنت شاباً مبها، أقترب الليل منقبا عن مسألة ما وأجتاز البحار وأقطع القفار للثور على أثر أو حقيقة ضائعة، واعتقد أن الخمول والركود شر ما يبين على صحة المرء، فكان حركة الجسم وتعويده العمل، والجهاد في ميدان الحياة يطبعهم الإعفاء على النشاط، لذلك أحب العمل وأتمتعه، لأنه يمدني بنشاط لا أحظى به إذا ركنت إلى السكون، كما يجدد في نفسه همة أرى لها من اللذة والمتى ما لا أراه في الرياضة.
حتى انني كثيرا ما أحمل على مائدة الطعام كتابا او جريدة أنسقها او مسألة صغيرة لها أهمية لغوية او تاريخية خلال تناوله ، ولا أرى في ذلك ما يستمتعي ، او يقطع على راحتي وحناني .
وقد يلذ لي أن أتعب جاهدا متمخرا كل صعوبة في سبيل كلمة او مسألة صغيرة لها أهمية لغوية او تاريخية عندى ، فأسعى بما استطعت من قوة للحصول على بغيتي دون أن أجد في ذلك مشقة وعئتا .
وربما كان لقوة بنيتي التي ورثتها عن أبي أثر كبير فيما أنا عليه من نشاط فان أبي رحمه الله كان سليم البدية ، قوى العضلات ممتلئة صحة وعافية وأذكر أن وجمتي كانتا متوردين توردا يدل على ما منح من نقاء في الدم وانتظام في وظائف الأعضاء .
لذلك أعتقد أن الوراثة أكبر عامل في صلاح بنيتي ، ولا عبرة بما يقال عن ضرر التدخين واستعمال الترجيلة ، فاني طالما استعملت الترجيلة دون أن يحدث ذلك في صحتي ضعفا أو فتورة .
غير أن لى عادة لا أبقيها كل يوم ، وهي أنتى أتناول كوبا من الماء الملتح أكثر فهما من الفراش ، ولا أستطيع أن أكل كمئه من الطعام قبل ذلك ولا أتناول من اللحم مطلقما ما عدا الدجاج والحمام ، فاني أتناول منه قدرًا متوسطا ، ولا أحب أن أشغله ذهني في أوقات الفراغ بما يكده ، كلعبة الشطرنج مثلا ، بل أحب أن ألهو كل مساء بمارسية الترد مع نخبة من أصدقائي » (1) .
(1) الهلال - نوفمبر 1939 .

٢٧٨
وقد عرف أحمد زكي بالحفلات والآداب الباذقة، يدعو إليها ضيوفه من أعلام العرب والشرق والغرب، مع صفاء من أصدقائه.

وتكون هذه الندوات مجالاً طلقاً للكلام والفكاهة:

وكان لسامع زكي باشا شهرة مدوية، فقد وصفه محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشروي فقال: «إن زكي باشا حدث ضيفه أن لديه خروفًا معلقًا سيكون ضحيته، والمكان سفح الأهرام، وقد مد سماط البشاشة عشية يوم الجمعة فهرولا النهال، فإذا عليه خروفان أثناان، وكان عدد الهنود يزيد على العشرين من أحرار سوريا وليبان والعراق وفلسطين.

لبس الطريوش وقاطعة أيام حرب البلقان ولبس طروحًا مغربيًا، ثم عاد إليه وفي السنوات الأخيرة أغرم بالعقال واللباس العربي.

وحجب الاستكذابية مسقط رأسه، وهام يفلسطين هياما دون أن يكشف صلته بها، وكانت له رحلات متصلة في الصيف إلى أوروبا أو الشرق، وبعد أن ترك الخدمة كان يقضي سعيته يومه بين دار الكتب والمكتبة الزكية، فإذا جاء المواء عاد إلى داره: دار العروبة حيث يفد إليها لئن من أصدقائه يدور بينهم الحديث والسر، ثم يمد السماط (الخفيف)، كما كان يطلق عليه، فيتناول الجميع الطعام بين التصريحات اللغوية والتاريخية والمساحات. وكان يشبه على النيل في جزيرة القسطنطين في موقع جميل يجدد النفس ويدخل بهجة إلى القلوب.
وقد اتجه في سنواته الأخيرة إلى بناء مسجده، وصرف إليه همه حتى كان أحياناً لا يقرأ الصحف، وقد أتفق عليه كثيراً، ونقل إليه طرائف الأحجار وروائع فن الزخرفة من كل مكان في العالم العربي، وأهداه الإمام يحيى ألف قطعة من العقيق لتزين المعابد.

ومسجده قريب من داره، وقد كلف الشيخ الشافعي عبد القادر الشبيبي أمين مفتاح الكعبة أن يرسل إلى غار حراء من يكنسه ويجمع كنسته ويخفه في وعاء وقد حمل هذا فواعبه في القبر الذي أعده لدفنه تبكراً (1).

وقيل كان ينزل إلى قبره ويمتدد فيه بل كثيرا ما طولته نفسه قرأ وهو ممدد فيه ما يكون معاً من كتاب أو جريدة، وكان إذا سئل لذلك فعل هذا قال: إن الموت حق ولا يخفى أن يجيئ الموت قبل أن أنتهي من فرائض الوطنية والأدبية (2).

وقد تحقق ما توقعه، وفاجأ الموت على نحو خطف مثير (3).

(1) رشيد رضا: المنار - م 34 ص 113.
(2) أجرينا محادثات عده مع معاصر زكي باشا وأبرز من استفدت منهم في هذا الصدد الاستاذ السيد إبراهيم نابقة الخط العربي والاستاذ الباحث أحمد لطفي السيد الحور wieldz الكتب الذي ارشدنا إلى كثير من جوانب حياته وآثاره.

280
وفاته وآثاره المروية

انتهت حياة أحمد زكي (شيخ العروبة) نهاية مفاجئة غير متوكمة، فقد كان في أوج الصحة بالرغم من أنه كان في السابعة والستين من العمر، وربما كان يتطلع إلى الثمانين، لتمسك بنيانه وعافيته.

وقال مرة «ما أود الوصول إلى الثمانين بلمعنى الذي يريد المتشبثون بالحياة، وإذا ما وصلتني فmöالي هناء بها ولا عزاء، السوى موالية الكفاح لخدمة العروبة والإسلام وسوى مواصلة السعى لتقويم الأغلاط الجارية على أفلام الكتاب، وسوى إقامة الحجة على نصرة الصواب، والفا لائي الاعتكاف في المسجد الذي أتوالي انشائه بنفسه ليكون تحفة من تحف الفن العربي، وطرفة من طرائف الطراز الإسلامي».

وكانا كن مسجده منذ عام 1931 عملا كبيرا يضم فيه عصارة مشاعره، وقد عاناه الكثيرون على انشغاله سنوات في هذا العمل، والمسجد كثيرة في القاهرة، فكان رده (1) ترى ما أعا عليه من حال، وقد حرمته من الأولاد، فلم أعقب منهم

(1) على فراش الموت: طاهر الطناحى.

281
أحدا وأعطاوني الله فضلاً من الرزق أحبت أن أبني منه لنفسى مقبرة، وإلى جانبها هذا المسجد ...).
وكان في أوائل يوليو - من عام وفاته - على وشك أن يزداد القاهرة إلى مصيفها في بورسعيد أماًًا به هو يعود يوم 3 يوليو 1924 من جولته وقد غمره العرق، وينما هو يخلع ملابسه ناداه مند في حديقة الدار (1)، فخرج إلى الشرفة قبل أن يجف عرقه، فأصيب بالتهاب رئوي، ولم يلبث أن أُشتد به الالتهاب، وأشرف على الخطر في مساء اليوم التالي، ومع ذلك فقد سمر مع أصدقائه ليلة وفاته، وكان على رغبة في أن يذهب إلى الأهرام، لولا أنHallo زواره دون ذلك، فقد كانت علامات الشحوب والاصفرار تبدو عليه.
والواقع أن الموت فاجأ أحمد زكي، وهو في طريقه الذي كان يظن أنه سيطول، فاجأه وهو يعمل في سبيل إخراج مجهة الكبير الذي تطلع إليه العمل فيه في السنوات الأخيرة من حياته، والذي أعد جانباً كبيراً منه. هذا إلى مؤلفاته المتعددة التي كان يعلن عنها في مقالاتها، ولا يبتها، ومن هذه المؤلفات: قاموس الأعلام الأندلسية، وملحق الأغاني (يشمل على ما فات صاحب الأغاني وما جاء بعده)، ومدن الأندلس (وكان قد نشر فصلاً منها في الهلال ديسمبر 1924 وما بعده). وعشرات من أبيات، ومئات من مقالاته في الصحف.

(1) قبل إنه الصحفي (عبد المسيح انطاكى).
وقد حاولنا التعرف إلى هذه المؤلفات أو الأبحاث التي كانت في مكتبة ولم تستكمل أو شيئاً من مذكراته ورسائله ورسائل أصدقائه إليه وهي في مخلفاته الكثيرة التي تركها في دار العروبة، غير أن أولئك الذين وصلت إلى أيديهم هذه الآثار حالوا بيننا وبين ذلك، ولقد ظلنا أكثر من ثلاثة أعوام نواصل اتقاعهم بتمكيننا من ذلك لوجه العلم، ولاستكمال البحث العلمي للرجل عظيم كبير الآثر في الأدب العربي المعاصر غير أن ذلك كان يقابل منهم دائماً بالتشويف، وهم بذلك قد حملوا أثنتهم مسؤولية العقوب في حق الرجل الذي وهبهم كل ما يملك، وأصبحت خصومتهم في هذا مع التاريخ، أما نحن فقد استطعنا بالجهد الشاق أن نحقق حياة هذا العالم الناب لوجه العلم خالصاً، دون الاستعانة بما يملكون من وثائق ومخطوطات أو الإطلاع على آثار أحمد زكي التي تمثل لمساته الأخيرة في حياته الفكرية.

(توفي فجر يوم 5 يوليو 1934)
خاتمة
(مواقفة ومقالات)

ولى كل يوم موقف ومقالة

1 - هذا شعاره الذي يلخص حياته، فما قيمة هذا العمل الذي قام به خلال أربعين عاماً كاملاً لم يتوقف فيها عن البحث والترجمة والكتابة والتحقيق العلمي للكتب والآثار في مجال التاريخ والجغرافيا واللغة. هل أضاف شيئاً إلى الفكر العربي؟ وهل فتح الطريق للعمل كبير؟

الواقع أن نعم ونعم على طريقته في التأكيد، لقد صنع أحمد زكي شيئاً كثيراً، وهو وإن لم يظلغ موسوعة ضخمة أو كتبًا كبيرة، فقد ترك آثاراً في بطولات الصحف والمجلات ما يزال حياً ناضجة بالحياة، وما تزال آراؤه ونظراته يعد ضئلاً، عاماً على وفاته، حارة مليئة بالحياة تغرى بالنظر فيها على نحو أوسى وأشمل.

لقد كان أحمد زكي خطيباً وكتاباً، وكان خطيباً حتى في كتاباته، التي تحمل الطابع العاطفي الإنشائي، بفرص من أنها تقوم على البحث العلمي. و أحمد زكي خطيب مشوق جذاب، شخصيته المشرقة.
وتمسيتى المرحة، وطابع خطائته المليء بالفكاهة، وصوته الرنان المدوي، ونجاحه في كسب الجماهير، فقد كان يمزج في رفق بين العلم الدقيق والمبارة الآدبية الريفة، بما يجعل تحقيقاته محتملة لدى السامعين.

ولقد ألقى أحمد زكي مئات المحاضرات والخطب والمسرات، وتحدث فيها عن رحلاته المختلفة في العالم العربي، ولا تنسى قصصه الريفية من أجل تحقيق أسماء البلاد والأعلام والبحار والإياب، وفي هذا المجال كان يجد كثيرًا من الفكاهات والطرائف، مع قدرة بارعة على السخرية والتهكم بكل من يقع تحت يده من الباحثين الذين قد يفوقهم نص أو يعثرون في النقل أو يعرون الأصل.

1 - أما أحمد زكي الكاتب المتميّز بالصحافة، التصدر في الصفحات الأولى لأعظمها وأكثرها شهرة وجاهًا «الأهرام» فهو موضوع التقدير والإعجاب، تطرق الصفح عن مقاله قبل نشره وتعتذر إذا لم تجد المكان اللائق، وتنشره على متسع من الأعدة بعناوينه المثيرة.

ولقد كتب أحمد زكي في مختلف الصحف والمجلات التي صدرت في مصر في فترة حياته الأدبية: المؤيد، اللواء، الأهرام، والمقطم والوطن، وكوكب الشرق، البلاغ، الدنيا الصوربة، وكل شيء، مصر الحديثة، المنتفعة، الهلال، الجمع العلمي العربي، وأربعين من صحف العالم العربي والإسلامي.

ويمكن القول بأنه نشر أكثر من ألف مقالة ما تزال منتشرة في بطون تلك الصحف، يمكن أن تكون أكثر من عشرين مب suma

٢٨٥
لمسؤولة ضخمة في تحققات التاريخ والجغرافيا والآثار والأعلام واللغة.

وكانت الصحف حفية به، ولكنه كان يؤثر المقطم في الفترة الأولى من حياته والأهرام في الفترة الأخيرة. وما كتب مرة
الآ لثير ضجة، وما حقق نصاً إلا وجعل منه معركة.

ولا شك أن أحمد زكي بأعماله الأدبية قد أثّر الفكر المعاصر وذلَّل كثيراً من الصحفات أمام الباحثين، وشق طريقاً جديداً كان مملوءاً ومليئاً بالصخور والأحجار. فكشف عنه عبيده، فقد خفَّض حروف الطباعة، وأدخل علامات الترقيم، وأحرز وحقق عشرات من المخطوطات القصبة التي كانت مجهولة في المكتبة العربية، وكون المكتبة الزركية الضخمة بمولفاتها النادرة. وشارك في إنشاء الجامعة المصرية القديمة، ودرس بها تاريخ الحضارة وحقق عشرات من الآراء والأفكار المحرفة، كما حقق عشرات المواقع التاريخية، والمساجد والقبور، وزار عشرات المساجد والكنائس والمدن القديمة والقصور التاريخية، وصف عدد من القلاع والقب القصيرة، وقطع الأرض بالطول والعرض بحثاً عن المخطوطات في الآستانة وباريس ولندن وبرلين، وفتح له قصر (طوب قبو) ولم يفتح لأحد قبله خلال أربعة قرون. وستة أعوام ومثل مصر في عدد من مؤتمرات المستشرقين، وأثار قضايا، وألقى أبحاثاً، وكان موضع تقدير العلماء والمستشرقين. وكان جريئا صريحا، ولم يك تابعاً لهم بقدر ما كان موجهاً، ومنصفاً، وهو أول مصري زار الأندلس في العصر الحديث.
وقد تحقق له الرحلة في طلب النص أو تحقيقه على نحو ما فعل العلماء المسلمون في القديم، وحقق الفنون الجميلة في الإسلام، وتاريخ السياق، وحقق آثار العرب في أوروبا، ودرس تقويم العرب قبل الإسلام، واختراق البارود والمدافع، وما قالته العرب في ذلك، وثبي الخطابات اللسانية إلى النبي (ص) في دير الطور ودير القلمون.

وكتب عشات البحوث عن الفيوم وأسوان ودارين، وعن اكتشاف العرب لأمريكا، وعن مراعي النوم الذي عرفه العرب قبل الأفرنج، بخمسة قرون، كما تحدث عن علاقات المصريين بالأندلس، وعن أهل الكهف، وعن الطيران عند العرب، وعن مواساة العيون، في دول الإسلام، وعن التجارة في الإسلام، وعن الأناضول وما كرد العرب والمصريين فيه، وعن الصحراء الشرفية، وتحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، وعن وفاء النيل، ومنابع النيل، وتأريخ النيل، وتأريخ الين والقروي، وحقق ما نسب إلى المز القاطم، وحديث «فداك»، وحقق أغلب النائح، والدور السبعينية، وعن عشات من الأعلام: سليمان الفارسي، والشرف الإدريسي، والفقية الثانية الموتيرة والكبدية الإسلامية.

أما بحثه عن الأندلس فقد حث عنها ولا حرج، فقد ألقى عنها عشات المحاضرات، وكتب أكثر من مائة بحث، وهو الذي أطلق عليها اسم (الفردوس الإسلامي المنقول)، ونال عليه وأبي الناس، وجد قصيدة أبي البقاء الزند، صاحب الرئة المشهورة في البكاء على الأندلس.

287
 وكانت لأحمد زكي في عمله هذا دعوة واسعة، وهدف مشرق هو تعريف أوروبا والعرب بأمجاد العرب وفضلهم، فقد وكل نفسه بالدفاع عن هذه القضية، يؤكد أن العرب قد سبقو العرب إلى أشياء وأشياء، ولم تكن دعوته هذه مطلقة، بل كانت محدودة.

وكان له عيرة على ذخائر التراث العربي الإسلامي الذي ضاع من بلادنا في فترات، محاولًا الحصول عليه بالعلي ثم، وما لا يستطيع الحصول عليه بنقل، ثم يحصل بعد ذلك على ما أحياه المستشرقون.

وقد جمع في مكتبة كل ما كتب عن الحضارة الإسلامية والأدب العربي.

ومن ذلك تحقيقاته التوالية في أصولها العاطفية المليء بالحماس «أقول للعباب والآرنبان والجلس جميعاً أن غاليته لم يقل بكرية الأرض ودوران الشمس إلا يعد أن يرقده العلماء الإسلاميون في بغداد وقرطبة والقرويين بأكثر من ثلاثة قرون.»

أقول إن العرب أول من سيأتي الأفرنج إلى اكتشاف Optque ما اكتشف من علم البصريات وقد كتبوا في ذلك كتاب

تدل على العبرانية الإسلامية، أعنى به (ابن الميم) الذي كان عائشا في أيام الحاكم النافعي، وقد ترجم الأفرنج كتابه واستفادوا منها، وشهدوا له بالرتبة والفضل.

«أقول للعرب أن الإمام الأصفهاني هو الذي أثبت طريق الاستنتاج المنطقي والدليل الجغرافي على وجود وجود أمريكا»

288
في النصف الثاني من هذه الكورة التي نحن عليها وأنه لا بد من وجود ناس وحيوان ونبات بها.  

5 - كان صادق الإيمان بضرورة استعادة المصريين لسياستهم العقلية التي كانت لأسلافهم في العالم الإسلامي. ولكن يحققوا هذا المقصد النبيل يجب أن يهتموا العاملين الرئيسيين الدوام ...

لا غنى عنها أولا وثانيا. وهي المكتبة ودار الطباعة.

وهو يكشف دائما عن جوانب خفية من مجال عظمة المصريين ويعيب عليهم جهلهم بآثار الفن في مصر. وهم مع ذلك يتشدرون ويتغنى باسم يافا، ومثل انثى من نواحي المصريين الذين يفخر بهم الطلائع، أما نحن فنترك قوتنا ومجدنا ونتحدث بآخر غيرنا...»

وإذا وجد كتابا يضيف فضل النهضة الثقافية إلى لبنان غضب وكبك في حمايته المهودة: «ما كان لبنان معلما لمصر.»

5 - نعم للبنان أفعالاً أولاً من يعرفها ويساعد بها... ولكنها لم يكن لها وجود في أول عهد النهضة المصرية وفي جميع مناحيها، بل بالعكس كانت مصر هي التي ربت أبناء لبنان فعادوا لها بعمقها فيما بعد (1) ...».

وهو يتطلع دائما إلى أن تحتل مصر زعامة العالم في مجال النهضة الثقافية، وبعد عودته من أسيا (الفردوس الإسلامي المفقود) يقدم مذكرات إضافية إلى فخري (باشا) ناظر المعارف...

(1) الأهرام - 10/12/1928.

م - 19 أعلام العرب.

289
عن الكتب المخطوطة في قصر الأسكندرية في أسبانيا، وطالب
بأن تحمل مصر لواء نسخها وطبعها وينبغي لرئيس الوزراء
سنة 1931 الذي قال أن عصر ما قبل الاحتلال في مصر كان عصر
انحطاط، ويقول له:
أظن أن عصر «صلاح الدين» عصر انحطاط، أو عصر
الناصر محمد قلاوون، وليس على وجه البسيطة مفخرة للإسلام
في العمارة مثل جامع السلطان حسن، هل نسيت أن دولة المماليك
التي جعلت القاهرة أجمل متحف العالم بما أنشئته من مساجد
وقصور وعمائر، أن أكبر الموسوعات العربية قد نشرت على
ضفاف النيل أيام الناصر محمد بن قلاوون، وهي ( نهاية الأدب
في فنون الأدب).
أما عصر الانحطاط المصري الصحيح فهو الذي كانت بدايته
مجيء الأتراك الفاتحين سالبين ساحرين مدمرين».
ويذهب إلى الشام فلا يهم إلا أن يذهب الي (مرج دابق).
ليحقق موقفتها مع السلطان العفري ، ويرى أنها المكان الذي
ضاع فيه استقلال مصر حيث اندفعت سلطنتنا العفري مع استقلالنا
المصري الصحيح.
ويهامي في كل مكان يزوره بأنه ابن النيل.
ولا يت了一句 لحظة حين يقرأ كلمة سوء توجه إلى مصر...
» غضبت لقومي أن يقال الباطل عنهم لغائات سياسية
استعمارية ، غضبت للحق ، غضبة مصرية ، بل غضبة مصرية ،
فلا يصح لي أن أغمر الحسنات .. » .
وهو الذي هتف بناء الوحدة بين عنصرى الأمة المصرية
عام 1908 "مصريون قبل كل شيء" هذا هو الشهار الذي
هتفت به على ضفاف النيل في سلسلة من الخطاب أوردت الدلال.
والإشراف على أن العنصرين الذين تتألف منها الأمة مرتبطان
بعروة العمومة والخوولة" (1)

6 — وهو في مجال المروية حريص على تحقيق الروايات.
التي تؤكد (وحدة الأمة العربية) حتى اخواننا في جزيرة مالطة
جميعنا وايامنا روابط عدنا وقيحتان انني أقول أن الدم الذي
يرجى في عروق أهل جزيرتهم الثانية المنقطة انا هو مسلسل.
من أصل فنيقق قد (و عربي صميم) كما أن الكلام الذي يجري
على لسانهم يرجع إلى العربية الفصحى في سبعة أشعاره ، ولو أنه
قد اعتروه كثير من التحريف والتصحيف ، كما أن أسماء
المواطنين والمبدعين وأسماء الرجال والنساء لا تزال عريبة
خلابة (2).

7 — كما أعلن أنه تحقيق من أن أبناء الأندلس الحاضرين.
هم سلالة العرب بحث لو خلعوا (حاضرهم) لتجملت عريتهم ،
بالرغم من لغتهم الإسبانية (3).

8 — وهو حريص على إحياء ذكرى الأعلام ، وقد بالغ في
اهتمامه بإقامة ضريح وتشال لابن خلدون ( دعا إلى ذلك

(1) الأهرام 9/أغسطس 1929.
(2) الشورى 19 أبريل 1928.
(3) الأهرام 13/11/13/133.
عام 1932، وحقق عام 1932، حيث أقيم لابن خلدون تهال
في امضاء أمام المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية.
وكان قد دعا الى ذلك منذ عام 1934، وفاخر بأن «الخزائن
التركية تباهي باحتواها على نسخة مخطوطة من تاريخ ابن خلدون
عليها حواش بخط الشيخ العطار، وبها صورة لكل نسخ
المقدمة) المطبوعة في الآستانة والقاهرة وغيرها من أصول
الشرق بالإضافة إلى ترجماتها للتركية والإنجليزية، وان فخرها
الأكبر انها هو في احتواها على نسخة (المقدمة) التي صبحا
ابن خلدون يписать، وكتب ما يفيد ذلك بخطه على كل صفحة من
صفحاتها، ثم توج طرحتها بتوقيع يده، وهو يشهد بأنها أضح
ما خرج للناس منها وتناوله الأيدي (وهي منتقلة بالفوتوصفية
عن خزائن عاطف أفندي بالقسطنطينية الكبرى) وان كانت خزائن
تباهر أيضا وتباعها باحتواها على صورة شمسية تمثل ابن
خلدون تشيلا خلقه الخيال، بناء على ما وصلنا عنه من معلومات
وبكالات.

أعلن أحمد زكي أن «ابن خلدون مدفون في القاهرة بمقابر
الصوفية، على ما استنفرنه من السخاوي صاحب الضوء الالامع
في عيون القرن التاسع للهجرة».

9 - كما دعا الى بناء ضريح لأبي الفداء في حماة، و«ابن
العلاوة المري في البصرة»، وكان خلفا بالعلماء الأعلام في كل مكان

٣٩٣
يقرر قبورهم ويحقق تاريخ وفاتهم وقد اهتزت لبنان عندما وضع أكليلا على تمثال إبراهيم الياباني عام 1936. وتحدثت الصحف عن ذلك طولا.

وقد أدخل إلى اللغة العربية عبارات جديدة، وحق.

كلمات وتوازي وواقع لا حد له.

وأدخل كلمة (السيارة) بدلاً من الانسوميل و (الدراجة) بدلاً من السيارات و (الشطرنة): بدلاً من الساهدويتش، وكلمة (الرفرف) وهو الهامش في الصحف.

قيل لما صدرت (الجريدة) طبوا منه الكتابة، فقال سأعطيكم رفرفا قالوا وما الرفرف، قال هو ما يسميه الإفرنج (فيون) واصطلح كابنا على تسميته الذيل، ولكن الكلمة الصحيحة هي (الرفرف).

ومن كلماته: (الكمارك) بدلاً من الجمارك، ودجالون خير من (دجاجة) وأجرى تحققات حول «أمريكى أم أمريكاني».

وكتب أم اكتشف «واوهش أم أباش» وقال: قتل القنال ولا تقل consciously. وفي أسماء البلاد: لا تقل الصيحة، ولا تقل هوالف (بلاد في الأندلس) بل هنا الجرسي وله، لا تقل عطرة وقيل (انبر) أما الجزيرة التي بالقرب من أسوان يقولون عنها (جزيرة فيلة) واسمه العربي يلاق ويلاق، وارغن، وصوابها (وثران). لا تقل البرتقال ولا البرتقال. وأجرى تحققات متعددة منها: الفراعنة أتراك، كلا ثم كلا الفراعنة عرباء، ثم. نعم وقال ميلاد المسيح: في بيت لم يعلم وليس في القاهرة. ونافخر
جَعَّرَتْهُ أسماء الأشياء في عدد من اللغات فكلمة الجزائر مثل يسموها الفرنسيون الجيزي (Algeria) والإيطاليون (الجريا) Algérie.
وفي الأندلس يسمونها (إريجيا).

11 - ومن طرائف أبحاثه بحثه عن الفاكهة:
(1) الموز (2) الالنجة والخليفة الوليد بن عبد الملك (3) شجرة البرتقال (4) البلح والنخيل في جزيرة العرب ووادي النيل.

وهذا يعني دائماً أن يكشف هذه الحقائق، فإن العرب هم الذين أدخلوا الموز إلى أوروبا في أواخر القرن الأول، وذلك عند فتحهم الأندلس ولا يزال نباته وثورته معروفين في جزيرة سطيرة باسم موزا، وكذلك الحال في الأندلس والبرتغال (البرتغال).

أخذوه ثم عدلوا عنه إلى كلمة (بانان).

والموز «لفظ عربى صحيح»، وأنا لا أوافق المستشرقين الذين قالوا بأن الطلح المضود المذكور في القرآن هو الموز ذكر الموز في مفردات ابن البيطار وتذكره داود ورحله عبد الظيفي البغدادي، والهند أسود موجاً ولا يجد أن الأفرنج اخزدوا اسمه عن اللفظ العربي والعلامة فروسكال الذي رتب النبات الى مأجنس وفصائل وضع لفظة (موازى) للدلالة Musacées على فصيلة الأعشاب المشابهة لحشيشة الموز.

وله أيضاً أحاديث متوالية عن الأطعمة وفكاها.

12 - و«الكتاب» آية حياته، وحب الكتب يغلب عنده على أى عاطفة وصناديق الكتب عنده قصة طريفة ترويها، حتى أنه ليترك كل شيء حتى عمله، من أجل الكتب: يقول ان كان

294
في طريقه مع رئيس الوزراء إلى بنها، وفي آخر لحظة جاءته برقيه يوصى بثمانية طرود من مخطوطاته من الاستاذا إلى ميناء الإسكندرية. يقول "تركت أدراجي، ودست على مصلحتي، وتركت أمرى للأقدار". وذهلت عن كل واجب وتب أحلام بهذا المشوق، وأصبحت صفحات وجهه، وأتأمل محاسنه، وتكبرت إلى الكرك بكفور الغراب وكتبت أول من حيا الباب.."
والكتب عندنه مجيبة وبغيضة في نفس الوقت، فهي تكلفة المشقة، وتقبض على كل موارده، وتعمله من فينا دائما، فإذا جاءت أشقتها بإعداد المكان اللائق، والمحافظة عليها من الرطوبة، وتجليدها، فإذا وهما للأمة، وأعظموه قبة الفورى، لم تتوقف شكوكه وصيحاته، هذا رجل أجروا له المكان الماورى للمكتبة، وعندته صميح ومواقع قابلة للالتهاب، وبخشم على المكتبة منها ثم من البيران، وهكذا يعيش زكي باشا بين لذة الكتب ومتاعها.
يقول: "ليس لي لذة في الحياة سوى جمع الكتب، لأن كنت لا استفيد منها إلا القليل".
ويقول "كلما سعت للتخلص من هذه الأحبولة تساكبت خيوطها، واستحكمت حلقاتها، فأتاني أفرح الكتب رغم أثقي، وأسعى الي جمعها، وإن كنت أكرهها لما تجره من تعب القلب.
وفراغ الجيب وضائع الكسب".
وهو خفي بدراسة الكتب العربية في العالم، ما ذهب منها وما بقي، فقد حثوا تسعة أعماق ونصف وثالث وربع الكتب العربية في ساحات غزناطة، وحرق أحد الكوازنة في يوم واحد.
نحو ألف ألف كتاب، ومن قبل أقامت التبت جسرًا على نهر دجلة
من الكتب. فما خلص لنا منها الآن لا يبلغ أكثر من واحد في
الآلاف مما كتب أجدادنا وقد تسرت الكتب العربية من بلادنا
الإسلامية عن طريق الحملات الصليبية في الماضي، وفي مصر
بالتالي عن طريق الفتح العثماني والحملة الفرنسية، تنا ذلك,
تردد الأوروبيين والأمريكيين، فاستنفروا ما بقي مختفاً أو مختلفاً,
وطعنا من هذه الثروة العقلية الأهلية، وقد نهب بونابرت كثيراً
من بقايا الكتب النفسية التي كان أجدادنا قد أخوها أو وجدوها,
بعد الفتح العثماني، وكل من ذهب إلى باريس واطلع على فهرس
دار الكتب الأهلية، يأخذ العجب العجاب أن لم تعاوره الأشجان
والآجر، فقد أصبحنا إذا احتجنا إلى شيء من مؤلفات المصريين
المفيدة برذر لا نرى منها شيئاً في بلادنا، وأظهر أحمد زكي إلى
عدم تقديم (دار الكتب المصرية) للمخطوطة ومن أمثلة ذلك,
أنه حمل إليها كتاب «مخطوط» ثمين قيمته بخمسة عشر جنيهاً,
واشترته الأرسالية العلمية الفرنسية بالقاهرة بثمانين جنيهاً،
وأعطت صاحبه وساماً، وأرسل الكتاب إلى باريس 1، وقد كان,
أحمد زكي ثاني أثنتين يتنافسان على شراء الكتب القديمة،
ويطالعن الصحف اليومية ليروا أي وقف أو أي عشية مات.
ولديه مكتبة يشترونها بالوليد هو أحمد تيمور، فقد اشتراها معاً,
مكتبة الشيخ طاهر الجزائري.

ومن أجل الكتب أطلقوا عليه لقب (الفهرست الأكبر).
ولما هاجمهه الصحف لأنه كلف الدولة في مشروع الأحياء

296
شططا دافع عن نفسه فقال: لقد ذهبت ببعض ارادتي وعلى
تقتني الخاصة إلى خزائن الكتب بالأسمانة ست مرات متتالية
(1892-1909) ثم بعثت صديقي (عبد الجليل لطفى) على
حسابي الخاص إلى باريس وبرلين ولندن أعوام 1909 و1910 و1911
للبحث عن مكالمين طائفة من نوادر الكتب التي تسربت من بلدنا
إلى ديار الأجانب.

وقد اتخذت طريقة النسخ بالفوتوغرافيا، وقال ان (الناصغ
ماسخ) ولا يحاول عليه في تحصيل الكتب النادرة ولطالما هاجم
الناصخين وقال: «الناصخين مسهم الله» وأنهم بأن قاعدتهم
هي التحرير والتصحيح والتشويب (1).

ويمكن أن نصور مدى جهاده في ذلك حين يسجل أنه أمضى
عشرين عاما يتبع مخطوطات (الخط الفقيري).

ولا شيء يصور مدى أهمية عمل أحمد زكي هذا أكثر من
أن نشير إلى ما ذكرته الأهرام عام 1913 في المرحلة التي كان
عارقا فيها في تحقيق مشروع الأحياء - إن حالة الآداب في مصر
كانت في ركود شديد ، كان الرئيي من التأليف والكتاب هو
القصص والحكايات المملوءة بما ينافي الأخلاق وضروب
الهتان والاختلاط والتلفيق ، وقالت الأهرام أن الآمة منصرفة
عن العلم ولن له قد يمر العام كله ولا يظهر كتاب فيدي وإذا ظهر
فلال يلفت إليه أحد ....

(1) له أبحاث متعددة عن الكتب مايو 1895، المولد.
مارس 1921، المجم مارس 1922.

297
وقد هاجمه الصحف من أجل طبع بعض المخطوطات وفيها عبارات الفحش والمجون، ولطالما نسبوا إليه مال يقل. وقد قرأت في أحدى قصصات الصحف التي كان يحتفظ بها عبارة مقتطعة من مقال في أهرام 21 أغسطس سنة 1919. قالت أن سم اليكوبتين الذي رمته به أميركا — قدى حاول أحمد زكي أن يجمله من نبات العرب.

وكتب أحمد زكي معلقا على هامش القصاصة:

«لم يقل ذلك، وحسبى الله» توقع «أحمد زكي».

12—على أن هناك اجتماعا على أن حياة أحمد زكي الفكرية كانت معبرة مضطردة، فقد كانت قراءاته واسعة ومتناثرة، ومتميزة، لا حصر لها، دون تخطيط معين لبحوث واسعة أو أعمال كبيرة، حقيقة أن لها سياج واضح من الآثام بالإمارة العربية وتراثها وقيمةها، وتطلع صريح الى بعث هذه القيم وهذا التراث واعتباره أساسا لبناء الأمة في العصر الحديث...

غير أن الأبحاث كانت متتالية، منوعة، من هنا وهناك، ترتبط الى حد كبير بما يثار في الصحف أو في الدراسات من آراء أو أسماء أو قضايا فكرية، فلما هو يدلي بدقته يطول كلمته ويفضى في مآه أو مشيرين حتى يعود مرة أخرى إلى الكتابة...

وهو لا يكتب في موضوع متصدى، ولا يتفرغ للكتابة والبحث فهو مشغول بالسياسة إلى جانب البحث العلمي، وبالرحلة من أجل الصلح بين الملل أو الدفاع عن العراق وهكذا. وقد
شار إلى ذلك غير واحد: محمد كردي، ومرجليث الذي قال
للكاتبة مي زيادة عندما زارته في أكسفورد: ان حياة زكي باشا
متشعبة مبهرة يعوضها التنظيم.

٣٣ - أما أسلوبه الكتابي فقد تطور من السجع إلى الترسلم،
ومن الجد المطلق إلى الجد المختلط بالجزل، ثم تحول ثمة إلى
أسلوب واضح له خصائصه قوامه الراقي والتفاعلي والمقدمات
الطويلة — مع مضمون قليل من الحقائق.

ففي أواخر القرن التاسع عشر كان أسلوب السجع والمسننات
البديعة والاقتباس من أقوال الأقدمين ساريا، ثم ظهرت مدرسة
جديدة كان جمال الدين الإفخافي رادها، عملت على تكية المعنى
على اللظة مع مراعاة قواعد اللغة، ثم كان للطيلة التي تنقَت
بالثقافة الطرقية — التي كانت غالبًا في ذلك وأوائل القرن
العشرين — دورها في إعطاء الأسلوب العربي طابعًا جديدا فيه
وصائدة اللغة مع أخيلية وتعبيرات جديدة.

وقد ظل أحمد زكي سنوات متأثرا بالأسلوب القديم، يغلب
علي السجع — وقد ظل حتى آخر أيامه ما يتخلى عن هذه
السمة، وكان خفف كثيرا في مضمون كتاباته، وغلبت على عوانين
مقالاته، غير أن أسلوبه أخذ طابعا واضحا مميزا التفرد به، قوامه
السخري والتلاها والتعاون، مع التحقق العلمي الواسع العميق
وكأنما كان يرى مشقة البحث العلمي الخاص وفجاهه، فكان
يمرزه بالفكاهة والسخري الأخفف منه، ولغري القراء بالمضى
معه. وكذلك كان في محاوراته وخطبه، يضيف شيئا من الفكاهة
والطرافة والنتكاة حتى لا يمل سامعوه أبحاثه المؤيرة 1 ومن تعبيراته التي طالما كررها قوله: قل لي بعيشك وقوله يمينك بالله وكتبه ويوم الآخر ... وقوله: يا غارة الله وقوله: ارعي سمعك راعك الله، وكان يصف نفسه بقوله: هذا العاجز ويفص داره بقوله: "دوريتني". وكلما ذكر صديقا عزرا متوفيا قال (سقي الله عهده) وكان ينتفض لأي خطأ في مقالاته، وإذا كتب أعدد وصحح وشدب وغير وبدل وكان كثيرا ما يصحح أخطائه ويكتب تحت عنوان تصحيح لنفسه بنفسي أو تصحيح لتصحيحاتي (1). 
وكان يسمي الأخطاء والتصحيحات "الوقائع المطبعة".

14 - ومع هذا العمل المتصل والطبيعة المنضمة كان لا بد أن يخطئ أحمد زكي وأن تقصى عليه بعض المثالب، فهو يطبع كتاب الأخلاق ويضيفه إلى الجاحظ ويزيل مصرأ على نسبته إليه، بينما أنكر الباحثون هذه النسبة.

وهو يلقى الكلام أحيانا في بساطة فيحمله خصوم العرب وتهذب له حجة عليه، كما حدث عندما تحدث عن (فلسطين)، وقال أنها محتاجة إلى أموال اليهود حتى تزدهر فيها الصناعة؟؟ وأحيانا كان يتصدى لبعض الآيات القرآنية محاولًا تفسيرها في الخطا ويتناوشه العلماء بالنقد والتقريع.

**

(1) الأهرام يوليو وأغسطس 1934.
(2) أثيرت هذه المضاخمة عام 1937 وتحديد عام 1939.
و على الجملة فقد كان (أحمد زكي) علما من أعلام الفكر العربي المعاصر، ترك ثروة ضخمة من الآراء والأفكار والتصويبات والتحقيقات في مجال التاريخ والجغرافيا والأعلام والآثار واللغة العربية، وترك عملا ضخما في مجال احياء التراث العربي وقلبه وطبعه، وكان رمزا على معنى كبير من معاني النهضة في العالم العربي، وهو بناء الحاضر على الماضي، وتأكيد القاعدة الأساسية للهوية العربية والشخصية العربية من قيمنا وتراثنا مع فتح الأبواب للفكر العربي والحضارة الغربية بقدر ما يزيدنا ذلك قوة وضئ شخيتينا - ولا ينسخها - دون أن تكون عملنا أو مستوردين أو تابعين وهو بذلك رائد من رواد المدرسة الوسطى، مدرسة «البناء على الأساس».
المراجع

أحمد شفيق باشا

 يوسف اسعد داغر

 طاهر الطناجي

 سركيس

 خير الدين الزركلي

 محمد كرد علي

 بشر فارس

 اسكندر المعلوف

 أحمد حسن الزيات

 الدكتور محمد صبرى

 الدكتور أحمد عيسى

 الشيخ عبد الوهاب النجار

 سامي الكيالي

 الدكتور زكي مبارك

 الأب ليستاس الكرملي

 إبراهيم اليابجي

 لويس شيمو السويمي

 " مي زيادة "

 الدكتور فارس نمر
الأهرام / البلاغ / القلم / الشعب / البلاغ / كوكب الشرق /

السياسة / الوادي / مصر (6 يوليو 1944) - رثناء أحمد زكي.

الاهرة والبلاغ (يناير 1945) حلقات تأبين أحمد زكي.

عمر رضا كحالة:

اعلام المؤلفين:

محمد كرد علي (الإحمدان)

الأهرام 12/11/1948

المصريان المحدثان

البلاغ 5/1/20

توفيق اسكاروس

المواد 16 أبريل 1912

محمود إبراهيم

السياسة الأسبوعية 7 أغسطس 1926.

محمد مسعود

سلامة موسى

رشيد رضا

فندق

الدكتور شخت

طه حسين

توفيق حبيب

الزهاري (قصيدة)

كمال حموده

مصطفى عبد الرازق

أحمد فهمي العروسي

الشيخ التفتازاني

ملف الخزانة المركزية

تقرير أحمد زكي عن مكتبة

الاسكورال.

304
(1) النشر العربي المعاصر
(2) الكتب المعاصرون
(3) المبارك الأدبية
(4) تطور الترجمة

* فهرس كامل لأبحاث جريدة (الاهرام) من (1970 - 1990)
* مخطوط.
* مجموعات الصحف والمجلات العربية في فترة ما بين 1892 - 1963.
فهرست

تصدر

ملامح جيل ومطالع حياة

وقائع حياته

في ميدان الفكر

العمل الفكرى

1 - الترجمة

2 - التأليف

مؤلفات أحمد زكي

3 - احياء التراث

مخطوطات تقلبها

4 - اختصار حروف الطباعة

علامات الترقيم

5 - اصلاح لغة الدواوين

6 - عمله في الجامعه

7 - الرحلة من أجل البحث

رحلات في العالم العربي

رحلة الإندلس (الفردوس الإسلامي المفقود)

مؤتمرات المستشرقين

الخرافة الزكية

الرسالة التي آمن بها

الكشف عن أمجاد العرب والمسلمين

الدفاع عن العرب
صفحة
التحقيقات والتصويبات (التاريخية والجغرافية واللغوية) 144
في مصر 155
جولاته في القاهرة 156
في العالم العربي والإسلامي 159
تحقيقات الإعلام والإسماء 169
تحقيقات الأندلس 173
تحقيقات اللغة 177
آراءه في ضوء التحقيق العلمي 184
معاركه ومساجله 190
بينه وبين علي بهجت 195
كتبه النبي إلى الملوك 197
معركة المز لدى الله 201
مع زكي مبارك 204
ملك سليمان رواة النيل 207
معاركه مع محمد مسعود 210
عمله في مجال الآثار 219
في ميدان العمل السياسي 223
في ميدان العمل السياسي الحر 227
رحلة اليمن 243
قضية فلسطين 246
مع المستشرقين 252
من الرسائل الزکية 256
نفسيته من خلال حياته وأعماله 258
وفاته وآثاره المدنية 281
خاتمة (مواقيف ومقالات) 286
المراجع 302
307